اسبيرو جبور

سر التدبير الإلهي

(التجسد)

مقدمة الطبعة الثانية

ظهرت الطبعة الأولى في ١ و١٥/٨/١٩٨٠ أي بعد سنة وأربعين يوماً من إنشاء الكتاب بناء على رغبة قدس الأب أفرام كرياكوس وصحبه الكرام ، السرعة في الطباعة والتصحيح فضلاً عن رداءة المخطوط ، جعلت الأخطاء الطبأعية عديدة وسقط نص هام جداً . استدركت ذلك بمطالعة الكتاب ١٥ ـ ٢٠ وربما ٢٥ مرة للتنقيح وللاستفادة فهو مرجعي قبل أن يكون مرجع سواي . هو عصارة عمري . . الذي سلخته في المطالعة بكدّ وجهد لأقدّم للأرثوذكس العرب واخوانهم في الدين فكراً مسيحياً عميقاً أصيلاً في جذوره عصرياً في تعبيره . وإني مدين للأقباط والموارنة والسريان والروم الكاثوليك والانجيليين القدامى بما أولوه من اهتمام وتقدير ، فتوّجه سينودوس الكاثوليك بقرار تقدير ، وتوّجه قداسة الصديق الكبير البطريرك زكا بالثناء العطر والحنان المنقطع النظير . وليس هذا على أمثاله بكثير أو كبير .

كلمة لا بد منها

اصابني ارق في ليل ٢٠/ ٢١ حزيران ١٩٧٩ ، فقمت اتناول هذا الكتاب ، واضع آخر اللمسات على بعض صفحاته. وكان البطريرك الطوباوي الياس الرابع ماثلاً في ذهني خلال ذلك. ولا عجب في ذلك. فقد كان— اوسع له الله في رحماته العظمى— دوماً في خاطري. فرغت من الكتاب في تمام الساعة الثانية والنصف. فاذا بها— كما يقول البعض— ساعة انتقال الطوباوي الى مجد الله. وهكذا ارتبط هذا الكتاب في ذهني بذكره الطيب. وخشيت على الكتاب من ان يطويه الدهر حتى جاء، امس، قدس الاب الخوري ابراهيم سروج يحيي الامل الضائع. حقاً: «رب اخٍ لم تلده امك». فالاخ ابراهيم هو احدى تعزياتي الكبرى عادة. وما دام الكتاب يدور حول التجسد الالهي الذي نعيّد له اليوم، فليقبل ابن الله الصائر ابناً للناس ان يباركه وبيته بكل قوة ملء اتحاد ناسوته بلاهوته، في الروح القدس، لمجد الله الآب، وفرح المؤمنين بسكنى الله القوية بين ظهرانينا. فالكتاب ثمرة جهود مضنية لاشراك البشر في سر سكنى ملء اللاهوت جسديا في يسوع ليعودوا هياكل حية لله. اهّلنا الله جميعاً لهذا الحظ السعيد الاوحد، ونقلنا من الالتصاق بالتراب الى الالتصاق بالله.

اسبيرو

٢٥/ ٣/ ١٩٨٠

الاهداء

في عيد الاقمار الثلاثة باسيليوس الكبير وغوريغوريوس اللاهوتي ويوحنا فم الذهب ، ينتصب امام نظري تاريخ عملاق ، اذ احتفلنا في بدء العام بمرور ١٦ قرنا على انتقال الاول الى حبيبه يسوع . وسنحتفل في العام القادم بمرور ١٣ قرنا على انعقاد المجمع السادس المسكوني الذي شجب بدعة المشيئة الواحدة . وكيف اذكر غريغوريوس اللاهوتي ولا اذكر محميه بطريركنا المفضال غريغوريوس حداد لمرور ٥٠ سنة على وفاته (١٢ / ١٢ / ١٩٧٨) وتلميذه العملاق البطريرك ثيودوسيوس لمرور ٥٠ سنة على بطريركيته اللامعة (٤ / ١١ / ٧٨) ، وخليفته في المحبة والاحسان والسخاء بلا حساب الشهيد في الكهنة الخوري حبيب بن الشهيد الخوري نقولا خشه (١٦ / ٧ / ٧٨) لمرور ٣٠ سنة على استشهاده .

فالى ارواحهم إهدي كتابي هذا ملتمساً بركتهم ورضوانهم وسائلاً الله ان يعصمني فيه من الزلل ، ويحفظني في خط المجامع المسكونية وآباء الكنيسة قويم الايمان ، ويغمر والديَّ واجدادي بعفوه ولطفه في ملكوته الابدي (بصلوات القراء الاحباء) ثواباً لهم على ما أورثوني من صلابة ارثوذكسية راسخة .

٣٠/ ١ / ١٩٧٩

مقدمة

الاخوة الاحباء في البلمند وطرابلس واللاذقية الحّوا علي جدا في العام الماضي بنشر مؤلّفي في التجسد الالهي. ولم استطع ان اقاوم رغبتهم الغالية. فاستعنت فوراً بالاخ العزيز ايليا شلهوب لموافاتي بنسخة من كتاب ايفانس عن لاونديوس البيزنطّي — طال انتظاري لها — فوافاني بها على جناح السرعة.

لقد سبق لي ان ترجمت مقالا لاستاذي المرحوم بول افدوكيموف ظهر في «النور» الغراء (العام ١٩٤٧). وفي عهد المثلث الطوبي البطريرك ثيودوسيوس قمت في العام ١٩٦٥ بكتابة المقال اللاهوتي للنعمة فكانت ٤ منها في سر التجسد. وفي العام ١٩٦٧ كتبت له عظة الفصح ومقالاً عنه ظهرا في عدد ايار من مجلة «النعمة». وفي فصح ١٩٦٨ كتبت له المنشور الفصحي الموزع في دمشق.

وكتبت ايضا القسم اللاهوتي في كتاب التعليم المسيحي في صف البكالوريا بسوريا (١٩٦٥). وفي ايلول ١٩٧٢ ظهر لي في «ملحق النهار» مقال مكثف جدا عن مرحلة ما بعد المجمع الرابع المسكوني. وفي ١٨/ ٤/ ١٩٧٧ القيت في ندوة احباء في طرابلس حديثاً عن «ما بعد خلقيدونية». وفي العام ١٩٦٥— ١٩٦٦ صببت المقالات الاربع كتابا. فقدت اصله وبقيت نسخة ناقصة قليلاً عنه. وطلب مني إعداد محاضرة عن الفرق المسيحية قبل الفتح العربي للالقاء في كلية التاريخ في الجامعة اللبنانية بطرابلس فكان امر. فالقاها احدهم.

هذا كله لم يدخل — كما هو — في هذا الكتاب والا كان مؤلفا صناعيا. فكان لا بد من صب الأمور صبة جديدة الى حد كبير واعادة النظر في الموضوع بصورة

شاملة. فالموضوع المطروح لا يقبل مني الا ان اذيب دماغي مجددا في مطالعة مئات بل آلاف الصفحات وان انسحق في الصلاة وتأمل انوار القضايا اللاهوتية المطروحة التي لا يجوز ان ارفع فهمي اليها الا متوكلاً على رحمة الله ومكحلا عيني المظلمتين بنور الروح القدس. هذا السر أي سر **تدبير الله** لم يتعلمه الملائكة الا في الكنيسة[1]. فمن انا لكي اتنطس للمهمة؟ فمنذ سنوات اتردد جداً في تجشم المشقة مع اني طالعت بعد ١٩٦٦ الوفاً من الصفحات واعددت الملفات.

وقفت امامها مثقلاً لعدة اسباب منها: ١ً— لم يعد نظري — كما كان قبلاً — قادراً على السياحة بلمحات بصر بين صفحات الكتب مهما تعدّدت امامي على طاولة واحدة. ٢ً— كلما اعدت مطالعة المخطوط وجدته عسير الفهم، يزيده تعقيدا اسلوبي الحقوقي الرفيع السوية في المرافعات الحقوقية. وتفكيكه صار عسيرا علي. ٣ً— قناعتي بان المسيحيين العرب تهافتوا — ككل العرب — منذ عصر النهضة على ظواهر الثقافة الغربية، فذهلوا بعلومها وحضارتها المادية ولم ينفذوا الى جوهرها. ولذلك نالوا قسطا مما ذكر، بينما بقوا بلا فكر عميق. ومن اين لهم ولسواهم الفكر العميق ان لم يعودوا الى الفكر الاصيل في الفلسفة اليونانية وآباء الكنيسة؟ لذلك بقوا بلا فكر ديني وجافوا مطالعة الكتب الدينية حتى صار الدين لديهم قشوراً كما كان في العصر العثماني. فاثناءه كان الحال كما وصفه انعام الجندي:

«كان الحكم العثماني اعدى اعداء الفكر والمعرفة مهما كانت بسيطة. وقد شهدت بلادنا زوال مؤسساتها الفكرية والاجتماعية زوالا تاما[2]».

(١) راجع مقالي في الظهور الالهي الحاشية ٣ من الصفحة ٧٦ من العدد ٣ /١٩٧٩ من مجلة «النور» الغراء. اضف اليها: نصوصاً من ايريناوس اوردها قاموس الروحانية (٧: ١٩٤٩ — ١٩٥٠)، والدفترين ١ و٢ من دروس الاب بوريس بوبرنسكوي في الثالوث القدوس (بالفرنسية) ولوسكي في كتابه «على الصورة والمثال» (ص: ١٣١ و١٣٣) ومقال اوليفيه كليمان في Messager لعام ١٩٥٩ (ص: ١٥٣) وسيرج فيرخوفسكوي في الصفحتين ١٣٩ و١٤٠ من أماليه في معهد القديس فلاديمير باميركا، وعنوانها «الله والانسان» فضلا عن رسالة املاها على صديق بهذا الخصوص..

راجع غريغوريوس بالاماس الثالوثيات (١: ٣، ٦ وعدة مواضيع أخرى)

(٢) دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية، ص ١٢.

لو عاد مفكرو العرب القدماء الى الحياة لكانوا اقدر منا على استيعاب الفكر الاوروبي. نظرا لرسوخهم في الفكر اليوناني وما اكتسبوه منه من خصوبة ومنطق وتحليل.

وفي العلوم الدينية ما زلنا على هذا . فمنذ ظهور كتاب «الهداية القويمة الى الامانة المستقيمة» لبطريرك اورشليم انثيموس (العام ١٧٩١) لا اعرف للارثوذكس اثراً لاهوتيا قيّما خاليا من الاخطاء. وليس حال سوانا بافضل منا ، مع ان القارىء الكريم سيرى في متن الكتاب ان اللاهوت نشأ في ديارنا ، في الارض الواقعة بين الاسكندرية وانطاكية فكبادوكية . ٤ً- صعوبة تصريف الكتاب الديني لأن مطالعة الجرائد والمجلات تكتسح اهتمام الناس وتتفق مع مزاجهم السطحي ورغبتهم في الاطلاع على التوافه من حال الناس والمجتمعات[1].

ولكن حب البلمنديين والطرابلسيين واللاذقيين للمعرفة اللاهوتية والتعمق اللاهوتي تغلب على اعتراضاتي . واذا استمر معهد اللاهوت في البلمند على نشاطه المعهود خلال هذا العام مشمولاً بدعم غبطة البطريرك الياس الرابع السامي الاحترام ، فلا استبعد ان نكون مع اطلالة القرن الحادي والعشرين مزودين بلاهوتيين عميقين . فغبطته صاحب الفضل الاكبر في اقناع المثلث الرحمة المطران انطونيوس بشير برصد ربع مليون دولار لانشائه . وكان ذلك في ٢٠/ ٥/ ١٩٦٤ في فندق سيميراميس في دمشق ، بحضور صاحب السيادة مطران طرابلس الياس وحضوري . وكرر — رحمه الله — الوعد امام المثلث الرحمة المطران اغناطيوس حريكي وصحبه من المطارنة على ما جاء في رسالة الأخير الي في ١/ ٧/ ١٩٦٤ . وما زال غبطته يضع معهد اللاهوت على رأس اهتماماته حصراً..

وبعد هذا الاستطراد اعود الى الموضوع . لقد راعيت في الكتاب القارىء العربي قدر المستطاع . فتخليت كثيراً عن قالبي الحقوقي واللغوي لأكون مفهوما قدر الامكان . ولم استفض او استنفد كل الموضوع . فظروف الطباعة تفرض ذاتها علي . فلو اردت ايراد كل ما في ذهني من الحواشي لجاء الكتاب في ٤/٥ حواشي اغلبها الساحق في اللغات الاجنبية . ومن جهة اخرى فالقارىء العربي لا يتحمل بعد هذا اللون من التفكير اللاهوتي العميق . فقد انقطع عن تراثه الاصيل المكتوب اساسا في

(١) ... لا يعلم اي منا ما هو نفسه. نحن ميالون الى معرفة السماء اكثر من ميلنا الى معرفة نفسنا. هذا رأي باسيليوس (عن اصل الانسان، ص ١٦٩). واحسرتاه!

اللغة اليونانية. فانقل الان اليه ما صنعه اجداده ونقله عنهم الاوروبيون ومسيحيو العالم كتلاميذ في مدرسة اولئك الاجداد الابرار. فهو لذلك آبائي قلما يستشهد بالكتاب المقدس.

وهذه خطتي العامة:

القسم الاول اطالة للمحاضرتين المذكورتين. هو اضعافها. الا اني حافظت على الاسلوب الخطابي لتسلس وعورة الموضوع. فهو اجمالا تاريخ للعقيدة. المقالات الاربع في مجلة «النعمة» محبوكة بصورة يتعذر علي فكها. فالحواشي فيها فاحشة. والاسلوب متين. واعادة طبعها عسيرة. فاكتفيت بتقسيمها الى فقرات كثيرة، وتصحيح الاخطاء الطباعية والسهو، وحذف اجزاء لتصبح فصولاً جديدة، واعادة النظر كليا او جزئيا هنا او هناك، وحذف بعض الفقرات نهائياً لعدم اللزوم اليها.

واعدت صب الفصل المتعلق باستعمال القديس كيرللس الاسكندري للالفاظ اللاهوتية حتى عاد سلسا نسبيا ومفهوماً. وحذفت مناقشة. وابقيت اجمالا على فصل «الاقنوم». الا انه عسير جدا على غير الاختصاصيين. ومع هذا مهّدت له بالحديث، في عدة فصول، عن «الاقنوم». فاضحى هذا الفصل تتمة لها. فمن شاء كدَّ ذهنه ليفهم فليكده. وقد جعلته الفصل الاخير لعل الله ينير المطالع للفصول السابقة فيحتمل وعورة هذا الفصل.

اما ما كتبته للمرحوم ثيودوسيوس وظهر باسمه فخضع لحذف مقاطع.

واكتفيت بالقدر الوارد في هذا الكتاب ولو جاء ناقصا. ومع هذا فهو الان اضعاف كتاب ١٩٦٦ غالباً.

اما طريقة التأليف فهي خاصة جدا. فانا قادر على التأليف بدقة علمية اوروبية وترتيب اوروبي دقيق كأن الامر رياضيات او فيزياء. الا اني ارفض رفضا قاطعا ان اسلك هذا السبيل في اللاهوت. هذا علم الالهيات. يسوع قال انه «الحياة» (يوحنا ١٤ : ٦). فكيف اتحدث عنه بلغة الجماد والحيوان؟ وقد سلخت عمري الديني في مطالعة الكتاب المقدس وآباء الكنيسة والبرية، فتعلمت ان اجعل حديثي في

الالهيات صلاة وتسبيحا وتمجيدا في ذهول بمن احبنا وبذل نفسه عنا. فلا ارضى في اللاهوت ان اكون تلميذ اوغست كونت واسلافه وخلفائه بل تلميذ قيثارات الروح القدس الاباء الملهمين عاشقي الله المتيمين. فمن انعم الله عليهم بعشق الله— كالاباء— لا يذكرون اسمه الا وهم خاشعون ساجدون. في عماوس تعلمنا كيف نسمع الكتاب المقدس: «او لم تكن قلوبنا مضطربة فينا، اذ كان يخاطبنا في الطريق، ويفسّر لنا الكتب؟» (لوقا ٢٤ : ٣٢). القلب المبرد لا يستقبل يسوع وكلامه. يسوع ينزل كنار لاهبة.

وقد استعملت اسلوبا تربويا— نفسياً يساعد الشرقي على التذكر. فالتكرار الصرف او التكرار الناقص هنا وهناك يذكران القارىء بما سبق ان قرأه. فقد يرى فروع الموضوع الواحد هنا وهناك.

ومسائل التجسد الالهي هي التي مزّقت شرقنا فرقا. ومع اعتمادي اعلى نسبة ممكنة من الموضوعية والحياد، ابقى ارثوذكسيا حتى مخيخ العظام. ولجهة الاقباط والارمن والسريان والاحباش عرضت الموضوع باقصى حدود النزاهة مبيّنا سطحية الخلاف. وقد التقى لاهوتيون منهم ومنا في الاعوام ١٩٦٤ و ١٩٦٧ و ١٩٧٠ و ١٩٧١ و ١٩٧٢. واجروا في العامين ١٩٦٤ و ١٩٦٧ دراسات لاهوتية وصدرت عنهم تصريحات وحدويّة تعلن وحدة الايمان الاساسية.[1] ولكني لم استعمل لهم اسم «غير الخلقيدونيين». فالنساطرة ايضا ومن سبقهم غير خلقيدونيين. آثرت الابقاء على اسمهم المشهور «يعاقبة» (نسبة الى يعقوب البرادعي) وان كان هذا من رجال القرن السادس لا الخامس. المسألة اصطلاح لأتجنب ما شاع عنهم من تسمية «القائلين بالطبيعة الواحدة» أو «المونوفيزيقيين». ولكن استغربت التصريح الذي صدر عن اجتماعهم بلاهوتيين كاثوليك كبار في فيينا من ٧ الى ١٢ ايلول ١٩٧١.

---

(١) نشرت الابحاث والتصاريح في مجلة
The Greek Orthodox Theological Review; Brooklyn)
وقد خصصت الامر بملحق

تعود فيه نغمة الخلاف على الالفاظ ، مع انها حلّت في لقاءاتنا . ونحن والكاثوليك واحد في هذا الباب . وكان حاضرا غريلماير سيد هذه الحلبة : فكيف قبل بهذا البيان السطحي مع ان الدراسة استغرقت ١٧٠ صفحة[1] ؟

وفي ختام هذه المقدمة الفت انتباه القارىء الكريم الى امر بالغ الخطورة . الاغلبية الساحقة تتوهم ان الدين يتطلب بساطة . وهذا منتهى الضلال ان قصدنا بالبساطة الغفلة والجهل والسذاجة . فالمعرفة اللاهوتية هي اعلى درجات المعرفة . بل هي فوق كل معرفة لأن العقل عاجز عن ادراكها . الروح القدس وحده يمنحنا اياها اكليلا لشوقنا وجهدنا . وقد شكا الي احباء كثيرون عسر كتابي « يهوه ام يسوع » مع انه نزل الى أدنى حد ممكن من التبسيط . وانما تحتاج كتبي الى تجنب لاسلوب مطالعة الجرائد والمجلات . انها تتطلب صبرا وتأنيا والعودة الى ساحة المطالعة تكراراً . حتى كتابي « نصف انسان » المبسط جدا في حوار ممتع يحتاج الى المطالعة ٣ مرات . فهناك كثافة افكار في قدر محدود من الصفحات بما اني مضطر الى ذلك ما دام المسيحي العربي لا يشتري ولا يطالع الكتاب الديني الا اذا كان قياسه محدوداً . لقد فقد عمق السلف الصالح . وامصيبتاه !

فاسأل من خرق الحدود جميعا ولبسني وصبغني بحمرة دمائه القانية وانهضني من المزبلة الى الجلوس عن عرش ابيه في مجد اسنى ان يجعل هذا الكتاب نورا للمطالعين وقربانا اقدمه على مذبحه السماوي لغفران ذنوبي وجرائمي وتطهيري من شروري بصلوات المطالعين الاحباء ورضوانهم . امين ![2] .

---

(1) Wort und Wahrheit, Dec. 1971; Vienna, p 11-181; Communiqué, p 182-3.

(٢) ارتبكت في ترتيب مراجع الكتاب امام صعوبات الطباعة من جهة وامام ذهنية القارىء . فبدئيا اما يثبتها المؤلف في اسفل الصفحة او في نهاية الفصل او في المتن . لجأت الى الاساليب الثلاثة لتلطيف الصعوبات . القسم الاول هو اكثر الاقسام جمعا للاسلوب المثلث . فالمراجع في نهايته غالبا ما عدا مين

في مغارة بيت لحم [1]

دعاء

اللهم ! يا من بعلم النجوم فتحت اذهان المجوس العلماء المتتبعين حركات النجوم والكواكب والقمر ، الساهرين في الليل لهذا الغرض ، اللهم ! يا من بالنور الذي احاط بالرعاة الساهرين ليلا في الفلاء على قطعانهم وبشرى الملاك ، اعلمتَهم بأنك «المسيح الرب» الاله المولود في بيت لحم مدينة داود واعطيتهم علامة على تنازلك الذي لا يوصف الا وهي آية [2] اضطجاعك مقمطاً بأقمطة في مذود للبهائم ، ليفتشوا عنك يا رب المجد لا في الدور والقصور والمنازل بل في حظيرة البهائم.

اللهم ! يا من اخترت المجوس ليزلزلوا اورشليم بنبأ ولادتك ملكاً ، اعطى الله النجم آية قادتهم للدلالة على مولدك ،

اللهم ! يا من اخترت الرعاة الساجدين السذّج اول المنادين المبشرين بربوبيتك ، كما اخترت فيما بعد صيّادي السمك صيّادي المسكونة ، فبشروا في المغارة بما رأوا وسمعوا عن الصبي المولود ،

اللهم ! يا من اخترت فئة العلماء المشتغلة بالنجوم وفئة الرعاة السذّج الساهرين ليلاً مثل اولئك مع القمر والنجوم والكواكب لا سمير لهم سواها ،

اللهم ! يا من قبلت من المجوس لا ذهب الخضوع فقط لملكيتك بل لبان السجود للاهوتك ومرّ تضميخ جسدك ايها المولود سلفاً لتموت من اجلنا صلباً ، فأنبأوا سلفاً انك آتٍ لتموت وان دم الشهادة يلاحقك منذ مولدك ،

---

(١) في نهاية هذا الدعاء ٤ تواريخ وردت في الاصل ٣ منها. فالكتاب جديد حتى نهاية هذا الدعاء.

(٢) في اليونانية اللفظة واحدة لكلمتي آية وعلامة.

اللهم ! يا من وُلِدْت فاضجعت في مذود البهائم لتقدس بهيميتي انا الذي بسقطة جديّ آدم وحواء لم اتحول فقط الى بهيمة بل صرتُ ارتكب من الشرور ما لا ترتكبه الافاعي وأضرس وحوش الغابِ وافتكُ الجراثيم والاوبئة ،

اللهم ! يا من لم تجد مكاناً في نزل بيت لحم وبيوتها ، فاستقبلك فيها مزود البهائم ، مع ان زكريا ابا المعمدان قد تنبأ قبل اقل من ٣ أشهر انك اتٍ لتفتقد شعبك ،

اللهم ! يا من فرح بمولدك جند السماء ونادوا بمجدك في العلى وبشروا يوم مولدك بسلام يحل على الارض ويغمر الذين يُرْضونك ،

اللهم ! ارفع عقول الناس وقلوبهم جميعا الى السماء ليقرأوا في سجل هذا الكون البديع الذي خلقته نشائد الحمد لاسمك وليرتفعوا من الانغماس في الارض وشؤونها وشجونها الى تأمل عظائمكْ التي لا توصف ، واجعل لنا في النجوم وكل إيماء علوي يومىء لنا به جود صلاحك آية تنتزع من قلوبنا لك هياماً وَوَلَها يشدّان كل اشواقنا اليك ،

واسند عقولنا لئلا تتطاير كالشظايا حين تتأمل تنازلك المذهل ، لتضطجع في مذود البهائم ، يا من الاكوان جميعا قامت بكلمة امره ، وتُوجد بعنايته ، وتزول باشارته ؛ بل اغمرها بالنور الذي اضاء حول الرعاة جاعلاً اياه ينيرها من الداخل لا من الخارج فقط ،

وَطهِّرنا من بهيميتنا واسحقْ رؤوس اهوائنا ،

ولا تجعلنا ننام غافلين يومَ تأتي لافتقادنا ، كما غفلت عنك بيت لحم ، بل اجعلنا على اتم الاستعداد لاستقبالك في مذود القلوب بعد ان يكون روحك القدوس قد أحْرقَ شروره وزيَّنه بالفضائل فاضحى طاهراً تحل فيه على الرحب والسعة ضيفا كريما يملك على قلوبنا الى الابد ، يسجِّلنا في سجلّ احصاء مملكته ، يا من تنازل فأُحْصي في سجلّ احصاء اوغسطس قيصر الامبراطور الروماني الوثني ، فقضي بهذا التنازل على ممالك الوثنية ،

ولا تمر علينا ضيفا نسيّاً منسياً كما وقع لك في بيت لحم ، بل امْلأْنا يقظة روحية لكي نقتنصك كصيادين ماهرين ، كلما لاح في الافق انك عازم على المرور على ديارنا ، زائراً بيت لحم ولبنان والعالم اجمع .

مَاراناثا ! ايها الرب يسوع تعال ! تعال ايها الرب يسوع تعال ولا تبطىء !

جدول تصحيح الأخطاء

سر التدبير الالهي

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦	٦	فيو	ثيودوسيوس
٦	٧	٥٠ سنة	٢٠ سنة
١١	٥	مضطربة	مضطرمة
١٢	١٦	عن	على
١٤	٤	مزود	مذود
٢٢	١٨	بالعسير	باليسير
٢٦	١٨	عقد مجمعا	عقد داماسوس مجمعاً
٣٣	١١	لتمثيل	لتمثل
٣٦	٧	نصيبين	الرها (اورفه)
٣٧	١٠	ديوسوروس	ديوسفوروس
٣٧	السطر الأخير	المائة	الثلاثين والمائة
٣٨	١٢	في شخصين	في طبيعتين
٤١	٤ من أسفل	المونوفيزبيبية	والمونوفيزيتية
٥٢	١٢	ابوليناسوريوس	أبوليناريوس
٥٢	الحاشية ١	فقدت ٥٩	فقرة ٥٩
٥٢	الحاشية ٢	نقدت	فقدت
٥٦	٩	نفسه قابلاً	نفسه غير قابلٍ
٦١	١١	باهوته	بلاهوته

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧١	١٣	المرضى	المرض
٧٣	٢ من الحاشية	التكوني	التكوين
	١ من الحاشية	باسيليوم	باسيليوس
	٣ من الحاشية	كونتال	كونتاك
٨٣	٣	مفكر لاهوتي	مفكر، لا لاهوتي
٨٦	٥	Tr. Ch.	Théologie bysantine
١٤٢	٩	يسوع لا يشارك	يسوع يشارك
١٤٥	١٠	اشراكه	أشركه
١٥١	١	فردّد	نردّد
١٥٤	١٥	حثا	حقا
١٥٤	١ من الحاشية	أمر	امرا (ادارياً)
١٦١	٢٣	فمجدك	فمجّدنا
١٨٥	١٨	تمسك	ممسك

ص ٣٤ يوجد حاشية يجب أن تضاف إلى هذه الصفحة وهي
١ - و٢ : ٨٠ و٣: ١٧٧/ ولدى النصيصي ٣: ٦٣٣ ٢٠/ ص ١٤٣ أيضاً
ص ٣٥ الحاشية رقم (٣) بعد (يقوم على جعل (الناسوت) اقنوما
ص ٣٦ السطر ٩ على القسطنطينية يوجد جاشية وهي أن أحدث الدراسات تبرئهم من النسطورية وتثبت قرابتها منا بخاصة ٦٢٨
ص ٣٩ يضاف إلى الحاشية (ص ٢٢٧)
ص ٤٣ السطر ٨ الناس بأغلبيتهم إلى النسطورية نضيف (ثبت الآن العكس)
ص ٤٦ معنى الآمدي نسبة إلى آمد = ديار بكر
ص ٥٠ السطر ١٨ والذهبي الفم نضيف (رأي تحت النقاش)
ص ٥٤ سطر ١٦ بعد وصفرونيوس الدمشقي نضيف (وتلميذه مكسيموس هما)
ص ٦٢ نقول (كانت تشحذ قرائحها)
ص ٦٦ السطر ١٣ بعد و٢٥٩ وأيضاً ص ٦٤ الذهبي)

ص ٦٨ السطر ١٢ انه اله بالتبني
ص ٧١ السطر ٦ نضيف بعد تركيزاً على الموضوع وأيضاً سمعان اللاهوتي الحديث
ص ٧٥ نضيف إلى الحاشية رقم (١) وكتابنا قرد أم انسان
ص ٧٩ نضع حاشية انشأت كتاباً بعنوان المرأة في نظر الكنيسة
ص ٨١ السطر ١٦ نضيف كرر سمعان ذلك كثيراً .
ص ١٠٦ المسيحيين المنتشرون في العراق . . . من ج المجمع المسكوني الثالث ـ الصح إن أحدث الدراسات تبرئهم من النسطورية
ص ١١٩ السطر ٩ الكلمة الأولى هي السوري
ص ١٣١ الحاشية بعد كلمة المذكور عسير نضيف من ١٨٢
ص ١٣٥ السطر الأخير قبل الحاشية ناقص لم يرضى (اثناسيوس)
ص ١٤٣ الحاشية (٢) نضيف اليها ص ٣٣ ـ ٣٤
ص ١٥١ الحاشية رقم (١) نضيف وشرح سمعان الأمر
ص ١٥٤ الحاشية نضيف إليها يرى أمراً (ادارياً) فقط
ص ١٧٠ نضيف إلى الحاشية (٢) وسبقه افسابيوس في هذا الرأي
ص ١٧٤ السطر ٦ بدل الملكوت المشترك الملكوت العام
ص ١٧٥ الحاشية نضيف عليها حكم الموت وذلك بقيامة المسيح
ص ١٨٢ نضيف على آخر سطر قبل الحاشية بعد الهي واحد ص ١٣٢
ص ١٨٤ نضيف على آخر سطر بعد القدس المنبثق منه (ص ٢٠٦)
ص ١٨٥ قلنا الأقنوم (يقتني)
ص ٢٠٢ الحاشية (٢) غريغوريوس النيصصي وليس النيسسي
ص ٢٠٢ الحاشية (٣) ثيوذورثيوس وليس ثيورثيوس
ص ٢٠٤ الحاشية السطر الثاني آخر كلمة النيصصي
ص ٢٠٦ السطر (١٠) نضيف أقنوم الأب يلد الابن ويبثق الروح القدس
ص ٢٠٧ آخر سطر قبل الحاشية نضيف بعد بينها للاقنوم (وجود مستقل ، فيلاحظ الجوهر في الأقانيم ، وجوهر الالوهة هو بالتمام والكمال في كل من الأقانيم)
ص ٢٠٨ الحاشية (٢) (النصيصي)
ص ٢٧٧ السطر (١٥) نضيف ص (٣٨ و٥٣ و٥٤)

القسم الاول

تاريخ عقيدة التجسد الالهي

الفصل الاول

ما قبل المجمع الاول المسكوني

الكتاب المقدس يتألف من قسمين ، العهد القديم والعهد الجديد. العهد القديم خاص باليهود ومكتوب بالعبرية وبعضه بالارامية. وقد ترجمه اليهود قبل الميلاد الى اللغة اليونانية لأن اليهود الذين تفرَّقوا بعد فتوحات الاسكندر الكبير نطقوا باليونانية ونسوا العبرية والآرامية. وعلى هامش الكتاب المقدس نشأت عندهم سنَّة جمعوها بدءا من القرون الاولى بعد الميلاد وهي المعروفة باسم التلمود. المسيحيون يأخذون بالعهد القديم ويرفضون التلمود الذي جُمعَ بعد المسيح. العهد القديم يتألف من قسم عَقَدي يتعلق بالواحدانية الالهية والتنزيه وخلق الانسان ومصيره، وقسم تشريعي دنيوي مطبوع بروح اخلاقية ، وقسم اخلاقي ، وقسم تاريخي ، وقسم نبوي وقسم العبادات. اهم اركانه الايمان بالله الأحد المنزه عن جميع المفاهيم المادية ، وتنظيم معين لسلوك الانسان الجيِّد ، وتسابيح روحية اهمها «المزامير» ، ونبوءات عن مجيء المسيح. يرى الاختصاصيون ان موسى كتب شيئاً ما. ولكنه ثابت لديهم ان القسم القديم من التوراة جمع في القرن الثامن. وبعده ظهرت اقسام اخرى عديدة. عدد الكَتَبَة كبير : امتدت الكتابة حتى منتصف القرن الاول قبل الميلاد. اذاً : هناك كتاب تم تأليفه ما بين القرنين الرابع عشر والاول قبل الميلاد.

العهد الجديد هو مجموعة اسفار اي كتب. منها الاناجيل الاربعة واعمال الرسل ورسائل الرسل ورؤيا يوحنا كاتب الانجيل الرابع. المسيح علم شفويا ولم يترك اي اثر كتابي. تلاميذه بشروا وتركوا لنا العهد الجديد في اللغة اليونانية. ورد في التاريخ القديم ان تلميذه متّى كتب اولا بالعبرية بل ربما بالآرامية. الا انه ليس لدينا سوى

النص اليوناني. العهد الجديد يتضمن مواضيع البشارة الشفوية. تناقل المسيحيون العهد الجديد والبشارة الشفوية جنبا الى جنب. باستمرار كان يظهر مبتدعون فتفرزهم الكنيسة. ومستند الفرز هو مجافاة تعليمهم لتعليم الكنيسة المتناقل كابرا عن كابر، والذي يطلق عليه المسيحيون الارثوذكس والكاثوليك اسم «تقليد» ليس معادلا للسنّة الاسلامية والتلمود اليهودي، لأنه يقتصر فقط على التعليم المتسلسل. ولذلك فالعهد الجديد هو القطعة الذهبية المركزيّة في هذا التقليد. فالمبتدع الذي يفسر العهد الجديد خلافا لما هو متداول في الكنيسة يُطرح خارجا.

النظرية المسيحية في الوحي تعتمد على ان الله أَلهم كَتبة الكتاب المقدس، فتناولوا القلم وكتبوا. اللغة هي لغة الكاتب والموضوع الديني هو ما يقوم الله بالهامه. الانشاء مختلف جدا. العهد القديم هو تحفة الادب العبري. سفر ايوب منه هو رائعة الادب العبري الفريدة واحدى روائع الادب العالمي. في العهد الجديد، لوقا الانجيلي، وترسيوس كاتب الرسالة الى الرومانيين، وكاتب الرسالة الى العبرانيين، من المع كتبة اللغة اليونانية في عهدهم. بتعبير آخر لا ينسب المسيحيون نص الكتابة الى الله، لا يؤمنون بالإنزال نصا ومعنى. وليس لديهم حتى انزال. يؤمنون بالهام الله للكاتب. الكتابة كتابة انسان.

رفض اليهود يسوع وتلاميذه بضراوة في فلسطين. انتقلت الرسالة على ايادي الرسل الى بلدان حوض المتوسط الشرقي فالشمالي فالغربي حتى اسبانيا. كما غزت مصر وبلاد القيروان في ليبيا وانتقلت الى شواطىء البحر الاسود. لاقت الرواج في الساحل الشرقي للمتوسط من قيصرية فلسطين (الواقعة بين حيفا ويافا) حتى نهاية الساحل الشرقي فروما. وامتدت الى دمشق وبعض انحاء سوريا الداخلية كحوران وسواها[1].

لغويا تمركزت البشارة حول اللغة اليونانية التي كانت اللغة الدولية حتى في قلب روما. السريان واللاتين تلاميذ لليونان. في قلب روما بقيت اللغة اليونانية لغة الكتبة

---

(١) غلاطية واعمال الرسل.

لمسيحيين حتى منتصف القرن الثالث . لم يخرج نسبيا عن التأثر بالتراث اليوناني سوى اوغسطين الذي لم يكن يعرف اليونانية ، فاستعمل الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس ، فاستقل في بعض النقاط عن التراث اليوناني ، لا عن سوء نية بل عن جهل . يمتد هذا الادب المسيحي منذ القرن الاول حتى اليوم . في القرن التاسع عشر صدرت منه مجموعة يونانية ومجموعة لاتينية بمئات المجلدات باشراف الاب Migne . واخذت تظهر في هذا القرن مجموعة سريانية . وتطبع جميعا في باريس . وفي بلاد اليونان اخذت تظهر طبعة جديدة كاملة للادب اليوناني المسيحي في مئات المجلدات . ولكل هذا ترجمات كاملة او جزئية الى اللاتينية والفرنسية والانكليزية والالمانية والروسية وسواها من اللغات الاوروبية .

ارض البدع المختارة كانت بالدرجة الاولى سوريا الطبيعية . يذكر لاروس Larousse القرن التاسع عشر الكبير تحت لفظة «سوريا» انها اصبحت في القرن الثاني للميلاد خليفة اثينا في بابي الاداب والفنون الجميلة . وبسبب الفتوحات كانت سوريا ايضا الارض المختارة لتلاقح الحضارات من فارسيّة ويونانية ورومانية وعراقية ومصرية . بظهور المسيحية ضمت فئة الغنوسطية اليها قشور الفكر المسيحي .

اصطدم الاسلام بهذا الواقع ايضا . عبد القاهر البغدادي في كتابه « الفرق بين الفرق» يذكر ان مذاهب الشيعة في العراق كانت مائة في القرن الرابع الهجري . النوبختي (من رجال القرن الرابع) يؤرخ للمذاهب الشيعية العراقية في زمنه ويرى كيف ان وفاة كل امام من الائمة كانت تفرخ مذاهب جديدة . القديس ابيفانيوس القبرصي (في القرن الرابع) كتب في البدع المسيحية واحصاها فبلغت ٨٤ بدعة . طبعا اغلبيتها الساحقة نشأت في سوريا . حتى المبتدع الكبير اريوس (في الربع الاول من القرن الرابع) تعلم في انطاكية عاصمة سوريا . الغنوسطيون يركزون على المعرفة . في العام ١٩٣٥ تم اكتشاف مكتبتهم في ناج حمادي بمصر . لم تطبع الا جزئيا .

ظهر المسيح في منطقة لها تاريخها الطويل. فلسطين ودويلات سوريا كانت في الالفين الاولين قبل الميلاد مسرحا للمنازعات المحلية والدولية. في الالف الاول دخلن الصراع المصري — الاشوري ثم المصري البابلي. يقول ديبون سومير[1] وسواه ان تشققهن وتناحرهن اودى بدولهن. وبالفعل محتهن اشور العام ٧٢١ وجرفتهن بابل العام ٥٨٦ حتى جاء الفتح الفارسي (العام ٥٣٩) صديق اليهود احتلالا دائما لا غزوا عابرا. فجعل سوريا ولاية خامسة. عقمها سياسيا الى حد بعيد فنشطت ثقافيا حتى صارت لغتها الارامية لغة الديبلوماسية في المنطقة. وتوحدت في ولاية واحدة بدلا من التمزق الى دويلات. واتى الفتح اليوناني في العام ٣٣٣ فنشطت ثقافيا وحل تناحر جديد هو التناحر بين يونان سوريا ويونان مصر. واتى الرومان يؤسسون امبراطورية كبيرة، فاذا بانطاكية والاسكندرية تستمران في التنافس الثقافي خاصة. وظهر المسيح في فلسطين فرفضه ابناء جنسه. وانتقل مركز ثقل البشارة من اورشليم الى انطاكية. وكان الرسل يهودا. ونقلوا الينا البشارة بمنطق يهودي في لغة يونانية كما الامر ثابت في العهد الجديد كله. وكان على الانجيل ان يتحدى الثقافة اليونانية وعلى الثقافة اليونانية ان تتنصر بجهالة الانجيل لا بحكمتها. ولكن بقي على المسيحيين ان يقتربوا من اذهان المثقفين باليونانية وان يردوا على تخرصاتهم.

ومضمون الوحي الالهي الجديد بسيط. ولكن وضعه على مشرحة العقل اليوناني ليس بالعسير: «الثالوث هو الاله الواحد؛ يسوع الرب الواحد هو الاله والانسان معا» انهما عقيدتان تصلبان حتى عقل الملائكة.

في الاسكندرية قام مجتهدون كبار. الا ان طبيعة مصر هي التكتل وراء الرئيس سواء كان فرعونا ام اثناسيوس ام كيرللس ام ديوسقوروس ام اي رئيس حتى يومنا هذا.

---

(١) His. des Araméens

في سوريا تعددت قلاع الفكر حتى ذكر لاروس القرن التاسع عشر انها حلت في القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد في بابي الاداب والفنون الجميلة محل اثينا القديمة. وبدلا من تنازع ميكرو— دويلات الاراميين وُلد صراع رجال الفكر والاساقفة.

روما عاصمة امبراطورية ضخمة حريصة على السلطة المركزيّة. يلعب ابو العائلة فيها دورا حاسما في حياة الافراد. فكان بابوات روما رؤساء يحرصون على الوحدة واللحمة.

تعثر اباء القرنين الثاني والثالث كثيراً في شق الطريق لمفاهيم لاهوتية تدني الايمان من العقل.

شيئا فشيئا طرح الناطقون باللغة اليونانية الفاظا: «الجوهر، والاقنوم، والشخص، والمساوي بالجوهر».

ترتليانوس نحت للغرب الفاظا لاهوتية تعبر الى حد ما عن كون يسوع شُخص في طبيعتين لاهوتية وبشرية متحدتين.

استعمل الغرب لفظة «المساوي بالجوهر». رفضها ديونيسيوس الاسكندري فكاتبه ديونيسيوس روما، فاجاب الاول بان اللفظة لم ترد في الكتاب المقدس وعرض له ايمانه واعلن انه لا مانع لديه، مع ذلك، من استعمال اللفظة. واستعملها بولس السميساطي اسقف انطاكية بمعنى سابليوسي. وكان سابليوس ينكر التثليث ويعتبر الثالوث اوجها للاله الواحد. كانا في النتيجة متهودين. وبولس كان محمي الملكة زنوبيا، والنافذين اليهود في قصرها غالبا. اجتمع عليه الاساقفة ٣ مرات تقريبا في انطاكية. في المجمع الاخير (٢٦٨) استعانوا بكاهن ضليع اسمه ملخيون فغلبه. فرزه المجمع وشجب استعماله للفظة «المساوي بالجوهر» او بصورة ادق «ذو الجوهر الواحد» homoousios

الفصل الثاني

الصراع حول عقيدة الثالوث

فالتوحيد التثليثي والتجسد الالهي صليبان كبيران لرجال الفكر. وما طال الامر حتى برز ناكر جديد للتثليث في الربع الاول من القرن الرابع الا وهو آريوس الشهير. دانه الكسندروس اسقف الاسكندرية. وكان له رفقاء دراسة كبار، فساندوه. انعقد في العام ٣٢٥ المجمع الاول المسكوني في نيقية للنظر في الخلاف. يرى البعض اليوم ان اسقف انطاكية القديس افستاتيوس ترأس المجمع. التقى في الايمان مع الكسندروس الاسكندرية سلفستروس روما والشماس اثناسيوس. اوسيوس اسقف قرطبة باسبانيا كان مستشاراً دينيا للملك قسطنطين. هو ذو الفضل في نجاح المجمع. فاقحم لفظة «المساوي بالجوهر» في صلب دستور الايمان الذي شرعه لنا المجمع. واستعمل المجمع لفظة جوهر كمرادف للفظة اقنوم. وكان ذلك منطلقا لصراع لفظي. واستعمل المجمع لفظة جوهر كمرادف للفظة اقنوم. وكان ذلك منطلقا لصراع لفظي عقائدي واسع جدا. ومع ان اثناسيوس في مصالحة ٣٦٢ في مجمع الاسكندرية قد رضي مع المتصالحين باستعمال عبارة «جوهر واحد، ٣ اقانيم» فانه بقي حتى آخر حياته يستعمل لفظتي جوهر واقنوم كمترادفين. ففي رسالته الى الافريقيين في العام ٣٦٩ يقول ان الجوهر هو الاقنوم ولا يعني سوى الكيان نفسه (مين ٢٦ : ١٠٣٦). وبهذا تكون لفظة المساوي بالجوهر تعني ايضا المساوي بالاقنوم. والترجمة الحرفيّة الصحيحة «من ذات الجوهر (الواحد)= من ذات الاقنوم (الواحد)». وفي ذهن القائلين هكذا تكون لفظة «٣ اقانيم» تعني ٣ جواهر اي ٣ آلهة. وفي تحديد المجمع الرابع سنرى ان يسوع مساو للاب بالجوهر الالهي

ومساو لنا بناسوته. وفي هذا اشكال ايضا. فمساواته للاب هي غير مساواته لنا. هو والاب والروح القدس يملكون جوهراً الهيا واحداً بالتمام غير مجزّإٍ بينهم وبدون ان يكون بينهم اي انفصال او فراغ. فكلّ ما في الثالوث جوهر كما قال باسيليوس (مين ٣١ : ٦٠٤) وليس فيه عرض. اما نحن البشر فافراد منفصلون عن بعضنا بعضا. الطبيعة البشرية موجودة فينا. ولكن يمتلكها كل واحد على حدة. لا يسكن احد منا في الآخر سكنى تامة. وهكذا نرى ان اللغة اليونانية بكل عبقريتها الفريدة عاجزة. ولكن اريوس كان تلميذا لمؤسس مدرسة انطاكية لوكيانوس. وكان تلاميذ هذا جمهرة بينهم افسابيوس قيصرية فلسطين ابو التاريخ الكنسي وافسابيوس مطران بيروت سابقا ثم مطران نيقوميذية وسواهم. ويبدو ان لوكيانوس كان رجلا غريبا جدا. تخريجه هذا العدد من رجال الفكر المصارعين يدل على انه قوي الشخصية والفكر. انما غضب ٣ اساقفة انطاكيين متتالين عليه يدل على انه مشاكس كبير. تعصبه لابن بلده بولس السمسياطي اسقف انطاكية (الذي خلعه مجمع انطاكية العام ٢٦٨) يدل على انه رجل تحزب وعصبيات رهيب (١). فبولس جاحد للثالوث ومستهتر اخلاقيا. وطد عرشه على نفوذ الملكة زنوبيا ونفوذ اليهود لديها. ولكن لوكيانوس مات شهيدا العام ٣١٢ فغفرت له الكنيسة واعتبرته شهيدا.

تمزق الكرسي الانطاكي، لا فرق فيه بين ان يكون الحكم اراميا او يونانيا او مسيحيا. ونجح الاريوسيون في الوصول الى قسطنطين. ونشأت معركة جديدة حول «المساوي بالجوهر». وذهب افستاثيوس الى المنفى.

اتى ايرونيموس بريه قنسرين (طريق حماه — حلب) بعد حوالي ٥٠ عاما فلاحظ استعمال عبارة ٣ اقانيم. الترجمة الحرفية الى اللاتينية تعني ٣ جواهر وبالتالي ثلاثة آلهة. ولكن شعر بان المضمون صحيح. كتب الى البابا داماسوس في العام ٣٧٦ و ٣٧٧ يعرض الوضع وكيف ان اتباع ملاتيوس يستعملون عبارة «٣ اقانيم» ويشرحونها بما يفيد التثليث. الا انه يتخوف من لفظة «اقنوم» ويمجها لان ترجمتها

(١) سيأتي في الكتاب ذكر تعصب الانطاكيين لنسطوريوس.

الحرفية الى اللاتينية تعني «جوهر» فيكون معنا ٣ جواهر اي ٣ آلهة. وهذا شرك. ويخشى ان يكون وراء الالفاظ بدعة ما مبطنة.

ولم تكن علاقة باسيليوس على ما يرام مع داماسوس بابا روما. فكانا مختلفين على الالفاظ وعلى مسائل كنيسة انطاكية. فباسيليوس كان يعترف بملاتيوس. والغرب والاسكندرية كانتا تعترفان ببافلينوس اسقف اقلية ضئيلة. وكان شرقيون وبخاصة اسكندرانيون يزودون روما بمعلومات كاذبة حتى ان بطرس اسقف الاسكندرية خليفة اثناسيوس الهارب الى روما كان يشحن صدر روما ضد ملاتيوس.

وكان باسيليوس في عصره بولس جديدا يهتم بالكنيسة الجامعة، ولكنه لم ينجح خلال حياته في مساعيه الحثيثة لمصالحة اثناسيوس وداماسوس مع ملاتيوس بالرغم من تساهل اثناسيوس. فان مستشاري ملاتيوس كانوا يعكرون صفو المساعي المبذولة. ولكن روما تجاوبت مع رسالة باسيليوس فعقد داماسوس في نهاية ٣٧٧ وربما في العام ٣٧٨ مجمعا حضره بطرس اسقف الاسكندرية دان فيه اريوسيين وسواهم[1] ووافقت الاسكندرية (٣٧٨). وتدخل القصر لمصالحة الاسقفين في انطاكية فاعترف بملاتيوس ورضي بافلينوس ان يكون تحت امرته (٣٧٩). وفي ايلول — تشرين الاول ٣٧٩ عقد ملاتيوس مجمعا في انطاكية من ١٥٣ اسقفا اعاد فيه الشركة مع الغرب ووقع على رسالة المجمع الروماني لعام (٣٧٢) وبعض الوثائق اللاحقة. وفي العام ٣٨٠ عقد مجمعا اعلن فيه وحدة الايمان مع الشرق وترادف لفظتي «شخص» و «اقنوم»، مهللا للاتفاق الواقع بين الغرب والشرق (مين اللاتيني ١٣ : ٣٧١ حيث الرسالة ٧ لداماسوس و ٣٥١ و ٣٥٨؛ في كتاب «الكنيسة والكنائس، المجلد ١ عرض تاريخي في ص ٢٦١ — ٢٧٧).

هذا العرض ينقض قول جفنيك في مجلة Messager (اخر ٩٧٣ ص ١٦٠ و حا ٣٥) الذي يتهم فيه الغرب بالتعامل مع الاريوسيين والسابليين والابوليناريين.

(٢) اصدر ٨ حرومات ضد سابليوس واريوس وافنوميوس ومكدونيوس وفوتينوس. ويبدو من رسالة داماسوس ٧ ان ابوليناريوس اللاذقية وتيموثاوس بيروت قد ادينا ايضا.

فدامسوس وقع في ضلال وقع فيه غرينوريوس اللاهوتي مع الابوليناريين ثم تراجعا (رسالته الى ابيكتيتوس وترجمتها الفرنسية مع المقدمة، وايضا داليس). الا ان جفنيك هذا احسن بابراز دور غريغوريوس اللاهوتي في تحديد العقيدة.

فهناك خلافات وانقسامات اسقفية لا عقائدية اصيلة. لذلك ما تأخر السلام. فمنذ صالح اثناسيوس الشرق والغرب في مجمع الاسكندرية في العام ٣٦٢ (الرسالة الى الانطاكيين ٥و ٦) بلباقاته ومرونته وسحر شخصيته وبروز باسيليوس في الساحة هب نسيم جديد على الكنيسة. فاعتبر غريغوريوس اللاهوتي المعركة على الالفاظ بين الشرق والغرب معركة تافهة ما دام المعنى واحداً للفظتي شخص واقنوم (خطبتاه ٣٩ : ١١ و ٤٢ : ١٦ في العام ٣٨١ حيث يبدو ان الامر مفروغ منه قبل هذا التاريخ). وذكر النيصصي هذا الترادف (في مين٤٥: ١٧٧ و١٨٠ وفي مين٣٩ : ١٠٠). وفي انطاكية انعقد مجمع في العام ٣٨٢ وزال الالتباس (ثيوذوريتوس، التاريخ الكنسي ٥ :٩ وفي مين٨٢ : ١٢١٢ — ١٢١٧ وداليس ٤١ — ٤٢ وقاموس التاريخ والجغرافيا ٣ : ٥٧٤ و و...)

ولم يكن الخلاف بسيطا. فالغرب استعمل لفظة «شخص» والشرق لفظة «اقنوم». الترجمة الحرفية من اللاتينية الى اليونانية للفظة «شخص» تعني «وجه، قناع، مظهر، دور مسرحي...». اليوناني يتوهم ان اللاتيني يؤمن مثل سابليوس بثلاثة اوجه للحقيقة الواحدة. والترجمة اللاتينية الحرفية للفظة اقنوم اليونانية تعني «جوهر». فاليوناني يبدو للاتيني مشركا يقول بثلاثة جواهر أي ٣ الهة.

الا ان القرن الرابع هو قرن اقطاب ورجالات محترمين. ففي الغرب كان امبروسيوس اسقف ميلانو ينسخ لاهوت باسيليوس وغريغوريوس واتى ايرونيموس القسطنطينية خصيصا ليسمع غريغوريوس الذي دوت خطبه في آفاق دنيا المسيحية. حتى في باب عقيدة الروح القدس قال دي رينيون ان اللاتين كانوا تلاميذ اليونان. فتطرف جفنيك وسواه مرفوض. الانسان انسان اينما كان في الدنيا. الا ان الغيرة على الايمان كانت متوفرة. لدامسوس عيوب شكا منها باسيليوس الا ان الخلاف قام على اسس احتاجت معالجتها الى زمن.

لنعد الى موضوع الفرق بين الجوهر والاقنوم.

باسيليوس الكبير كتب الى اخيه غريغوريوس. رسالة يشرح فيها له الفرق بين لفظتي جوهر واقنوم فجعل الاقنوم شبيها بقولنا شخص بطرس وشخص بولس، وجعل الجوهر شبيها بقولنا الطبيعة البشرية الواحدة فيهما. واضاف ان هذا التشبيه ضعيف وان الفرق بين اللفظتين هو الفرق بين الخاص والعام (الرسالة ٣٨).

وهذان الحادثان يدلان على ان بعض الجهات في الشرق طورت لفظة اقنوم التي تعني ايضا في اليونانية «الوضع تحت، مسند» support

ولكبادوكية علاقات متينة مع الكرسي الانطاكي بفضل المتاخمة والعرق. فلفظة كبادوكية آرامية. وكان الفرس واليونان يسمون الكبادوكيين «السوريين البيض» (دائرة معارف لاروس ومعجم التاريخ والجغرافيا الكنسيين). وكانت علاقة باسيليوس اللاهوتية بانطاكية متينة فضلا عن علاقته الشديدة المتانة باسقفها ملاتيوس. ويطول الشرح ان اردنا الحديث عن تأثير الكبادوكيين الثلاثة (باسيليوس واخوه غوريغوريوس النيصي وصديقهما غوريغوريوس اللاهوتي) في الكرسي الانطاكي لاهوتيا وروحانيا ورهبانيا وشخصياً.

هؤلاء الثلاثة لعبوا دوراً رئيسياً في تحديد معاني الالفاظ اللاهوتية. اللاهوتي منهم ما زال حتى اليوم المرجع المسيحي الاول في شرح عقيدة الثالوث القدوس. وهو النجم اللامع المنير للمجامع المسكونية منذ الثاني حتى السادس[(١)].

في الغرب كان ترتليانوس منذ القرن الثالث قد نحت بعض الالفاظ اللاهوتية منها «شخص» persona . اصطدمت في الشرق بترجمتها الحرفية: «وجه، قناع، دور مسرحي، مظهر، ...» بدت رائحتها للشرقيين سابليا نوسية. ولكن سرعان ما

(١) يقول عنه كنون برايت الانكليزي في كتابه «تاريخ الكنيسة» (ص ١٨١) ان رسالتيه الى كليدونيوس هما من وثائق القرن الرابع التي ترفض سلفاً بدع القرون التالية. وحتى توما الاكويني اقر له بانه الوحيد بين آباء الكنيسة الذي ليس له اي رأي يحيد عن جادة الصواب (الصفحة الاولى من ترجمة غاليه لخطب غريغوريوس الخمس اللاهوتية الى الفرنسية).

ادرك عقلاء القرن الرابع المعنى المقصود فقبلوا جعل «شخص» مرادفا «لاقنوم». ومن حسن حظ القرن الرابع ان اثناسيوس كان واسع النفوذ في الغرب وانه كان ينحني اجلالا لباسيليوس. كبار ذلك العصر تعاضدوا فاستنجد مثلا باسيليوس باثناسيوس للضغط في الغرب ضد فالنس الامبراطور الذي اضطهدنا. ونزل اثناسيوس عند رغبة كومنوس (والي) انطاكية صديق باسيليوس للرضى بمصالحة اسقفها ملاتيوس صديق باسيليوس.

المجمع المسكوني الاول سنّ «دستور الايمان». قال بالوهة الابن. ودحض نفي الاريوسيين وجود روح في ناسوت المسيح (غريلماير، ص ٢٢١). ثم انعقد المجمع الثاني المسكوني في القسطنطينية في العام ٣٨١ فتمم الدستور واوضح لنا الوهة الروح القدس.

رجال البدع حاولوا فهم المسيحية على ضوء العقل وارسطو اليوناني. خصومهم رفضوا ان يكون ارسطو الوثني حكَماً في امور اوحى بها الله ولا تقبل ان تنزل الى مستوى معادلات رياضية[1]. فالدين يقوم على الايمان بامور غيبية. نستعمل نور العقل لاستجلاء ما يمكن استجلاؤه من الغموض. فاما ان يقبل المرء الوحيَ اليهودي — المسيحي ككل واما ان يرفضه ككل. التجزئة مستحيلة. هنالك العهد القديم توطئة للعهد الجديد. من قَبلها قَبِلَ ما فيهما من امور تفوق العقل. وفي العام ١٩٤٧ تم اكتشاف نسخ من العهد القديم قرب البحر الميت تعود الى القرنين الاول والثاني قبل الميلاد. المسألة هي مسألة ايمان بالكل او رفض للكل. والتدقيق التاريخي والمخطوطاتي يلعب دوره في تكوين القناعة.

ما هي الصدمة التي نالها العقل اليوناني؟ لم يستطع ان يفهم كيف ان الله واحد = ثلاثة. علماء الكنيسة في القرن الرابع واجهوا الامتحان القاسي بصمود كبير جدا. انه عصر الفحول والاقطاب. انبرى للمهمة اثناسيوس الاسكندري

(١) الدمشقي قال ان ارسطو هو ابو الهراطقة. غريغوريوس اللاهوتي اتهم ابوليناريوس بارسطويته. في ص ٣١ داليس ذكره والانطاكيين كأرسطويين. مايندورف نوه (١٧ و ١٨) ان ثيوذوروس وتلميذه نسطوريوس حاولا اعطاء تفسير عقلاني للتجسد.

وباسيليوس الكبير والغوريغوريوسان اللاهوتي والنيصصي (اخو باسيليوس) وسواهم. لم تكن اللغة اليونانية ولا الفلسفة اليونانية قادرتين على احتواء مضمون الوحي مع ان اللغة اليونانية هي لغة العلم والفلسفة حتى يومنا. وهي لا تجارى في باب القدرة على التعبير عن ظلال المعنى كما قال باركلي [1]. الفلسفة اليونانية فلسفة ماهيات ومنطق ومقولات ارسطوية. كدَّ الاقطاب المذكورون اذهانهم فنحتوا المعاني الجديدة لبعض الالفاظ اليونانية. لم تكن الفلسفة اليونانية تعرف مفهوم «الشخص» بالمعنى المعاصر في الفلسفة. فقال الاقطاب: ان جوهر الثالوث واحد واقانيمه ثلاثة. لفظة اقنوم سريانية. وهي ترجمة للفظة hypostasis اليونانية: استعمل اللاتين لفظة «شخص» persona . ترجمتها اليونانية تعطي مفهوما آخر. اتفق اللاتين واليونان على المعنى وجعلوا لفظة «شخص» مرادفة للفظة «اقنوم». وقالوا صراحة بان وحدة الجوهر تتنافى مع تعدد الآلهة. فالشرك يقوم على تعدد الجواهر. تعدد الآلهة يعني تعدد الجواهر. الالوهة واحدة. الالوهة هي جوهر (باسيليوس الكبير، ضد سابليانوس وآريوس وافنوميوس ٣ــ ٥ في مين ٣١ : ٦٠٤ــ ٦٠٥ و ٦٠٩ وعن اصل الانسان، ص ١٧٥ من مجموعة S.C' في الروح القدس ١٧ : ٤١ في مين ٣٢ : ١٤٤؛ النيصصي ٤٥ : ٣٣؛ اللاهوتي، الخطبة ٣١ : ١٥ــ ٢٠ في مين ٣٦ : ١٤٩؛ راجع ايضا رسالة باسيليوس ال ٣٨ : ٤ في مين ٣١ : ٣٣٢ــ ٣٣٣).

ولما اشتط في القرن السادس يوحنا فيلبون انتهى الى القول بوجود ٣ آلهة.

فالتثليث يقوم على الاعتقاد بان الله واحد في ثلاثة اقانيم هم الاب والابن والروح القدس. وصلاة نصف الليل ايام الآحاد مترعة بهذه العبارة واشباهها. وكلمة «ابن» لا تعني ابدا ان الله قد تزوج. فالآب سرمدي، لا بداية ولا نهاية له. والابن كذلك. وولادته كذلك سرمدية لا بداية ولا نهاية لها. وهي ولادة روحيّة خارج الزمان والمكان. والكتاب المقدس نوَّع التسميات ليسوع. وكل تسمية منها

---

(1) Barclay, N. T. Words? p. 17

توضح لنا جانبا من السر العظيم. فلفظة «ابن» تعني انه من جوهر الآب، كما ان الابن من ابيه. ولكن الولادة روحية سرمدية قبل ان تكون الخلائق جميعا (باسيليوس، مين ٣١ : ٦٠٤ وغوريغوريوس اللاهوتي، العظة ٢٨ : ١٣ و ٢٩ : ٢ - ١٧ والذهبي الفم، العظتان ٤ : ٢ و ١٥ : ٢ على انجيل يوحنا والدمشقي ١ : ٨...).

ويخرج الموضوع نسبيا عن نطاق هذا الكتاب. فهو شائك ومتشعب. خصّه الاب تيوفيل دي رينون باربعة مجلدات كبيرة في مطلع العصر جمع فيها نصوص الآباء حول التثليث وقارنها وحللها[1].

اما بدعة اريوس، فبعد تمزيق واسع اثارته في شرقنا، اضمحلت شيئا فشيئا. وانما عاشت حينا في اوروبا لدى قبائل غزاة. وقد فشلت رغم الاضطهادات التي اثارتها لها سلالة قسطنطين (قسطنديوس، فالنس...)

(١) Etudes de Théologie..

الفصل الثالث

الصراع حول عقيدة التجسد الالهي :

المجمع الثالث (ابوليناريوس ، ثيوذوروس المصيصي ، نسطوريوس)

ولكن سرعان ما انصرف اللاهوتيون الى طرح نوعية «الاتحاد» بين جوهر يسوع الالهي وجوهره البشري. في انطاكية — على ما يرى داليس — جرى التأكيد على تمامية الطبيعتين (ص ٢٨). رئيس المدرسة الانطاكية هو ديودوروس المعروف باسقف طرسوس في كيليكيا. تلميذه ثيوذوروس اسقف المصيصة ذهب في الأمر الى نهايته تقريبا فصارت العلاقة بين الطبيعتين ادبية. جاء الرد من ابوليناريوس اللاذقي في العام ٣٥٢ وربما في العام ٣٦٠ (للنقاد اراء مختلفة). انطلق من ارسطو فقال ان اتحاد «الكاملين» مستحيل. فيسوع ، اذن ، لم يأخذ طبيعة انسانية كاملة. والروح (noûs باليونانية) هو النبرة العليا في الانسان لدى فلاسفة اليونان. لم يأخذ يسوع روحاً noûs . لأن «كلمة» الله حل محله. ولذلك ليسوع طبيعة واحدة. ابوليناريوس موحِّد من البداية حتى النهاية : طبيعة واحدة ، اقنوم واحد ، شخص واحد مشيئة واحدة ، فعل واحد[١] . انزعج صحبه اثناسيوس وباسيليوس والغوريغوريوسان من موقفه. في الاسكندرية تعرض المجمع المنعقد في العام ٣٦٢ برئاسة اثناسيوس للموضوع. ربما حوالي ٣٧٠ كتب اثناسيوس رسالة الى اسقف كورنثوس ببلاد اليونان يفند فيها الوانا من البدع تدخل فيها بدعة ابوليناريوس وبدعة خصومه وانبرى الغوريغوريوسان لمحاربته برجولة ومتانة. (داليس ٣٣).

(٢) الالفاظ المركزية في اللاهوت منذ البداية حتى نهاية المجمع السادس مطروحة لدى ابوليناريوس بما فيه لفظة «التقنيم». انه انفرد بطرح كل قضية الخريستولوجيا دفعة واحدة سبق فيها الزمن مع انه رجل بدعة.

اما امر الانطاكيين فلم يبلغ درجة مكشوفة من الخطر الا بعد ارتقاء نسطوريوس تلميذ ثيوذوروس كرسي القسطنطينية. فاندلع الخلاف بينه وبين سكان القسطنطينية وامتد الشرر الى انحاء العالم المسيحي. وهو وصحبه ارسطويون أيضاً. لذلك، بحق، لاحظ داليس ان الانطاكيين وابوليناريوس اللاذقي كانوا يلتقون في ارسطويتهم. انطلقوا جميعا من قول ارسطو باستحالة اتحاد «كاملين». حل المعضلة ابوليناريوس فقال بالبتر اي ان يسوع لم يأخذ روحا بشريا noûs. وحلها الانطاكيون بالتطرف في التمييز بين الطبيعتين حتى صار الاتحاد ادبياً.

الا ان اللغة اليونانية كانت من جديد عاجزة عن التعبير نسطوريوس عاد بالفاظ اللاهوت الاساسية الى معانيها في الفلسفة والمعاجم الى حد بعيد. تشدد كثيراً في تمسكه بالتقليد، ولكنه في الحقيقة والواقع لم يكن ذا كفاءة للهضم ولتمثيل التقليد. يبدو مشبعا من الكبادوكيين الا انه عجز عن الهضم. ويبدو من طلبه الى الامبراطور ان يبيد المبتدعين انه شديد الطباع وان في تصرفاته نبوة وفي خلقه جفوة. كان راهبا متشدداً. لا يخلو من الصلف والاعتداد بالذات. في كتاباته جهود **مضنية** للفهم، الا انه يخرج عن جادة الصواب والتقليد كلما حاول ان يفسر نظريته القائلة بوجود شخصين (الهي وبشري) في يسوع وشخص ثالث اسماه شخص الاتحاد. حاول عبثا تطبيق رأي غوريغوريوس اللاهوتي القائل ان المسيح واحد في اثنتين كما ان الثالوث هو اله واحد في ثلاثة اقانيم. لم يستطع ان يفهم هذا النص كما فهمه المجمع الرابع المسكوني. لا فلسفيا ولا لاهوتيا، لم يكن الشخصية المؤهلة لأن تفصل نقطة لاهوتية بالغة النعومة تتعلق بكيفية اتحاد الطبيعتين وبنوعية وحدة يسوع. بعبارة اخرى لم تكن لديه، انتولوجية antologie قادرة على الكلام الصحيح عن كيان être يسوع. وقد جنى على نفسه بخروجه على تقليد الكنيسة في كل مكان اذ رفض تسمية العذراء «اما لله». ومهما حاول المعاصرون بحجة مجمع الفاتيكان الثاني (كغيريلماير مثلا) او بأية حجة اخرى تلطيف الوضع، فان نسطوريوس يبقى ذا قفزات خارج تقليد الكنيسة وتعليم الآباء. فبعضهم — بما فيه غريلماير — يعتذر له

بالجهل. ولكن غريلماير نفسه يذكر انه كان عليه ان يعرف تسمية غوريغوريوس اللاهوتي للعذراء «اما لله» من خطبة هذا ذات الرقم ٣٧. وترد ايضا في الخطبة ٢٩ : ٤. ونسطوريوس كان يعرف مؤلفات غريغوريوس، ويذكر غريلماير ان افسطاطيوس اسقف انطاكية المخلوع في العام ٣٣٠ كان يعرف هذه التسمية (ص ٢٨٥). وفي العام ٣٢٥ ارسل اليكسندروس اسقف الاسكندرية الرسالة ١٢ الى زميله اليكسندروس القسطنطينية حيث وردت اللفظة (مين ١٨ : ٥٦٨). وقد عرف ثيوذوريتوس نفسه هذه الرسالة واوردها في تاريخه (١ : ٣ في مين ٨٢ : ٩٠٨). فهل جهلها نسطوريوس؟ وفي ورقة بردي قد ترجع الى اواخر القرن الثالث وردت اللفظة. ومنذ الربع الثاني من القرن الرابع تتكاثر الادلة والشهادات فجأة على استعمالها (راجع الحاشية ٤ ص ٤٣ من الترجمة الفرنسية مع النص اليوناني لرسالة غريغوريوس في العدد ٢٠٨ من مجموعة S.C). والذهبي الفم انطاكي اعتلى سدة القسطنطينية مثل غريغوريوس قبل ان يعتليها نسطوريوس. وهو يؤمن بان يسوع هو ابن الله وابن الانسان الذي صار انسانا لكي يصيّرنا اولادا لله. فوحدة شخص يسوع لديه بند ايمان رئيسي (الخطبة ٢ : ٣ على انجيل متى).

فمن الاسكندرية الى انطاكية الى القسطنطينية الى كبادوكية، اللاهوتيون والبطاركة كانوا في القرن الرابع مع الرهبان والشعب متعلقين بلقب «ام الله»: فلا يعقل ان ينفرد نسطوريوس في جهله. ولكن كان القصر معه.

جابهه في البداية المحامي افسابيوس الذي صار فيما بعد اسقف دوريليوم. تنطس للمعركة كيرللس الاسكندري. خاضها معه شلستينوس بابا رومية. تراشق الطرفان التهم. كيرللس الاسكندري استعمل عبارة اثبت التحقيق انها مدسوسة عليه باسم اثناسيوس بينما هي في الحقيقة من تأليف ابوليناريوس. العبارة هي: «طبيعة واحدة متجسدة للاله الكلمة». اتهمه خصومه بانه ابوليناري. تحولت المعركة الى نوع من الصراع المصري — السوري. انعقد المجمع المسكوني الثالث في افسس (٤٣١). تأخر اسقف انطاكية يوحنا فانعقد المجمع في غيابه (٢٢/ ٧/ ٤٣١) وحرم نسطوريوس. ووصل يوحنا فعقد مجمعا معاكسا وحرم مجمع كيرللس. الاكثرية

الساحقة مع كيرللس (حوالي ٢٠٠ ثم زادت) بينما ضم مجمع يوحنا ٣٧. وتوسع الانشقاق وغطس القصر فيه سلبا وايجابا. وكلفت العملية كيرللس افلاس كنيسته. ونجح اخيراً لأن خصومه من السوريين ارادوا انقاذ نسطوريوس وهم يعرفون انه انحرف عن الايمان القويم. ففي آب ٤٣١ بعثوا برسالة الى الامبراطور تدل على ان ايمانهم قويم. وهي نفسها (بعد اضافة فقرة عليها) صارت في العام ٤٣٣ رسالة المصالحة. وفي نص ٤٣١ ونص ٤٣٣ (اوردناهما دفعة واحدة في مكان آخر لأنهما وردا في نص ٤٣٣) يتضح ان الانطاكيين محافظون على تعليم آباء الكنيسة وبخاصة منه رسالة اثناسيوس الى ابيكتوس[1] ورسالة غوريغوريوس اللاهوتي الى كليدونيوس وخطبته الثلاثون[2]. وفضلا عن سعي القصر الدائب لفرض الصلح لعب إكاكيوس اسقف حلب ووكيله في المجمع بولس اسقف حمص والقديس سمعان العمودي ادواراً مجيدة للسلام. اعتبر كيرللس نفسه قد انتصر. واعتبر يوحنا وثيوذوريتوس اسقف قورش وهيباس انهم قد انتصروا. والحقيقة التي لا مراء فيها ان المنتصر الاكبر هو الايمان الارثوذكسي. فالانطاكيون جرّوا كيرللس الى جهد لاهوتي رائع عادت معه عباراته الابولينارية ذات معنى ارثوذكسي لا ابوليناري. وكيرللس جرَّ الانطاكيين الى تعمق واسع في آباء الكنيسة ووضع النبرة على وحدة شخص يسوع. في النص المتفق عليه نرى نبرة كيرللس على الوحدة ونرى نبرة الانطاكيين على الطبيعتين[3]. اما لفظة «هيكل» فليست خاصة بالانطاكيين كما يرى باردي (في فليش ومارتان). فقد استعملها اثناسيوس واستعمل سواها مثل «بيت»، «اداة»، «ثوب»، «رداء»، (الرسالة الى ابيكتوس ٢ و ٤ و ١٠؛ الى

---

(١) يوحنا الانطاكي اعطاها اهمية كبيرة. وكانت نسخته غير سليمة، فامدّه كيرللس بنسخة امينة (رسالة المصالحة). وهي حقا ايمان ارثوذكسي.

(٢) وتشبيهها الخطبة ٧ للذهبي ضد افنوميوس.

(٣) ليس ضعف الانطاكيين قائماً في وضع النبرة على الطبيعتين بل يقوم على جعلها اقنوما مناظرا للاقنوم الالهي. وقوة كيرللس قائمة في التركيز على وحدة يسوع وعلى اقنومه الالهي الذي اتخذ في الزمن بشريّة تملكها، صيرها ملكا له بضمها الى اقنومه الالهي.

اديفيوس ٣ : ٤ ؛ في التجسد ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ؛ نبذة في مين ٢٦ : ١٢٤٠). والذهبي استعملها في شرح المزمور ٤٤ : ٢ . واستعمل لفظة «مسكن» في العظة ١١ على يوحنا.

هذا الصلح بين المعتدلين الانطاكيين ومصر وروما والقسطنطينية على حرم نسطوريوس وعلى نص لاهوتي رصين (وان كان غير تام) اخرج من جسم الكنيسة الجامعة المتطرفين ، فنشأت كنيسة نسطورية. تقلصت شيئاً فشيئاً عبر التاريخ . في العام ٥٨٩ اغلق الامبراطور زينون مدرستها في نصيبين. انتهت الى الانتشار في العراق وفارس وحتى الصين ، بديناميكية نادرة يحميها القصر الفارسي ويوغر صدرها على القسطنطينية . ولغويا انثنت الى اللغة السريانية حتى بدت قومية. ولعبت دورا بارزا في نقل العلوم والفلسفة الى العربية.

نسطوريوس قال بوجود اقنومين وطبيعتين وشخصين وشخص اتحاد. ورفض القول ان مريم هي ام الله . وقال ايضا بالمشيئة الواحدة والفعل الواحد. وحرص شديداً على تبرئة لاهوت الابن من الاوصاف البشرية لدرجة اضعف معها الاتحاد جدا . النبرة لديه موضوعة على الطبيعتين مهما حاول الكلام عن الاتحاد. بالمقابل قال المتصالحون ان يسوع واحد وان الاتحاد صار من طبيعتين وان اللاهوتيين يستعملون ٣ طرق : ١— ينسبون اللاهوتيات الى اللاهوت. ٢— ينسبون البشريات الى الناسوت. ٣— ينسبونها جميعا الى الشخص الواحد يسوع. ولهذا فمريم هي حقا ام الله بفضل وحدة يسوع.

الفصل الرابع

المجمع الرابع المسكوني ونتائجه.

(اوطيخا، ديوسقوروس)

هذا النص مرحلة فقط. لم يحل المعضلة حلا تاماً. لذلك مقابل انفصال النساطرة الذين يثنون الاقنوم ويوهنون الاتحاد، انتج التعصب لكيرللس الاسكندري بدعة اوطيخا (افتيشيوس). هذا الراهب القسطنطيني المتعصب لكيرللس ذهب الى امتزاج الطبيعتين. حرمه مجمع القسطنطينية (العام ٤٤٨). كان نفوذه على الخصي خريسافيوس النافذ الكلمة في القصر قاطعاً. دعا الامبراطور الى مجمع في افسس (برئاسة ديوسقوروس الاسكندري) يمنع ثيوذوريتوس اسقف قورش من حضوره. ارتكب ديوسوروس غلطته الكبرى. اراد ان يقلد كيرللس فاساء التقليد. كيرللس لاهوتي كبير وعميق جدا. ولولا اندساس العبارات الابولينارية عليه لما احتاجت الكنيسة ولاهوتيوها الى الجهود المضنية ونكبات الدهر طيلة قرون. وكيرللس تبنّى الحقيقة، بتطرف فاحش وصارم، دون ان يخسر كل مرونته. فما ان بدت بوارق الانفتاح الانطاكي حتى اسرعْ في تفهم المواقف والعبارات، وسعى الى وحدة الكنيسة بخطى حثيثة. ديوسقوروس تبنى اوطيخا تبنيا اعمى. وضرب عرض الحائط برومية والقسطنطينية وسواهما. ولم يدم النصر المزور. مات الامبراطور ثيودوسيوس الثاني وخلفته اخته بلخاريا التي ضمت اليها ماركيانوس امبراطوراً. فانعقد المجمع الرابع المسكوني في خلقيدونية قرب القسطنطينية في ٨/ ١٠/ ٤٥١ وحضر من الكرسي الانطاكي وفد كبير يناهز المائة.

وادرك ديوسقوروس ان اوطيخا مبتدع ، ولكن بعد فوات الاوان. فكانت تصفية للحسابات شخصية. وبئس التصفية هذه التصفية.

اوطيخا مزج الطبيعتين بصورة كفرية فقال بطبيعة واحدة الهية. المجمع الخلقيدوني تبنى التطورات اللاهوتية التي طرأت منذ ظهور بدعة نسطوريوس. فقد طغى تيار الآباء الكبادوكيين باسيليوس والغريغوريوسين الى تحديد معان جديدة للالفاظ اللاهوتية المتعلقة بالمسيح على غرار تحديداتهم لها في شأن الثالوث القدوس. وكان غوريغوريوس اللاهوتي بطل هذا التيار في الاساس بخاصة في رسالته الى كليدونيوس. فجاء تحديد المجمع الرابع تكملة طبيعية لرسالة المصالحة كما يرى المطالع لكلا النصين في مكان آخر من هذا الباب. الا ان هذا المجمع ابدى الحاحه الزائد على وحدة يسوع وعلى وحدة اقنومه. وجعل لفظة «شخص» مرادفة للفظة اقنوم. وقال مثل غوريغوريوس اللاهوتي وايسيدوروس الفرمي وبروكلوس القسطنطينية ولاون رومية باقنوم واحد في شخصين (١). وحرم اوطيخا وديوسقوروس. وكان حرم الاخير تسرعاً كبيراً ، لأن البحث اثبت ان الخلاف شخصي لا عقائدي كما ذكرنا في مكان آخر. ولم يكن في الصف الارثوذكسي انذاك خليفة لكيرللس يلجأ الى الحكمة بدلاً من التشفي. ومصر كتلة واحدة وراء رئيسها سواء كان فرعونا او بطريركاً. وكان في ايام كيرللس قد قوي جدا الاستقلال الكنسي والسياسي لبطريرك مصر. انثنت مصر على نفسها وراء اسقفها. وغالت في الانزواء حتى تحول الانزواء الى انطواء وانفصال ديني — سياسي — قومي — لغوي. وليس الامر بطارىء في تاريخ مصر. فردة فعلها على الصدمات القاسية التي تأتيها من الشرق كانت مرارا في التاريخ انطواء صبوراً. اما في مشرقنا فحمي وطيس الصراع والنقاش. وفي الفترات

(١) اثناسيوس قال في رسالته الى ابيكتوس (٩) : «الوهة واحدة معروفة في الثالوث». الا ان غوريغوريوس اللاهوتي توسع في الامر حتى صار كلامه سنّة سار عليه اللاحقون فنقل عبارة اللاهوت الى التجسد.

الساخنة من التاريخ كان دوما لمصر فيه انصار واصدقاء. فالاوفياء لذكرى كيرللس كثيرون (١).

مصر تقلصت على نفسها تجترّ اقوال كيرللس حرفيا دون غوص الى ما بعد حرفية اقواله ودون تفريق بين ما قاله قبل المصالحة وبعدها. ولذلك جاءت عباراتها اللاهوتية مشابهة تماما للعبارات الابولينارية: اقنوم واحد، طبيعة واحدة، مشيئة واحدة.

الا ان المضمون غير ابوليناري. المضمون ارثوذكسي لأن كيرللس قال بوجود روح في ناسوت يسوع وبان يسوع اله كامل وانسان كامل.

القائلون بالطبيعة الواحدة (وقد اندس عليهم ابوليناريون) (داليس... و ٢٨٩) كما اندس علينا نسطوريون (مايندورف ٤٤). اعتبروا مجمع خلقيدونية انتصاراً نسطورياً. واستمروا دهراً يحكمون على الارثوذكس بمنظارهم الشخصي. لم يهتدوا الى ارتداء منظارنا ليفهموا رأينا. المجمع الرابع المسكوني قام بانقلاب جذري في استعمال الالفاظ اليونانية، فانقذها من الغموض والابهام والالتباس. وفي موضع آخر من هذا الكتاب تعرضنا بدقة للموضوع. فبينما استعمل نسطوريوس لفظة «شخص» في اليونانية بالمعني الوارد في المعاجم (اي «وجه»، «قناع». «مظهر»، «دور»، ...) قال المجمع: ١ ـــ بترادف لفظتي «اقنوم» و«شخص». فليس ليسوع اقنومان و٣ اشخاص كما قال نسطوريوس. ٢ ـــ بان يسوع اقنوم واحد في طبيعتين كاملتين. ٣ ـــ بابطال الترادف بين لفظتي «اقنوم» و«طبيعة» في اليونانية. فجعل لفظة اقنوم ولفظة شخص ذات معنى واحد، وصرف لفظة طبيعة لتعني جوهر الناسوت أو اللاهوت. فالارثوذكس مثلا يرفضون اليوم رفضا قاطعا كفريا ان يقول احدهم ان ليسوع اقنومين او ان يسوع واحد تألف من اقنومين. القول ان له اقنومين

(١) من مطالعة رسائل ثيوذوريتوس اسقف قورش يلمس المرء تمرمره من الوشاة الذين يشون به لدى الاسكندرية والقسطنطينية، ومن المتقلبين المتذبذبين، ومن المنافقين المدجلين. وهو مثقف حلو الشخصية وجذابها. وفكر مرارا بالعودة الى الدير قرفا.

يعني لنا انه اثنان لا واحد. والقول انه تألف من أقنومين يعني ان الطبيعة البشرية اقنوم. وتاليف واحد من شخصين مستحيل لأن الشخص غير قابل للاتحاد التام مع شخص آخر. هذا فضلا عن ان الطبيعة البشرية لم تكن موجودة قبل البشارة لتدخل عنصراً في التأليف. ولا نقبل ان يقال ان يسوع كان اثنين قبل الاتحاد ثم صار واحدا بعده لأن الاقنوم الالهي وحده كان موجودا قبل التجسد. وفي التجسد اخذ من العذراء ناسوتا ضمه اليه.

في مصر كان الصراع محدوداً في الزمان والمكان لانها اختارت الانفصال فبقي الارثوذكس نسبة محدودة حتى يومنا هذا. في القسم الشرقي من المتوسط حمي الوطيس. الفردية وعدم الاستقرار واختلال التوازن وتبدل المواقف امراض عريقة في سوريا. لذلك يرتكب خطأ، الكتبة الذين يتوهمون ان سوريا خسرت في معركة افسس. خلقيدونية وما تلاها حتى اليوم اثبتا انها قادرة دوماً على التمزق احزابا وشيعا ومذاهب انما يبقى فيها للخط القويم انصار عديدون جدا. قد لا يكونون اهل مغامرة وديناميكية ونضال مرير الا انهم اهل صمود[1]. شهرة مصر قامت على مدينة الاسكندرية. اما المدن السورية فكانت قلاعا للثقافة والفكر. مصر تقف صفا واحدا وراء رئيسها. السوريون مشاكسون عشاق للانقسام والتباين[2]. شكري القوتلي عبر عن فهم عميق لما قال لعبد الناصر: «... شعباً كل من فيه يعتقد بانه سياسي و ٥٠٪ منه يعتقدون بانهم زعماء و ٢٥٪ منه بانهم انبياء و ١٠٪ منه بانهم آلهة ومنهم من يعبد الله ومنهم من يعبد الشيطان...» (الاهرام ٥/ ١٠/ ١٩٦١).

واوردها تييري دي شاردان بعبارة قريبة في كتابه ١٠٠ مليون عربي. وقال تشرشل في العام ١٩٦٣: الشعب السوري لا يعرف كيف يحكم نفسه ولا يدع سواه يحكمه. واذكر ان صديقا قال لي منذ حوالي ٣٠ عاماً: «الجنرال كوليه

---

(١) قاموس التاريخ والجغرافيا الفرنسي شهد لنا (٣: ٥٨٨) ورنسمان الانكليزي يقدرنا عميقاً.

(٢) ديون سومر، تاريخ الارامين، ص ٤٨.

(المندوب الفرنسي في دمشق) قال : هذا الشعب السوري حيّرنا. يتحرك حين نحسب انه لن يتحرك. وينام حين نحسب انه سيتحرك». كل هذا يدل على حيويته ونبوغه من جهة ولكن على صعوبة مراسه وتباين ارائه ومواقفه من جهة اخرى. وهذا ما نسبته يوماً في فصل من كتاب ظهر بالفرنسية الى نوعية التناقص اللاشعوري — ambivalence (١). فنوعيته خاصة جدا. وتلعب الدور الرئيسي في تكوين الصعوبات الرئيسية في نفسية السوري ومواقفه مهما اعطته من جهة اخرى امكانات للتفتح والبروز. ولسنا هنا في معرض تحليل نفسي وانما اردت لفت النظر لفهم طبيعة القوى النفسية التي حركت تاريخنا في تلك الفترة الخطيرة المصيرية من تاريخنا.

ومع كل ما جرى بقيت أكثرية الكرسي الانطاكي سورا للارثوذكسية كما قال المؤرخ المدقق الكبير ارنست شتاين. وبقي الصراع داخلياً دون انقسام تام الى كنيستين مستقلتين حتى العام ٥٤٣/ ٥٤٤. انما قسا الامر على الارثوذكس فيه بسبب مساندة زينون (رئيس جيش الشرق اولا ثم الامبراطور لاحقا) بطرس القصار على قلب بطريركنا وتنصيب نفسه مكانه وتنصيب صديقه فيلوكسينوس على كرسي منبج الهام. وخلع فاسيليسكوس زينون فترة، فشن فيها علينا اضطهادا كبيرا. وعاد زينون معتدلا حينا لينصرف فيما بعد الى مراعاة مصلحة الامبراطورية في وحدتها على حساب العقيدة الخلقيدونية، فمال اليه الطرف الاخر وتعرضنا لنقماته. وخلفه انسطاسيوس فاثارها فيما بعد حربا شعواء. فخلع بطريركنا انستاسيوس ونصب بدلا منه سويروس اعمق لاهوتيي الفريق الآخر (٥١٢). وتمتع الثلاثة بديناميكية مذهلة حقا، لا مثيل لها في بلادنا في ايامهم. ربما كان كرسينا قد تعب طيلة قرنين تقريبا من صراعات الاريوسية والابولينارية والنسطورية المونوفيزيبية التي كان ارضها المختارة. فجاءه غرباء ثلاثة يذكون النار. فبطرس القصار كان راهبا في خلقيدونية قد ترك ديره فجاءنا مع زينون القادم رئيس جيش لجيش الشرق. وفلوكسينوس فارسي وسوري صرف يجهل اليونانية. وسويروس من بيسيدية تعلم في

(١) Jacques Berque, l'Ambivalence...

الاسكندرية وبيروت واهتدى في بيروت وتنصر في طرابلس. وفي العام ٥٤٣/ ٥٤٤ شق يعقوب البرادعي الكنيسة واقام اكليروسا منفصلا. وكان ذا ديناميكية مذهلة حقا. الا انها لم تصل الى حد رسامة مائة الف شخص كما زعم البعض. فالمؤرخون السريان مغالون كما نرى من هذه الحادثة ومن حادثة الادعاء ان يوحنا تلة رسم ١٧٠ الفاً وان بابا رومية اغاثون رشى الامبراطور قسطنطين بمبالغ خرافية من الذهب[1] لاجل المجمع السادس المسكوني (٦٨٠). فسكان سوريا الطبيعية قبل الفتح العربي كانوا ٥ ملايين بحسب تقدير قاموس التاريخ والجغرافيا الكنسيين الفرنسي (المجلد ٣، العامود ٦١٣) فهل يتحملون مثل هذا العدد من رجال الدين؟ وفي (سوريا) سارت الامور نحو التباين اللغوي والعرقي. ففي العام ٣٦٣ اسس القديس افرام في الرها[2] (اديسا قديما) مدرسة لترجمة التراث اليوناني. مدرستا الرها ونصيبين انعشتا اللغة السريانية وادابها ونقلتا التراث اليوناني الى فارس ثم العرب. ومن نوافل الكلام ان النهضة الادبية تجر وراءها النهضة القومية. الا ان اكثرية سكان الرها بقوا ارثوذكسا قبل الفتح العربي كما يبين من المخطط المرسوم في كتاب ديسيليه (ص ١٦).

وبدلا من النقاش الديني بين الجيل الاول تحول النقاش الى الانكماش القومي. وهكذا انشطرت سوريا بنسبة لا بأس بها. الا انها بقيت سور الارثوذكسية (٣) حتى

---

(١) اي ما يعادل باسعار اليوم اكثر من مليار ليرة لبنانية. فهل هذا معقول في ذلك الزمان.

(٢) اي اورفا. تقع اليوم في تركيا. الى الشرق منها في تركيا نصيبين قرب القامشلي.

(٣) هذا رأي شتاين. واستغرب قول مايندورف ان لاون بابا روما كان خشبة خلاص للاهوتيين الانطاكيين من خطر الهبوط تحت ضغط موجة المونوفيزيتية (القول بالطبيعة الواحدة).

فانصار افتيشيوس قليلون رغم مساندة القصر. وكان اسقف انطاكية دومنوس ضده. ولم يستطيعوا النيل من احد الا عن طريق السلطة المدنية. هذا فضلا عن ان اساقفة روما والقسطنطينية وانطاكية كانوا ضد اوطيخا. وفشلت السلطة كالعادة بالرغم من الاساليب الزوراء. وما طال الامر فانقشع الغيم ووفد الانطاكيون الى خلقيدونية بحوالي ١٣٠ مندوبا بينما كانوا ١٥ في افسس ٤٤٩ مشمولين بمضايقات السلطة (راجع فليش ٤: ٢١٣— ٢٢٤). طبعا دور لاون كان عظيما.

ضربها زينون فنصب بطرس القصار اسقفا عليها في النصف الثاني من القرن الخامس. ومع ذلك تم اسقاطه مراراً وعاد الى السدة ٤ مرات. وكان اصحاب اي قسط من الثقافة في غربي الفرات يعرفون اليونانية. فالمتآخون في الارثوذكسية من الناطقين فقط بالسريانية أو المثقفين بالثقافة اليونانية بقوا على ارثوذكسيتهم. ولا صحة لزعم الزاعمين ان المتيونيين (اي المثقفين يونانيا) وحدهم كانوا ارثوذوكسيين. فمعجم التاريخ والجغرافيا المذكور نفى ذلك قطعا. فقال ان العنصر اليوناني في سوريا كان موظفين اداريين وعسكر وتجار. ولكن في الحيرة وشرقها انحاز الناس باغلبيتهم الى النسطورية بينما انتشرت اليعقوبية في غربي الفرات وحوله. طبعا لم تكن القسمة تامة. بقي للاورثوذكس في العراق رئيس ديني يلقب بالكاثوليكوس. وكان فيه يعاقبه. اما الارمن والاحباش فانضموا الى اليعقوبية[1].

(١) راجع الرقمين ٧ و ٨ في ثبت المصادر.

الفصل الخامس

المجمع الخامس المسكوني.

ولم يقف الامر عند الصراع الديني المبطن بالقومية بل تجاوزه الى ضراع اجتماعي واقتصادي. فالطبقة اليونانية العليا طبقة رأسمالية كبيرة عاتية. (رقم ٨ مصادر)

ما انقطعت محاولات التوفيق، عنفاً او سلماً. كان للقصر ادوار سلبية في كثير من الاحيان. اجتهد الامبراطور جوستننانوس في التوفيق في العام ٥٣٢ فعقد اجتماع للفريقين للتحاور. وان لم يات بالاتحاد، فانه على ما يبدو، ساعد على النضوج اللاهوتي. فمنذ ذلك التاريخ حتى ادانة المنوفيزيتية في القسطنطينية في العام ٥٣٦ نلاحظ نشاطا ارثوذكسيا لاهوتيا رائعاً. واخيرا انعقد المجمع الخامس في العاصمة في العام ٥٥٣. يرى النقاد ان هذا المجمع تأثر جدا بكيرللس الاسكندري واستعمل عباراته. استعمل عبارة «الاتحاد بحسب الاقنوم»[١] الواردة في الحرم الثاني من حروم كيرللس ضد نسطوريوس. وهذه العبارة مقبولة بعد ان فرق المجمع الخلقيدوني بين معنيي اقنوم وطبيعة. وبهذا يكون المجمع قد اخذ عبارة كيرللس الاخرى «الاتحاد بحسب الطبيعة». بمعنى ارثوذكسي لا بمعنى مونوفيزيتي. ويرون انه قبل عبارات كيرللس وسويروس الانطاكي وسواهما المتعلقة بالتمييز بين الطبيعتين «نظريا، فكريا...» فقط[٢]

---

(١) العبارة نفسها وعبارة «الاتحاد الاقنومي» دخلتا التداول منذ مجمع افسس كما سيجيء.

(٢) البند ٧ (في مجموعة المتشريع، ص ٤٦٩ ولكن الترجمة خطأ). ←

لم يكن سويروس انذاك على قيد الحياة ، والا لقابل المجمع بايجابية تامة او على الاقل كبيرة. فما كان الطرفان يتوقان اليه دون قدرة على التعبير الكامل عنه صار داني القطوف. فالمجمع الخامس عالج كيفية الاتحاد بين طبيعتي المسيح. قال مع لاونديوس الاورشليمي ان الطبيعة البشرية هي بلا اقنوم. ولكن حين التجسد صار اقنوم ابن الله اقنوما لها. فاقنوم ابن الله سرمدي مثل اقنوم الاب. عند ملء الزمان ضم اليه طبيعة بشرية كاملة. هي بلا اقنوم بشري. ولكنها صارت مقنمة اي ذات اقنوم في يسوع : اقنوم ابن الله صار اقنوماً لطبيعته البشرية. اتحاد شخصين (اي اقنومين) مستحيل. ولكن اتحاد جوهرين كالروح والجسد مثلا ممكن. ليسا شخصين بل شخصا واحداً. الجوهران ousia اللاهوتي والبشري اتحدا في اقنوم (او شخص) يسوع الواحد.

سويروس الانطاكي قبل وجود جوهرين في يسوع وصفتين وخاصيتين (مين ٨٦ ، ٢ : ١٨٤٨ ولوبون ايضا ص ٢١٥ و ٣٨٧). ويقبل بوجود فرق بين الجسد وكلمة الله (مين نفسه : ١٨٤٥). وهو ينفي المزج بين عنصري يسوع (لوبون ٢٣٠). وسويروس وفيلوكسينوس وقبلهم تيموثاوس الهر قالوا بان الجوهر البشري موجود في اقنوم الكلمة (لوبون ٤١١ — ٤١٢). وسويروس اعلن من صميمه استعداده للاعتراف بان مجمع خلقيدونية ولاون متفقان مع كيرللس الاسكندري ان صدر شرح يفيد ان خلقيدونية ولاون قالا بالتمييز الواقعي بين الطبيعتين ولم يقولا بالفصل بين اللاهوت والناسوت (حاشية ٦ من ص ٥٨٠ من المجلد ١ من Das konzil). لا شك ان هذا المطلب المشروع لقي جوابه في المجمع الخامس. فمناظرو سويروس من الارثوذكس لم يكونوا فحولا في اللاهوت بالرغم من كل الحصار الذي حاصره به يوحنا النحوي ليقرب تعبيره من تعبير خلقيدونية (١).

← مايندورف (١١١ — ١١٢) يعتبر الامر تنازلات بينما كان الامر مقبولا من الانطاكيين في ايام كيرللس الذي نوه بذلك في رسالته الى اكاكيوس ملاطية (الرسالة ٤٠ في مين ٧٧ : ١٩٣ — ١٩٦). واستعمله المجمع السادس ووثائقه (مجموعة التشريع ص ٤٩٥ و ٥٠٨. ولكن الترجمة ضعيفة. في ص ٤٦٩ ترجم «باسلوب مجرد»، في ٤٩٥ «الفهم وحده...»)

(١) واعترف سوميروس بان بعض الاباء قالوا (في صراعهم ضد الاريوسية) بثنائية الطّبيعتين والمشيئتين والفعلين. الا انه ضدها اليوم بسبب النسطورية (ص ٤٥٩ وحاشية ٤ من ٤٦٠ من المرجع نفسه).

ولكن لم يحصل التقارب النهائي. وامعن يعقوب البرادعي في الرسامات بلا تراجع حتى صرنا كيانين مستقلين متناحرين ما زادنا تعاقب الايام الا مشاحنات وبغضاء وانفصام عرى باسم المسيح والمسيح من هذا براء. فالاحقاد والمشاحنات والعناد والنعرات القومية والاستقلالية ضربت اطنابها كل مضرب. واذا استلهمنا قول ابن العبري (اليعقوبي الشهير في القرن الثالث عشر) في البيزنطيين والسوريين والارمن اهتدينا الى قسط وافر من الحقيقة. السوري حسود غيور. اذاً: هو مفطور على المناحرات والشقاقات. البيزنطي متعجرف. وهذا نلمسه في معاملة بعض الاباطرة والولاة. كما نلمسه فيما كتبه توما اسقف كفرطاب الماروني الى بطريركنا في العام ١٠٨٩! (رستم ٢ : ٦١ — ٦٢). والارمني يهودي جديد. ونعرف انكماشه الديني والعرقي.

ومع هذا كان المسيح في النتيجة اقوى من هذه الاعتبارات. فقد التقينا في الاعوام ١٩٦٤ و ١٩٦٧ و ١٩٧٠ و ١٩٧١ و ١٩٧٢ واصدرنا بيانات بعد دراسات جيدة.

كان لاهوتهم في النهاية لاهوت كيرلس الاسكندري وديوسقوروس وتيموثاوس الهروفيلكسينوس وسويروس الانطاكي ويعقوب البرادعي وسواهم. يتمسكون بحرفية اقوال كيرلس في الطبيعة الواحدة. وكيرلس يستعمل اللفظة مرادفاً للفظة اقنوم بينما نحن نفرق بينهما تفريقا قاطعا. ولكن صارت الصورة الان اكثر وضوحاً للطرفين.

وبعد هذا العرض لا بد من الملاحظة ان بطاركة انطاكية منذ دومنوس الثاني (٤٤١ — ٤٤٩) حتى افرام الآمدي (٥٢٧ — ٥٤٥) لم يكونوا على مستوى القضية في جميع الاحيان. ولم يكن الاساقفة ايام زينون والمغتصب فاسيليسكوس أفضل حالا. فوقّعوا للامبراطورين كما شاءا، فتهكّم عليهم المؤرخون (فليش ومارتان ٤ : ٢٨٨و ٢٩٠ و ٢٩٤ ...). الا انهم كانوا اقوى شكيمة في مجمع صيدا (تشرين الاول ٥١٢) برئاسة البطريرك فلافيانوس وحضور ايليا بطريرك القدس.

فعجز فيلوكسينوس اسقف منبج فيه عن تجميع اكثر من ١٠ اساقفة من اصل ٨٠ رغم وجود ممثل للامبراطور انستاسيوس حاميهم (فليش ٤ : ٣١٣). وهذا كله يذكرني بما كتبه الكاردينال نيومن عن الازمة الاريوسية فاعتبر الشعب حامي الايمان والصراع صراع اساقفة. حتى نصر ٥١٢ كان نصرا نسبيا لان البطريركين كتبا الى الامبراطور انسطاسيوس يعلنان قبولهم بمنشور الاتحاد الذي كان قد اذاعه الامبراطور زينون (٤٨١— ٤٨٢) مهتما بوحدة الامبراطورية لا بارثوذكسية الايمان فاهمل فيه خلقيدونية (فليش ٤ : ٢٩٢). هذا بينما كان بطريرك انطاكية كلانديون قد رفضه حين ظهوره. وسجل الامبراطور به فشلا اذ لم تنجح سياسته التوحيدية وذلك بفضل مقاومتنا له. الا ان ذلك كلف بطريركنا السقوط وحلول بطرس القصار مجددا في الكرسي (شتاين ٢ : ٢٥— ٢٦ و فليش ٤ : ٢٩٣— ٢٩٤). وشيئا فشيئا انحصر اليعاقبة في مصر وسوريا والعراق وارمينيا والحبشة : اختلطت القومية والدين الى حدود بعيدة حتى ان اتصالهم ببعضهم بعضا في عصرنا تم بمساعي بطريركنا المسكوني اثينا غوراس. وفي صيف ١٩٧٥ عقد بطريرك السريان مجمعا مسكونيا سريانياً بدون الأقباط والارمن والاحباش.

ما مذهب المسيحيين العرب قديما؟

في سوريا كان الغساسنة وسواهم من العرب الآخرين على هذا المذهب غالباً بينما كان اللخميون في الحيرة العراقية على مذهب النساطرة غالباً.

واستشرت الاحقاد فالتقى النساطرة واليعاقبة واليهود على التفاهم مع الفرس. فاجتاحوا المنطقة بما فيه الاسكندرية بدءا من العام ٦٠٤. وحاكم اليهود بطريرك الارثوذكس في انطاكية صوريا واغتالوه وجروا جثته. وخلع الفرس اساقفتنا باعلى نسبة ممكنة. فجاء هرقل وردهم على اعقابهم. ورغب بطريرك القسطنطينية (السوري واليعقوبي الاصل) ان يخدم الامبراطور، فطلع بنظرية توفق بين الارثوذكس واليعاقبة. فكان قول : للمسيح اقنوم واحد وطبيعتان وفعل واحد ومشيئة واحدة.

اتفق هرقل في منبج (محافظة حلب) مع بطريرك السريان اثناسيوس الجمال الذي عقد مجمعا من ١٢ اسقفا. وهرقل وعائلته مصابون بلوثة. استعمل العنف فرفضه الارثوذكس اجمالا الا نفرا منهم. هذا النفر مع قسم من اليعاقبة ألّف البدعة المعروفة في التاريخ باسم بدعة المشيئة الواحدة.

قاومها الراهب صفرونيوس الدمشقي الذي صار بطريركا على القدس واستقبل فيما بعد الخليفة عمر بن الخطاب (العام ٦٣٨)

وهكذا عرفت سوريا في العام ٦٣١ انقساماً جديداً حاول هرقل في العام ٦٣٨ في بيان عقائدي فرضه كعقيدة دولة ففشل في النهاية. الا انه نالنا من سلالته ما نالنا من اضطهاد. وصارت المذاهب ٤: ١ــ الارثوذكس ٢ــ النساطرة. ٣ــ اليعاقبة. ٤ــ اصحاب المشيئة الواحدة. هذه هي المذاهب الاصلية. والباقي فروع لاحقة. وقد رسم معجم التاريخ الكاثوليكي الفرنسي شجرة (المجلد ٣: ٥٨٣ و ٥٨٤) ترى فيها اننا اصل جميع المسيحيين في هذا المشرق. وعالج رستم الامر في المجلد ٢ جيدا.

الخلاف بين الارثوذكس واليعاقبة واهل المشيئة الواحدة كان سطحيا أكثر منه اساسياً. الا ان التشدد وروح الشقاق السوري المزمن قطعا الطريق طويلاً على الحوار البنَّاء.

من الناحية الفكرية العامة انعكس الصراع اللاهوتي المسيحي على الفكر بانقاذه من فلسفة الماهيات ووضعه في اطار مفهوم الشخص. ولما سار توما الاكويني وخلفاؤه على خطى ارسطو ضل الغرب السبيل حتى جاءت الفلسفة الوجودية على يد سورين كيركيغارد تمهد الطريق للشخصانية التي نادى بها بردياييف الروسي المهاجر ومونييه الفرنسي. وقد استلها الفكر المسيحي الا ان شخصانيتهما انثروبولوجية أكثر منها لاهوتية. الشخصانية اللاهوتية لدى كتبة الكنيسة الناطقين باليونانية اعمق بما لا يُقاس.[1]

(١) الحاشية ١٠ مصادر.

كنا نتمنّى لو ان المجال يسمح بالتعرض للفرق المسيحية في شبه الجزيرة العربية. ونختصر فنقول : كان فيها نفر من الارثوذكس والنساطرة واليعاقبة. وكان يلجأ اليها مبتدعون قدامى جدا من غنوسطيين وسواهم ممن ورد ذكرهم في التواريخ المسيحية وبخاصة تواريخ البدع.

الفصل السادس

المدرستان الانطاكية والاسكندرانية

كذيل لهذا العرض التاريخي الخاطف تستحق المدرستان المذكورتان نبذة خاطفة. اعتاد العلماء المعاصرون على الكلام عن هاتين المدرستين كنهجين مختلفين. ويحصرون غالبا «مدرسة انطاكية» بديودوروس وثيوذوروس ونسطوريوس ومن دنا منهم.

لا شك ان هناك مميزات لكل من المنطقتين. الاسكندرية مدينة مصريّة متيوننة يقطنها جمع غفير من اليهود. فيلون اليهودي المعاصر لربنا يسوع نموذج عن عالم ديني يهودي تيونن. في القرن الخامس قبل الميلاد زار هيرودوتوت المؤرخ والجغرافي اليوناني الشهير مصر فقال في اهلها انهم أتقى شعوب الارض. وما زالت طبيعة مصر طبيعة ميل قوي جدا الى العبادة والصبر ساعات طوال على الصلاة وسماع المواعظ. وقد روى لي سامعون ان بطريرك الاقباط شنوده الحالي يقف واعظاً ومجيبا على الاسئلة طيلة ٦ — ٧ ساعات كل يوم خميس. ولا غرابة في بيئة كهذه ان يكون ايثار افلاطون على ارسطو قاطعاً، وان يكون لاهوت الاسكندرانيين حماسيا روحيا رمزياً، وان تكون قد اخرجت على يد امونيوس سكاس (والداه مسيحيان) اوريجنيس للمسيحية وافلوطين للفلسفة العامة.

اما سوريا فقد شغفت باشياء اخرى من المدنية اليونانية. ليبيانوس استاذ باسيليوس وغوريغوريوس اللاهوتي والذهبي الفم انطاكي تعاطى التدريس في القسطنطينية و بلده انطاكية. وهو اشهر من نار على علم كمنطيقي عالمي. والاراميون والفينيقيون اشهر سكان الارض (مع اليهود) في فن التجارة. فلا غرابة ان تكون

بيروت قد احتضنت اشهر مدرسة حقوق في التاريخ القديم وان تكون وانطاكية قد اخرجتا للدولة البيزنطية رجالات ادارة عديدين جدا.

ولكن لا يمكننا ان نفصل فصلا قاطعا بين المدينتين. فوحدة الايمان والتقليد ثابتة. شطط الافراد لا يعتبر قاعدة. في انطاكية كما مر معنا كان اثناسيوس محترماً جدا. ثيوذوريتوس اسقف قورش في كتابه «المتسول» يستشهد به مراراً. وانتهى الى الاستشهاد حتى بكيرللس بالرغم من كل ما كان بينهما من مرارة. وتكاتبا. باسيليوس وصديقه غوريغوريوس اللاهوتي اصدرا في شبابهما مختارات من اوريجنيس بعنوان «فيلوكاليا». غوريغوريوس النيصصي متأثر جدا باوريجنيس. ثيوفيلوس خال كيرللس اقام الدنيا واقعدها على الذهبي الفم متهما اياه بانه اوريجنيسي. رهبانيا باسيليوس واخوه تركا على الكرسي الانطاكي أثاراً عميقة. وكاريوس المنحول وديونيسيوس المنحول سوريان في رأي كبار المحققين اليوم. تأثرهما بكبادوكية قاطع[1]. ايفاغريوس تلميذ غوريغوريوس اللاهوتي. عاش في مصر وتأثر باوريجنيس. ترك تأثيراً كبيرا في منطقتنا بما اندس من كتاباته تحت اسماء اخرى او صراحة او في تفكير اسحق السرياني اشهر المؤلفين الروحانيين. لاهوتيا الكبادوكيون سادة اللاهوت في الكرسي الانطاكي ومصر. كتاب «المتسول» المذكور لثيوذوريتوس يستشهد بهم وباثناسيوس والذهبي كثيراً.

والصداقة بين افستاتيوس الانطاكي والكسندروس واثناسيوس الاسكندريين حتى لاهوتيا معروفة. ويعتبر العلماء الاول تلميذا في اللاهوت للثاني.

والذهبي الفم خليفة غوريغوريوس على القسطنطينية (الذي عرف الصداقة التي

---

(٢) كواستن يصنف ذيادوكوس اسقف فوتيكي مع الكتاب السوريين دون تعليل. الكاتب روحاني كبير. رد على بدعة «المصلين» في منطقة الفرات. فقد يكون معنيا جدا بالامر لانه ابن المنطقة. وهكذا لا تكون الروحانيات وقفا على مصر. اما ديونيسيوس المنحول فهو مونوفيزتي في رأي مايندورف. تعددت جدا الابحاث عنه. لوسكي شديد التحمس له مثل مكسيموس المعترف. ويغسله من التأثر بالافلاطونية الجديدة في كتابه «اللاهوت الصوفي». الا انه تراجع امام نقد غانديلاك. مقدمة الترجمة الفرنسية (١٩٤٣) لغانديلاك مستبدلة بمقدمة جديدة هامة لروك (١٩٥٨) تنتهي الى تعذر البت. اما مكاريوس فهو مصحح كبير لايفاغريوس. ركز على القلب بدلا من ال «نوس»

(١) راجع ١١ مصادر.

كانت بين اسقفه ملاتيوس وباسيليوس الكبير) لا يخرج عن الاطار العام. ويعتبره غريلماير اسكندراني اللاهوت. ولكن وضوح افكاره ومنطقيته وبراعته في الخطابة تجعلني اراه قريبا من غوريغوريوس اللاهوتي ايضا. كلاهما شددا على وحدة يسوع.

وابوليناريوس نفسه هو ابن لمصري (كان كاهنا في اللاذقية. واستقبل في العام ٣٤٦ في بيته اثناسيوس): ارسطويته واضحة. ولكنه يشدد مثل اثناسيوس على وحدة شخص يسوع. وخلافا لتركيز غريلماير في كتابه على وجود لاهوت اسماه «الكلمة ــ الجسد» (Logos - Sarks) فان رسالة اثناسيوس الى ابيكتوس واضحة في ٣ بنود: ١ ــ يسوع صار انسانا ليخلص الانسان برمته ويصيّره الها. ــ كلمة «جسد» تعني في الكتاب المقدس «الانسان». ٣ ــ ليسوع نفس كاملة لا جسد فقط. وقد تجسد وصار انسانا. وله طبيعة بشرية. وهو الكلمة الالهي الذي افتدانا واحتمل من اجلنا كل شيء بما فيه الآلام. فالآباء القدماء فهموا جيدا ان كلمة «جسد» هي الانسان برمته. وكان ابولينا سوريوس ذا حظوة كبيرة لدى اثناسيوس وباسيليوس لثباته في عقيدة الثالوث ونضاله من اجلها. وقد علم في انطاكية خلال العام ٣٧٤ واستمع ايرونيموس فيها لدروسه.

فليس هناك حد فاصل نهائي. هنالك تقليد كنيسة يبرز واحداً في كل مكان بقيادة الروح القدس وان اختلف النسق العقلي لدى الافراد. فكيرللس في عقيدة التثليث تلميذ لاثناسيوس وللكبادوكيين. وفي صراعه مع نسطوريوس وصحبه استعمل على نطاق واسع عبارة غريغوريوس اللاهوتي: ما لم يأخذه يسوع لم ينل الشفاء.

---

(١) وغوريغوريوس اللاهوتي (الرسالة الى كليدونيوس فقدت ٥٩) والمجمع السادس وذلك خلافاً لرأي ماينلدورف (٢٠ ــ ٢١) الذي ذكر ان اللفظة كانت قد نقدت في العالم اليوناني معناها «كخليقة محياة». ولكنه يذكر في ص ٩٩ وحاشية ١٥ ان لاونديوس الاورشليمي استعملها بمعنى «الطبيعة الانسانية» استعارة من كيرللس الاسكندري. اريوس وابوليناريوس تأثرا بافلاطون فقالا بان الجسد (ساركس) جسد صرف. فكانت ردة الفعل عليهما كبيّرة ورفضت الكنيسة قولهما بان جسد يسوع كان بلا روح.

اي ان يسوع اخذ الانسان برمته ليخلص الانسان برمته روحا وجسدا وارادة.
وبالرغم من ان خاله ثيوفيلوس كان خصما لدودا للذهبي فانه امتدح الذهبي واستشهد به (داليس) واخذ عنه وعن الذهبي لاهوت سر القربان وتأليه جسد الرب ودمه لنا (قاموس الروحانية ٣ : ١٣٨٣ و ١٣٨٥). وكان مرشده الروحي القديس ايسيدوروس الفرمي (الفرم على شاطىء البحر الاحمر) قد ترك عليه افضل الاثر في اتجاه الذهبي.

وايسيدوروس هذا من اوائل المنادين بوحدة الاقنوم وبالطبيعتين في يسوع (غريلماير ٤٩٦). وبروكلوس اسقف القسطنطينية (٤٣٤— ٤٤٦) هو تلميذ للذهبي الفم ومواطن لنسطوريوس اذ كلاهما من ابرشية منبج. وقد مهّد للمجمع الخلقدوني تمهيدا جيدا. اما خليفته فلافيانوس فقد سار على خطاه في المجمع المنعقد في ٨/ ١١/ ٤٤٨ ضد اوطيخا. وفي هذا المجمع استعمل باسيليوس (سلفكيه) وسيلفكوس (اماسيه) عبارة «في طبيعتين». كما ان فلافيانوس استعملها في رسالته الى الامبراطور ثيودوسيوس. واستعمل باسيليوس (سلفكيه) هذا في المجمع عبارة «الاتحاد الاقنومي». وفي اعمال المجمع تليت عبارة كيرللس «الاتحاد بحسب الاقنوم»[1]

فاذا تذكرنا ما قلنا لجهة تأثير غوريغوريوس اللاهوتي على الانطاكيين (ثيوذوريتوس اسقف قورش، اندراوس السمسياطي وحتى نسطوريوس) وعرفنا ان بروكلوس استعمل عباراته وجدنا ان هناك تياراً واسعاً بين مجمع افسس ومجمع خلقيدونية يتجه نحو: ١— استعمال عبارة «اقنوم واحد في طبيعتين». ٢— الاتحاد الاقنومي. ٣— الاتحاد بحسب الاقنوم[2].

---

(٢) كلا العبارتين وارد في الجلسة الاولى لمجمع افسس المسكوني الثالث (الرسالة ٤ لكيرللس، مين ٧٧ : ٤٥).

(٢) يذكر ماينلدورف ان لاهوت لاون بابا روما هو الذي انتصر في مجمع خلقيدونية (٢٦ و ٣٠— ٣١) وان لفظة اقنوم دخلت في الخريستولوجيا على يد بروكلوس اسقف القسطنطينية (٣١) بينما يذكر في ص ٣١ ان مجمع القسطنطينية (٤٤٨) استعمل عبارة «في طبيعتين» التي استعملها اولا غريغوريوس اللاهوتي. في مقال ريشار عن «الاقنوم» عرض تاريخي لموضوع استعمال اللفظة في الخريستولوجيا اضاف اليه غريلماير

لاون بابا رومية قال مثل هؤلاء : شخص واحد في طبيعتين.

المجمع الرابع الخلقيدوني كرّس اذن عبارة غوريغوريوس . جاء المجمع الخامس فكرس العبارتين الاخريين الشائعتين.

ولذلك لم يكن المجمع الرابع تسوية كما اراد ان يغمز باردي (فليش ومارتان ٤ : ٢٤٠) بل معجزة كما قال مايندورف (ص : ٢٤). وليس فقط تكريسا لعمق الاسكندرية ووضوح انطاكية كما يرى كواستن (فرنسي ٣ : ٢٠٦) وغريلماير (٤٧٣— ٤٧٤). فالذي نجح بين افسس وخلقيدونية هو تطور اللاهوتيين نحو استيعاب ما قاله غوريغوريوس في رسالته الى كليدونيوس وسواها لجهة تطبيق العبارات اللاهوتية عن الثالوث على التجسد : نقول في اللاهوتيات : اله واحد في ثلاثة اقانيم. ونقول في التجسد : اقنوم واحد في طبيعتين (الرسالة ١٠١ الى كليدونيوس والعظات ٣٧ و ٣٨ و ٤٥ المستشهد بهما في هذا الكتاب)

من هذا العرض يتضح ان كيرللس الاسكندري لم يضرب المدرسة الانطاكية ضربة قاضية كما توهم مايندورف[1] (ص ١١). وقد استمرت انطاكية على تخريجها اللاهوتيين اللامعين وعلى الصمود. فافرام الآمدي ويوحنا النحوي وانسطاسيوس الاول وسواهم من فحول لاهوتيي كنيستنا في القرن السادس. وصفرونيوس الدمشقي هو اول ابطال الصراع ضد المشيئة الواحدة. ويوحنا الدمشقي

← ايسيذوروس الفرمي فاعتبره سلفا للاون (ضا ٥٠ : ٤ ص ٤٩٦). النص اليوناني للرسالة ١٠١ لغريغوريوس اللاهوتي واضح بصورة لا تترجم الى لغة اخرى. ومحاولات الاهوتيين استمرت حتى المجمع الخامس لتمثلها. وذكر مايندورف (١٠٢ وسواها) وغريلماير (٣٢٥— ٣٢٧) تأثير الكبادوكيين على الانطاكيين حتى ان غريلماير يرى ذلك كبيراً لدى نسطوريوس، وان تعبير الانطاكيين قريب من تعبير اللاهوتي. وكان ثيوذوريتوس قبل خلقيدونية يسعى لتمثلهم (مين ٨٣ : ٣٣) والاستفادة من تحديداتهم. ولم يذكر مايندورف الذهبي مع انه انطاكي ولكنه قريب من الاسكندرية كما يرى غريلماير ودالس. وفي الوضوح هو قريب اجمالا من غريغوريوس سلفه على القسطنطينية.

(١) مع انه يقول في مكان آخر (٤٠— ٤٥ و ٩١— ٩٢) باستمرار نفوذها في القسطنطينية. ولم يذكر الذهبي الذي زعم ضآلة عباراته اللاهوتية ينتمي الى وضوح غريغوريوس اللاهوتي.

نهاية مطاف كبير. فمن الخلقيدوني الرابع الى المجمع السابع (٧٨٧) لعب الكرسي الانطاكي ابرز الادوار اللاهوتية.

ومن جهة ثانية نرى مايندورف يعطف على مدرسة انطاكية. وهناك ميل كبير اليوم الى انصاف رجالاتها في القرنين الرابع والخامس. لا غرو ان منهجها في التفسير هو منهج دراسات الكتاب المقدس المعاصرة في الغرب. وهما اخوان في الارسطوية والاهتمامات التاريخية. فلا غرابة ان فازت احصائية اميركية بالرقم ٣٠٠ لعدد الكتب التي صدرت في العصر الحديث كتاريخ لحياة ربنا يسوع. ولكنها تخلو (اي الكتب) من النفحة الروحية. طالعت اجودها واضخمها لمؤلفه الاب Fillion . انها سرد تاريخي تفسيري بلغ ذروة الروعة. ولكنها لا تغذي الحياة الروحية ابدا. من حسن حظ المدرسة الانطاكية (بالمعنى الضيق لا الواسع) ان حاصرها كيرللس وتحصّنت بالكبادوكيين فتم انقاذ عقيدة ايماننا بوحدة شخص يسوع.

يذهب مايندورف الى ان الانطاكيين بقوا لاسباب فلسفية يرفضون نسبة الآلام الى ابن الله. ويبدو انه يصنف ثيوذوريتوس بينهم (ص: ٩٥). لقد خص مايندورف الامر بفصل جيد ذي مصادر جيدة.

الا اني لا اوافقه على حشر اسم ثيوذوريتوس في زمرة الرافضين. ثيوذوريتوس هذا الح في مواضع عديدة على ان الطبيعة الالهية غير قابلة للتألم والاعراض (الرسائل ٨٥ و ٩٣ و ١٢٦ و ١٤٥ و...). تبدو هاجسا رئيسيا لديه ضد بدعة يحاربها.

ولكنه قال في الرسالة ٩٣ ان «سيدنا المسيح قاسى الصليب». وفي الرسالة ١٠٤ (ص: ٢٧) نيسب الصفات اللاهوتية والناسوتية الى الابن الوحيد الواحد. وفي الرسالة ١٤٥ يقول ان جسده هو جسد ابن الله الوحيد الذي يُنسب اليه تالم الجسم (ص: ١٦٧). في الصفحة ١٦٩ يقول ان الجسم هو جسم الرب. وفي الصفحة ١٧١ استشهد بقول لاون بابا روما: «ابن الله تألم» كما كان يستطيع ان يتألم، لا

بحسب الطبيعة الآخذة بل بحسب الطبيعة المأخوذة. فالطبيعة غير القابلة للتألم اخذت الجسم القابل له وبذلته من اجلنا لتنجز خلاصنا...» وفي مواضع عديدة من هذه الرسالة والتي تليها (ص: ١٨٧ و ١٩١ و...) وسواهما يردد كثيرا عبارات اخذ ابن الله طبيعتنا. وهذا يجعله في خط كيرللس الذي وضع النبرة على ابن الله ولم يقم تناظرا بين الطبيعتين اللاهوتية والبشرية. وبهذا يكون ثيوذوريتوس خارج خط نسطوريوس وثيوذوروس المصيصي.

وفي الرسالة ١٤٦ قال «ان الله الكلمة صار انساناً» يمنح بتألمه عدم القابلية للتألم، للطبيعة القابلة له (ص: ١٨٧). وقال ايضا ان ابن الله الوحيد كان هو نفسه قابلا للتألم والموت كاله ولكن مائت وقابل للتألم كانسان (١٩١)(١).

هذا الموقف سليم وتقليدي. فالكتاب المقدس ملآن من النصوص المؤيدة، وآباء الكنيسة منذ اغناطيوس الانطاكي يرددون العبارات التي تنسب الآلام الى الرب يسوع الاله (الرسالة الى الرومانيين ٦: ٣ وغريغوريوس اللاهوتي واثناسيوس والجميع على هذا بما فيه دستور الايمان). فليس الامر محصوراً بكيرللس الاسكندري (مايندورف ٩٣— ٩٤).

ويوحنا فم الذهب يركز في كل مناسبة على نسبة الصفات والطبيعتين الى شخص يسوع الواحد. الفرق بين آباء القرن الرابع وآباء القرنين الخامس والسادس هو سعة آفاق شخصيات الاول وشمول نظراتهم بينما كان خلفاؤهم في القرنين

---

(١) الف الاب بولس نعمان بالفرنسية كتابا عن ثيوذوريتوس ليس تحت يدي. انما اعرف الهدف الاكبر في الكتاب. شاء المؤلف ان يثبت ان تجمعا لاهوتيا نشأ حول ثيوذوريتوس اسقف الابرشية التي نشأ ومات فيها القديس مارون. ولكنه اخطأ الهدف. فالموارنة من انصار المجمع الخامس المسكوني الذي غمز عرضا من قناة ثيوذوريتوس وشجب كتاباته ضد كيرللس. وهذا يبعدهم نسبيا عن ثيوذوريتوس ويقربهم نسبيا من كيرللس. فالمجمع الخامس حلقة بين الرابع والسادس. الكنيسة كانت بين المطرقة والسندان. في الثالث انتصرت على فصل يسوع الى اثنين. في الرابع انتصرت على مزج الطبيعتين لانتاج هجين مجهول الهوية. في الخامس وضعت لجاما للشرود عن خط الوحدة المقرر في الثالث. في السادس اوقفت الجنوح نحو خطر التطرف في الوحدة. وهكذا نجح الاعتدال وفازت الحقيقة. فتم التوضيح الممكن لمعنى الوحدة في يسوع ولمعنى الثنائية.

التاليين ينطلقون احيانا من النظرات الجزئية ولو خالفت التقليد المتوارث. فمثلا انكار نسطوريوس لامومة العذراء لله مخالف لتقليد الكنائس حتى في انطاكية. شاء ان ينزه اللاهوت عن الاعراض التي تعتري الخلائق فتطرّف. شاء ثيوذوريتوس ان ينزه اللاهوت عن الألم فرفض نسبة الآلام الى الكلمة الالهي مع انه كان قد قبل الباقي ووقع على خلقيدونية (مانيدورف ٤٥و ٩٥) بالاجمال هناك عملية تناضح، تأثير متبادل بين الكتبة الكنسيين. فكيرللس نفسه قال بأنه ليس كل ما لدى الهراطقة غلطا. ولم يخطأ نسطوريوس بتأكيده على الطبيعتين بل بعدم توحيدهما (الرسالة ٤٤ الى الكاهن ايفلوجيوس، مين ٧٧ : ٢٢٤ــ ٢٢٨). والقديس برصونوفيوس الخصم العنيد للافكار الايفاغريوسية (التي يصمها بانها يونانية) يعترف بفائدة الاقسام الزوحيّة منها (مين ٨٦، ٨٩٣ و ٨٩٧). ثيوذوريتوس يجمع في كتابه «المتسول» العام ٤٤٧ لاهوت انطاكية مع مصطلحات واستشهادات اسكندرانية (مين ٨٣ : ١٧٧ و ١٩٢ــ ١٩٣ و ٢٤٥؛ قاموس الروحانية ٣ : ١٣٨٣).

الفصل السابع

المدرسة الاوريجنسية

يتساءل ايفانس ما اذا كان من الضروري أن يطرح موضوع وجود مدرسة ثالثة غير مدرستي الاسكندرية وانطاكية هي المدرسة الاوريجنسية. اوريجنس اسكندراني كان رفيق دراسة وصديقا للفيلسوف الوثني افلوطين . كان عبقريا وكتب كثيراً. وهو ابرز شراح مدرسة الاسكندرية. الا انه تأثر بافكار افلاطون وبخاصة في مسألة سبق وجود الارواح وسقوطها وعودتها. وهذا يتنافي مع الكتاب المقدس. فالروح والجسد مخلوقان سوية بدون ان يكون للروح وجود سابق. لا ازلية للأرواح. والسقوط تم بالخطيئة التي ارتكبها ابليس او آدم وحواء. والعودة الى الفردوس تكون بتجسد يسوع لا بصورة تلقائية كأن هناك قدراً محتوماً.

تأثر بهذه الافكار ايفاغريوس حتى صارت مسندا رئيسيا في تفكيره. في العام ٤٠٠ حارب ثيوفيلوس الاسكندري ذلك. واتهم الذهبي الفم بانه اوريجنيسي. امتد الخطر الى فلسطين فغزا الرهبان وبخاصة في دير مار سابا. واتى مار سابا نفسه الامبراطور جوستنيانوس في العام ٥٣١ طالبا منه مكافحة الاريوسية في الغرب والنسطورية والاوريجنسية. ويرى بعض في هذا الجمع بين النسطورية والاوريجنسية في تلك الحقبة احساساً بالروابط بين الاثنتين. لا شك ان ارسطوية الطرفين واضحة. فاوريجنسيو فلسطين خلقيدونيون اسما ولكن على طريقة ايفاغرية.

من ابرز ممثلي النزعة انذاك لاونديوس البيزنطي المترهب في دير مار سابا والذي افترق عن مار سابا في القسطنطينية ، فاثر على التقي النافذ افسابيوس ، فتوصل الى

دفع اثنين من البارزين الى الصدارة، فكان احدهما ثيوذوروس اسكيداس الذي صار المستشار اللاهوتي لجوستنيانوس.

في الجدل الدائر منذ مطالع القرن السادس كانت مسألة كيفية اتحاد طبيعتين في يسوع الشغل الشاغل للصراع بين الارثوذكس واليعاقبة. فظهر دفاع عن خلقيدونية (٥١٤ ــ ٥١٨) بقلم يوحنا النحوي وذلك في كيليكيا السورية فكان له بعد كبير في التوفيق بين خلقيدونية وكيرللس (مايندورف ٩٦ ــ ٩٧). وبرز في الصف الارثوذكسي ايضا افرام بطريرك انطاكية ولاونديوس الاورشليمي وسواهما.

ولكن لا بد من استطراد حول بداية طرح الموضوع. لم يجد آباء الكنيسة في اللغة اليونانية وعلوم زمانهم الفاظا صالحة للتعبير عن كيفية الاتحاد. فاستعملوا لفظة Crasis (المزج) ومشتقاتها المستقاة من الفلسفة الرواقية [1]. كان اغناطيوس الانطاكي قد استعمل له في رسالته الى الازميريين لفظة «حامل الجسد» الا ان لفظة «مزج» سادت حينا طويلا. غريغوريوس اللاهوتي بعبقريته الفذة لم يقبل اللفظة بحرفيتها لدى الرواقيين. فالرواقية ــ بالرغم من نبرتها الاخلاقية ــ مشوبة بالمادية. غوريغوريوس حاول في رسالته الى كليدونيوس ان يفسرها تفسيراً روحيا متكلما عن الاتحاد بين الكائنات الروحية.

ولكن اللفظة تعرضت للنقد. فطعن فيها كيرللس (مين ٧٦ : ٤٠١ و ٣٣٢) وثيوذوريتوس (مين ٧٦ : ٤٠٠) وسويروس الانطاكي نفسه (لوبون ٢٣٠)، وسقطت من الاستعمال.

فدخلت المعركة الفاظ اخرى اخذلها «الاتحاد الاقنومي»، «الاتحاد بحسب الاقنوم».

لاونديوس البيزنطي ارسطوي حاول تفسير لفظتي جوهر واقنوم (قاموس اللاهوت الكاثوليكي ١٥ : ١٩٩٤) وحاول ايضاً تفسير خلقيدونية تفسيرا اوريجنسيا ايفاغريوسيا. اختلط في ذهن الناس دهرا مع لاونديوس اخر هو الاورشليمي. لفت الانظار اليه العام ١٨٨٧ لوفس. ثم تتالت الابحاث. اهمها

(١) راجع ١٢ مصادر.

ابحاث مرسيل ريشار[1] . وصدرت اخيرا اطروحة الدكتور داود ايفانس[1] تناقش السابقين وتعطي تحليلاً وافيا . خصه مايندورف بصفحات بالاستناد الى معلومات استقاها من ايفانس. الا ان هذا يبقى افضل مرجع. خلاصة رأيه في الاتحاد هي :

لاونديوس البيزنطي متأثر بايفاغريوس و .واوريجنيس. قال بان كلمة الله موجود سرمديا. ويتحد به ازليا noûs (روح). هذا «النوس» هو المسيح. كل الارواح سقطت بدرجات مختلفة. «نوس» المسيح لم يسقط وانما اتخذ جسدا. وينصرف الى تحليلات فيها قرابة من النسطورية وتأثير ارسطوي. يقول بوجود طبائع ذات اقنوم وبطبائع ليس لها اقنوم وانما تقنمت في سواها. الطبيعة الالهية والجسد مقنمان[1]. الاقنوم هو ال«نوس» اي المسيح. تم اتحاد الالوهة والجسد بواسطة ال«نوس» (راجع ١٤ و ١٥ مصادر).

طبعا هذا ضلال مبين. لذلك اعتبره معاصروه وريشار وايفانس ومايندورف وكل المعاصرين الان اوريجنيسيا هرطوقيا. ويتساءل ايفانس عما اذا كان انكار ابوليناريوس لوجود «نوس» في ناسوت المسيح متأثرا برد الفعل على الاوريجنسية.

هذا الضلال لقي مقاومة ممتازة من لاونديوس الاورشليمي (الذي يرجع الفضل الى ريشارد في اكتشافه لنا) والامبراطور جوستنيانوس والشجب القوي من المجمع الخامس المسكوني الذي بدا لاباء الكنيسة التالين له (مايندورف) مجمعا موجها ضد الاوريجنسيه اي ليس كما كان يذكر العلماء قبل حين انه موجه ضد النسطورية. ولكنه ضرب البدعتين معا[2]، على ما نرى في المجمع السادس [3] ، وانتهينا الى

(١) اللفظة قديمة ايضا. استعملها ابوليناريوس والقديس ابيفانيوس كما ذكر ريشار في مقاله عن «الاقنوم».

(٢) **استطراد**: واذكر اني طالعت في الدفتر رقم ٦ من دروس الاب بوريس بوبرنسكوي (ضاع فلم استطع مراجعته) ان فكرة اتحاد كلمة الله بالروح البشري في يسوع هي فكرة افلاطونية لا مسيحية. فضلال ايفاغريوس ولاونديوس البيزنطي شيء وآراء آباء الكنيسة من امثال غوريغوريوس واوغسطين والدمشقي شيء آخر. فالفرق كبير. الافلاطونيون يقولون بسبق وجود الارواح. ونحن نقول خلاف ذلك (غريغوريوس، الخطبة ٤٥ : ٩ والرسالة الى كليدونيوس ١٠ واوغسطين، الرسالتان ١٨٧ : ٨ و ١٤٠ : ١٢ والنيصصي، ضد ابوليناريوس ٤١ والدمشقي ٣ : ٦ و ١٨ وبالاماس...

(٣) المجمع السادس يذكر عن الخامس انعقاده «ضد ثيودوروس واوريجانس وديديموس وايفاغريوس وكتابات ثيوذوريطس ضد فصول كيرللس... والرسالة... هيباس...» (مجموعة التشريع ص ٥١٢).

القول بان كلمة الله الموجود سرمديا اتخذ من مريم طبيعة بشرية لها جسد وروح عاقل. وهذه الطبيعة هي بلا شخص. ولكنها طبيعة بشرية تامة كالطبيعة التي نراها في الافراد. لو كانت شخصيا لما كانت طبيعة عامة ولا نحصر الخلاص بفرد واحد، ولما كان يسوع آدم الثاني الذي يتجدد ويلد فيه جميع الناس. ولكن هذه الطبيعة تحتاج في وجودها الى مسند. فان كانت بلا اقنوم فان مسندها الاقنومي هو اقنوم كلمة الله، هذا الاقنوم الازلي الذي يحوي سرمديا الطبيعة الالهية. وصار في الزمن يحوي ايضا الطبيعة البشرية. ومفهوم الاحتواء والتملك هذا مفهوم آبائي قديم نراه بخاصة لدى الكبادوكيين. **الطبيعة الالهية لا تقبل تأليفا** ولكن الشخص يقبل التأليف. بعد التجسد أقنوم يسوع يتألف من طبيعتين. لاهوته غير قابل للآلام وانما نستطيع ان ننسب الآلام الى اقنومه الالهي مع ان ناسوته [1] هو الذي تألم. واتحاد ناسوته بالهوته اتحاد اقنومي بينما نتحد نحن بالله بواسطة النعمة.

وبهذه الصورة ينحل معنا اشكال لاهوتي كبير جدا. فالطبيعة الالهية، الجوهر الالهي مشترك بين الاقانيم الثلاثة يملكه كل منهم بتمامه بدون اي تجزئة بينهم. هو بتمامه للآب وبتمامه للابن وبتمامه للروح القدس. ان قلنا ان الطبيعة الالهية تجسدت نكون قد قلنا ان الثالوث القدوس قد تجسد. ولكن ان قلنا ان اقنوما من الثالوث القدوس قد تجسد فاننا نحصر التجسد بشخص ابن الله. طبعا نبقى في حدود السر الالهي الذي لا تدركه افهام الملائكة انفسهم بل تسجد له خاشعة في سبح دائم.

---

(١) راجع ١٦

الفصل الثامن

نظرة اجمالية

يتراءى للمنقب إن الادمغة اللاهوتية كانت تشحذ قرائها شحذاً رائعا في اتجاهات مختلفة، متصارعة حينا ومتنافذة حينا اخرى، حتى يبين الخيط الابيض من الخيط الاسود، فتتدخل الكنيسة بمجامعها المقدسة ومواقفها القاطعة لتقول بالهام الروح القدس الكلام الفصل. وما كان المؤمنون يتركون الامور فوضى. كانوا رجال عقيدة صلبة، يتجندون فوراً لحماية العقيدة من كل زيغ وضلال. ولولا ذلك لما كان الارثوذكس والكاثوليك بعد ١٩ قرنا يتناقلون ما هو مشترك بينهم رغم كل ضروف الزمان وتقلباته. فانقرضت البدع ورجالها في القرون الخالية وبقي العالم المسيحي القديم (عدا ضلال النسطورية في مسألة الاقنوم وتوابعها) كتلة عقائدية مرصوصة لا ينال منها الزمان ولا معاول التهديم.

جدول مقارنة

الابولينارية : اقنوم واحد ، شخص واحد ، طبيعة واحدة الهية ، مشيئة واحدة ، فعل واحد ، جسد يسوع بلا روح. مريم ام الله.

الاوطيخية : تزيد عليها كفرا فتقول ان الطبيعتين قد امتزجتا.

اليعاقبة : اقنوم واحد من اقنومين ، شخص واحد ، طبيعة الهية واحدة من طبيعتين ، مشيئة واحدة فعل واحد ، جسد يسوع ذو روح عاقل ، يسوع اله كامل. وانسان كامل ، مريم ام الله.

النساطرة : اقنومان ، شخصان وشخص اتحاد ، طبيعتان كاملتان ، جسد يسوع ذو روح عاقل ، يسوع اله كامل وانسان كامل ، مريم ام الانسان يسوع.

الارثوذكس وروما : اقنوم واحد الهي مركب في طبيعتين كاملتين ، مشيئتين ، فعلين ، جسد يسوع ذو روح عاقل ، يسوع اله كامل وانسان كامل ، الاقنوم الالهي قنّم الطبيعة البشرية لما ضمها اليه ، مريم ام الله.

اصحاب المشيئة الواحدة : يختلفون عنا بالقول ان ليسوع مشيئة واحدة وفعلاً واحداً ولم يعودوا اليوم بموجودين اذ انضموا الى روما.

البروتستانت : فرقهم عديدة. يرفضون القول ان مريم هي ام الله الى جانب قولهم ان يسوع اقنوم واحد في طبيعتين. لذلك هم مزيج منا ومن النسطورية.

هذا الجدول يوضح تماماً ان مفاهيمنا اللاهوتية عبرت في ممرات ضيقة وخطرة جدا حتى وصلت في العام ٦٨٠ (المجمع السادس) الى النضج. فمنذ ظهور بدعة آريوس في الربع الاول من القرن الرابع حتى ظهور بدعة ابوليناريوس (بين ٣٥٢ —

٣٦٠) حتى العام ٦٨٠ مئات من ادمغة اساطين الفكر العالمي واشباههم دخلوا الحلبة حتى خرجنا منها سالمين. وما زلنا من بعدهم نجتر تحديداتهم الملهمة الهيا. الصيغة التي اوردتها احتوت على ٣٢ كلمة. نحتها احتاج الى اكثر من ٣٥٠ سنة. ابطال النحت هم ألمع رجال الفكر والروحانية في تاريخ العالم بعد الرسل القديسين. هم اخلد من خلدهم التاريخ بعد الرسل. كتب المسيحيون ووعظوا حولها في هذا القرن لوحده عشرات الآلاف من الصفحات. لو جمعنا كل ذلك عن ١٩ قرنا لجمعنا مئات الآلاف من الصفحات. ما الدافع؟ انه حرارة الايمان التي يفتقر اليها فقرا مدقعا المسيحيون العرب.

ما هي الملاحظات على هذا الجدول؟

كان اقرب الناس الينا اصحاب المشيئة الواحدة ثم اليعاقبة. الاوطيخية كفر. تدنو منها نسبيا الابولينارية. النسطورية شطط كبير. التطور في الفهم واضح لدى الارثوذكس. اليعاقبة توقفوا عند كيرللس **حرفياً**، ادخالنا التفريق بين لفظتي اقنوم وطبيعة كان انقلابا في تاريخ اللاهوت قضى على كل التباس وشق الطريق واسعة نحو الفلسفة الشخصانية المسيحية في حقل الانثروبولوجيا (علم الانسان). طبعا منذ ايريناوس وو... واثناسيوس حتى الكبادوكيين والذهبي لاهوت التجسد واثاره على تقديس الانسان وتأليهه هامة. الكبادوكيون شقوا طريق واسعاً للاهوت الشخص في اللاهوت مع لمحات طيبة بالمقابل نحو الانسان. الذهبي يتكلم بصورة شائقة عن اثار التجسد على الانسان وتحويله الى المرتبة الاولى بين الكائنات العقلية وارتفاعه فوق الملائكة (الخطب ٥ على متى و ١١ و ١٨ على يوحنا و ١١ على كورنثوس الثانية وعن انتروبيوس وو...). الانسان في صميم الحديث عن التجسد الالهي. الا ان خلقيدونية والتهيئة لها والتطور اللاهوتي بعدها حتى المجمع الخامس اولا ثم السادس ثانياً مراحل رئيسية نحو ابراز الانسان كشخص يواجه الله كشخص في عملية اتحاد كان اتحاد ناسوت المسيح باقنومه الالهي المسند اللاهوتي الاعظم لها. آباء الكنيسة هم مؤسسو الفلسفة الشخصانية، هم منقذو الفكر من ظلام الفلسفة اليونانية التي تضخم العقل وتهمل بنية الشخص كشخص مخلوق على صورة الله لينمو حتى ملء قامة المسيح الكامل.

الفصل التاسع

ابعاد عقيدة التجسد الأخرى

هذا الفصل صالح لأن يكون ايضاً فصلا في القسم الثاني من هذا الكتاب. الا ان وجوده هنا يعطي المطالع متعة تاريخية لم ارد ان احرمه منها:

فالمقارنة التي اجريتها تساعد على فهم ما يأتي.

ولا يتوهمنَّ احد ان اهمية الامر محدودة. فالصيغة التي صغتها اعلاه ذات مفاعيل شاسعة وتطبيقات واسعة في العلوم اللاهوتية.

١ــ الالهام الالهي

مثلاً: نظريتنا في الالهام الالهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بعقيدة التجسد: في يسوع اله وانسان. في الالهام اله يلهم وانسان ملهم يقوم بينهما تعاون synergie . الاله يؤثر في الانسان ولكن طبعا الانسان لا يؤثر في الاله.

٢ــ الحياة الروحية والاتحاد بالله.

ومثلا: الحياة الروحية واتحادنا بالله يقومان على هذا التعاون (مايندورف ٢٣٣ وبورودين ٢٦ــ ٢٣٥).

لولا تجسد المسيح لاستحال على الانسان ان ينال النعمة الالهية التي تؤلهه. ناسوت يسوع اتحد اقنوميا بالاله الكلمة. فسح لنا المجال لأن ننال نعمة الروح

القدس لنتحد بالله على قدر ما نطيق. هناك الله والانسان، هناك مشيئتان تلتقيان، هناك انسان يريد الله واله يقبل الانسان في شركته فيسلط ارادته الالهية على ارادة الانسان ليصنعها الهية ويؤله افعاله وشخصه حتى يبلغ ملء قامة المسيح. هناك قربان مقدس. فنتناول فيه جسد الرب ودمه. الجسد والدم متحدان اقنوميا بالاله الكلمة الابن يسوع. هذا ما لم يحصل عليه الملائكة.

فانا امتزج بدم الرب وجسده واحصل على التأله (الدمشقي، مين ٩٤ : ٣٤٨ وبورودين، ص ٤٣ ومايندورف ٢٥٩ وفي قاموس الروحانية ٣: ١٣٨١ و ١٣٨٢ ... نصوص من اثناسيوس وباسيلوس وغريغوريوس).

كثيرون من الآباء قالوا اننا قد صرنا بفضل التجسد اعلى الكائنات وارتفعنا فوق الملائكة (غريغوريوس اللاهوتي الخطبة ٣٨ : ١١ و ١٣ في مين ٣٨ : ٣٢٢ و ٣٢٥ وايضا ٤٥ : ٩ في مين ٣٨ : ٦٣٣ — ٦٣٤ والدمشقي، غريغوريوس بالاماس، نيقوديموس الاثوسي، ص ١١٩، بورودين ٤٣، مايندورف ٢١٩ والحاشيتان ٣٢ و ٢٥٩). فامتزاجنا بجسد الرب ودمه انما هو خاص بنا نحن البشر دون سوانا[(١)]

وعلى صعيد العلاقات يمثل القربان المقدس اعلى درجة فيها. فالذين يتناولون يشتركون في الخبزة الواحدة (كورنثوس الاولى ١٠). يتحدون بالله ليجمعهم الى واحد (الدمشقي ٤ : ١٣ وستانيلواي، كونتاك، العدد ٨٤/ ١٩٧٣ ص ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٧ و ٣٠٧ وسواهما).

فامتزاجنا بجسد الرب ودمه انما هو خاص بالبشر دون سواهم. ومع هذا يبقى اتحادنا بالله مختلفا عن اتحاد ناسوت يسوع بلاهوته على ما اسلفنا (مايندورف، المدخل، ص ٢٥٤ وسواه). ناسوت يسوع متحد اقنوميا باللاهوت. اقنوم يسوع الالهي تملك الناسوت واحتواه في وحدة شخصه الالهي التي لا تنفصم ابدا. يسوع واحد في طبيعتين. كل انسان شخص. في التجسد صار يسوع آدم الثاني الذي نولد فيه بالمعمودية ونصير اعضاء جسده الذي هو الكنيسة. وانما اشخاصنا لا تتحد به اقنوميا. يبقى علينا ان تمتلك الروح القدس باعلى الطاقات الممكنة لكي نصير، باعلى قدر ممكن للانسان، تمسكنا للثالوث القدوس، بنعمة الله غير المخلوقة (في بورودين

---

(١) راجع ١٧ مصادر.

ومايندورف ولوسكي عبارات كثيرة مشابهة. وايضا قاموس الروحانية ٣ : ١٣٨٢ و ١٣٨٦ و ١٣٨٧).

٣ — الانتروبولوجيا.

ومثلا: الرؤية الارثوذكسية للانسان. استعان الآباء لتفسير الثالوث او التجسد بتكوين الانسان (باسيليوس، اللاهوتي، كيرللس، اوغسطين و ...). سويروس الانطاكي لجأ الى ذلك كثيراً على ما ذكر لوبون. المجمعان الرابع والخامس المسكونيان صارا مسندا لنظرة اعمق بما لا يقاس. بدلا من ان نفهم الله من وراء فهمنا للانسان صرنا نفهم الانسان من وراء فهمنا لله. ما دمنا نقول ان يسوع اقنوم واحد في طبيعتين، في جوهرين، وان الانسان مخلوق على صيورة الله ومثاله، فمن المنطق السليم ان نقول ان الانسان شخص، انه اقنوم يملك روحا وجسدا وان اتحادهما سر لا يدركه العقل. خلقه الله شخصاً واحداً ونضد في شخصه روحا وجسدا (غريغوريوس اللاهوتي، الخطبة ٤٥ : ٩).

غريغوريوس النيصصي ومكسيموس المعترف وضعا الى حد بعيد اسس الانتروبولوجيا الابائية الشرقية. مكسيموس وكابازيلاس والبعض الاخر يذهبون في الامر الى حد قصي. يرون ان التجسد الالهي هو الغاية التي من اجلها تم خلق البشر وان التجسد كان سيقع ولو لم يرتكب الانسان الخطيئة [1] وهو البداية والنهاية ولكن بما انه ارتكب الخطيئة فقد كان موت المسيح لافتدائنا ضروريا. بعبارة اخرى كان التجسد سيقع في مطلق الاحوال بينما الصلب يقع بسبب الخطيئة. [2]

---

(١) السؤال ٦٠ الى ثلاسيوس اصرح نص لدى مكسيموس. راجع ص ٩٢— ٩٨ في كتاب الان ريو والحاشية ٣٥ في الصفحة ٥١ من كتاب بورودين في التأله والعدد ٨٤ (١٩٧٣) من مجلة كونتاك الفرنسية (ص ٢٧٠ والحواشي ٤١ و ٤٣ و ٤٤). الا ان الاب ديمتري ستانيلواي الروماني ذو نظرة مخالفة (ص ٣٠٧ من مجلة كونتاك).

(٢) السؤال ٦٠ الى ثلاسيوس في مين ٩٠ : ٦٢١ والسؤال ٢٢، مين: ٣٢١ والسؤال ٤٠ : ٣٩٦؛ ومين ٩١ : ١٢٣٧؛ السؤال ٥٩ في مين ٩٠ : ٦٠٨— ٦٠٩ والسؤال ٦٠ المذكور ايضا مين ٦٢٤— ٦٢٥ ومين ٩١ : ١٠٤٢ و ١١١٣ و ١٣٨٥ و ١٠٧٦ والمثوبة اللاهوتية ٢ : ٨٦— ٨٨ مين ٩٠ : ١١٦٥— ١١٦٨ والدمشقي، في الايمان الارثوذكسي ٢ : ١١— ١٢ مين ٩٤ : ٩٠٩— ٩٢٩ و ٣ : ١ مين ٩٤ : ٩٨١— ٩٨٤ و ٤ : ١٣ : ١١٣٦— ١١٥٣ (وهو متأثر بغريغوريوس اللاهوتي، الخطبة ١١ : ١١— ١٣) وقاموس الروحانية ٣ : ١٣٨٧— ١٣٨٨.

ويسوع هو النموذج الذي تم خلق الانسان على موجبه . فالله خلق الانسان على موجب ما سيكون عليه ناسوت يسوع اثناء التجسد الالهي [1] .

والجدير بالذكر هنا ان مكسيموس المعترف نفى اقوال الاوريجنسيين القائلين بسبق وجود الروح . فقال ان الروح والجسد يقومان في آن واحد معا . والروح تحيي الجسد وهو بحاجة اليها وهي بحاجة اليه (مين ٩١ : ١٣٢١ — ١٣٤١ و ٥١٧ و ٥٢٩ و ٦٤) . فالمسيح اتحد بالناسوت منذ الحبل به . والروح والجسد متحدان منذ بداية كل منهما . وجودهما مترافق زمنيا ، كل منهما معاصر للآخر .

بورودين ذكرت — دون ايراد المصدر ، كعادتها — ان مكسيموس قال في الانسان انه «الاله المخلوق» ، وان سيرج بولغاكوف الروسي قال فيه انه «اقنوم ارضي لله» ، حقيقي بينما لدى مكسيموس هو اقنوم ارضي للكلمة «الذي به كان كل شيء (ص ٤٣) .

غريغوريوس اللاهوتي قال في الانسان : «انه اله في وضع» (القصائد الاخلاقية ١٠ ، ١٤٠ مين ٣٧ : ٦٩٠) .

كيرللس الاسكندري ذهب الى ان كون يسوع الها وانسانا اتاح تحويل انسانيتنا الساقطة الى النبل الالهي (مين ٧٥ : ٢٤ — ٢٨ و ٣٥٦ و ٣٦٨) . وقال : «نحن هياكل الروح القدس... بسببه نحن نسمّى آلهة . كيف نصير الهة وهياكل الله...؟ ولكننا ، حقيقة ، هياكل وآلهة» (في الثالوث ٧ ، مين ٧٥ : ١٠٨٩) .

وديونيسيوس المنحول قال : «وتألهنا هو ان نشبه الله ونتحد به على قدر ما نستطيع ...» (الرئاسة الكنسية ١ : ٣ — ٤ مين ٣ : ٣٧٣ — ٣٧٦ وايضا ٣ : ٣ مين ٤٢٩ ، و ٧ مين ٤٣٦ ، والاسماء الالهية ٨ : ٥ مين ٨٩٣) .

صفرونيوس الدمشقي — الاورشليمي قال : «بشرى سارة بها ، نحن المرذولين ، ارتفعنا وتم تأليهنا وتصييرنا الهة بالنعمة... لقد تم اظهارنا كلنا الهة» (مين ٨٧ : ٣٢٨٤) .

---

(١) غريغوريوس النيصصي ، العظة الكبيرة ٥ في مين ٤٥ : ٢١ وكابازيلاس ، الحياة في المسيح ٦ مين ١٥٠ : ٦٨٠ — ٦٨١ وكونتانا (ص ٢٦٨ — ٢٦٩ والحواشي ٣٦ — ٣٩) .

مكسيموس قال في نفخة الله لصنع الانسان انه الاقنوم المخلوق على صوره الاقانيم الالهية (مين ٩١ : ١٢١٧ وريبو ص ٧٥). وقال ايضا ان الانسان «شخص مؤلف» (مين ٩١ : ٤٨٨) و «اقنوم» (مين ٩١ : ٥٥٢ وامكنة اخرى ايضا).

اوليفيه كليمان قال في الانسان انه «اله صغير» وكرر مع صفرونيوس «اله بالنعمة»... عالم صغير microcosme (مجلة كونتاك، العدد ٦٨/ ١٩٦٩ ص ٣٠٤).

وقد بذل بعض المعاصرين جهودا محمودة في ميدان التركيز على ان الانسان شخص او اقنوم. بدأت بورودين المسعى الحميد في العام ١٩٣٢ بسلسلة من المقالات كان لها اوسع الاثر كما ذكر الكردينال دانييلو. وفيها فصل جيد بعنوان «الانثروبولوجية الصوفية». وفي مقالاتها في مجلةoecuménicaالعام ١٩٣٩ تحدثت عن صورة الله في الانسان بصورة رائعة. ثم برز فلاديمير لوسكي ذو الهاجس الثابت لتحديد معالم الشخص حتى اعتبره البعض «لاهوتي الشخص» اي العالم اللاهوتي البارع في التحدث عن الشخص باختصاص لامع. فقد ركز في مؤلفاته اللاهوتية على مفهوم الشخص. وخصه في العام ١٩٥٧ (العدد ٢٤ من الميساجي) بمقال ورد فيما بعد في كتابه «على الصورة والمثال». وقد نشر تلميذه اوليفييه كليمان في المجلة نفسها لعامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ (الاعداد ٤٧— ٥٠) دروسه اللاهوتية. وفيها قسم عن الاقنوم. وفي المجلة نفسها بعض من دروسه عن الشخص. فقد اجاد تلميذه اوليفييه كليمان في هذه المجلة اذ قام بعمل جيد فنسّق شتات ما قاله استاذه في مؤلفاته او الدروس التي القاها في معهد القديس ديونيسيوس اللاهوتي الارثوذكسي في باريس، فجاء العرض شاملا متناسقا متكاملا. واحسن كليمان فيما بعد بنشره في المجلة نفسها (الاعداد ٤٦— ٥٠ لعامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥) دروسا للوسكي بعنوان «العقائدية الارثوذكسية». وقد ظهر العام الماضي بالانكليزيّة بعنوان «اللاهوت الارثوذكسي: مدخل». وهو عرض جيد واسهل من كتبه الاخرى.

غريغوريوس اللاهوتي قال ان الانسان عالم كبير كما سيمر معنا بينما قال مكسيموس انه عالم صغير microcosmos [1] خلقه الله شخصا على صورته

(١) راجع ١٨ و١٩ مصادر.

مدعوا لان يبلغ في النعمة الالهية مثال الله في الكمال الروحي . صورة الله فيه هي الشخص (لوسكي نفسه في عدة امكنة منها «على الصورة والمثال» ، ص ١٣٥ — ١٣٧). وقال لوسكي ايضا : «الانسان هو كائن شخصي مثل الله ، وليس طبيعة عمياء . هذا هو طابع الصورة الالهية فيه... علاقته المطلقة كشخص مع اله شخصي يجب ان تسمح له «بشخصنة» العالم . لم يعد الانسان يخلص عبر الكون بل الكون عبر الانسان . لان الانسان هو اقنوم الكون كله الذي يشترك في طبيعته . والارض تجد معناها الشخصي ، الاقنومي في الانسان . الانسان ، هو للكون رجاء نيل النعمة والاتحاد بالله (رومية ٨ : ١٩— ٢١). فالخليقة اذ اخضعها الانسان للبلبلة والموت تنتظر ايضا من الانسان ، اذ صار ابن الله بالنعمة ، انعتاقها»... والشخص... يجد ملئه حينما يعطي طبيعته ، حينما يتسلم الكون ليقربه لله... عبرنا نحن فقط العالم ، كالجسم الذي هو امتداده ، يستطيع ان ينال النعمة . لأنه ليست النفس فقط ، بل جسم الانسان هو مخلوق على صورة الله . قال غريغوريوس بالاماس : «معاً قد خلقا على صورة الله»... الكائن الشخصي يعني كائنا حرا ، مسؤولا... قادرا على ان يحب احد الناس اكثر من طبيعته الخاصة ، أكثر من حياته...» (العقائدية الارثوذكسية ، العدد ٤٨ ص ٢٢٧ — ٢٢٨). وهو متأثر بمكسيموس هنا .

في النهاية الانسان هو اقنوم يحوي طبيعة ، اقنوم مطالب بان يتوجه بكل شخصه الى الصيرورة الها بفضل نعمة الله ، وجهوده هو العملاقة .

فالطبيعة لدى الاباء ذات معنى ديناميكي لا ذات معنى ثابت [1]

(١) مايندورف ، المدخل ، ص ٢٣٠ و ٢٥٢ ، اوليفيه كليان في العدد ٦٨/ ١٩٦٩ من مجلة كونتاك ، ص ٢٩١ و ٢٩٢ ، ستانيلواي ، في العدد ٨٤/ ١٩٧٣ منها ، ص ٢٩١ .

يقول بردياييف ما مؤداه : الارثوذكسية انتصرت في المجمع المسكوني الرابع على المونوفيزيتية (الطبيعة الواحدة) نظريا ولكنها بقيت عمليا مونوفزيتية . هذا القول مجحف نسبياً . لاهوتنا ديناميكي . الا ان تاريخنا ذو شؤون وشجون . شرقي المتوسط ذو تكوين نفسي خاص . فيرخوفسكوي احد اكابر اللاهوتيين الارثوذكس المعاصرين قال لطلابنا لديه : «انتم تستوعبون العقائد الا انه يكمن فيكم خطر الهرطقة» . حتي بيلاجيوس الهرطوقي الغربي كان تلميذا لراهب سوري . وكان ابناء الكرسي الانطاكي نافذين في قصر

وقد قال الآباء ان الله وضع في الانسان ما يجعل الانسان يتجه الى الله ويرغب فيه ويفتش عنه. وركز النيصصي بصورة واسعة على امتداد الانسان نحو الله بشوق مضطرم لا يبرد تركيزاً رائعاً. فلا حدود قاطعة. نمتد الى الله بلا انقطاع ولا نهاية، الى الابد وذلك بدون ان نستطيع نحن معشر المحدودين ان نشبع من الله اللامتناهي. فسعينا اليه متواصل، لا يتوقف ابدا [1]. وكذلك الملائكة (بالاماس)

ومكمله مكسيموس لا يقل عنه تركيزاً على الموضوع. فالله لديه هو الكل في الكل. هو بدايتنا وهو نهايتنا. ومع كونه لاهوتي متصوف كبير فهو رجل نضال لا تلين له قناة. جابه دنيا المتوسط مكافحة ضد بدعة المشيئة. ولا يهمل العمل الايجابي في تحاليله اللاهوتية. فهو يركز على المعرفة الالهية المقرونة بالفضيلة الايجابية

← القسطنطينية وفي المدينة نفسها كما كانوا يوماً في روما ثم متأخرا في اسطمبول العثمانيين. ويعتبر داوني الاختصاصي الكبير بتاريخ انطاكية انها هي التي انضجت المدنية البيزنطية ثم قدمتها الى القسطنطينية. وقياصرة روما القديمة والجديدة رومان همّهم قبضة الحكم. الصراعات الكنسية اضعفت السلطة الكنسية امام القياصرة. وانتقل المرضي الى روسيا وسواها.

وقد ارتقى عدد كبير من السوريين السدة البطريركية في القسطنطينية. احدهم نسطوريوس شق الكنيسة اول انشقاق كبير استمر حتي يومنا هذا. ومنهم ايضا سرجيوس مؤسس بدعة المشيئة الواحدة التي ازعجت الكنيسة ايما ازعاج في ظروف تاريخية غير مؤاتية لتشقق كبير من هذا النوع. فتوطيد السلطان السياسي كان اهم من التلهي بمثل هذه الاختراعات المضرة. ولكن وراء ذلك كله تكمن اسباب نفسية خاصة بتكويننا النفسي. فنحن فرديون يدور الفرد منا حول محور نفسه، بدون تقاطع عميق مع الغير يحول دون التشقق ان عاجلا ام آجلا. نشبه الرمل الى حد ما، من جهة عدم قابليتنا للالتحام. لتربيتنا وتاريخنا دور كبير في ذلك. الا اني غير قادر علميا على تقدير دور البيئة الطبيعية والبنية البيولوجية والمواد الغذائية في ذلك. فهذا يحتاج الى فريق عمل واسع من العلماء ينضم اليهم محللون نفسانيون ومربون. والارثوذكس تشددوا في العفة الجسدية وذهلوا عن الصراع الروحي لاقتناء الروح القدس الذي يمنح العفة الحقيقية اي طهارة الروح والجسد معا.

(١) العدد ٨٤ لعام ١٩٧٣ من كونتاك خاص بالانتروبولوجيا الارثوذكسية. في العدد ٦٨ لعام ٦٩ عقد كل من افدوكيموف واوليفيه كليمان مقالا. وخص الكردينال دانييلو «الامتداد» بفصل جيد في كتابه عن النيصصي (ص ٢٩١ — ٣٠٧) [٢٠]. وهو مدين فيه جدا لبورودين كما ذكر نفسه.

المناضلة، بالعمل المتقن المركز[1]. وحتى راهب متصوف نقل الى جبل اثوس حرارة «صلاة يسوع» كغريغوريوس السينائي[2] ركز على العمل اوسع تركيز هام. فتراخي الارثوذكس اذاً ليس قائماً على التعليم اذ تعليمهم ايجابي كما ذكرنا قبلا، بل على عيب في النفس.

مكسيموس المعترف قال «ان الانسان هو كنيسة صوفية... الكنيسة انسان روحي، والانسان كنيسة صوفية» (مين ٩١ : ٦٧٢ و ٦٨٤ في كتابه الميستغوغيا حيث يتحدث عن بناء الكنيسة والخدمة).

باسيليوس قال على ما ذكر غريغوريوس في رثائه له : «انا خليقة (من خلائق) الله مدعوة لأن تكون الهاً» (مين ٣٦ : ٥٦٠).

غريغوريوس بالاماس، على غرار مكسيموس والكبادوكيين، يضع النبرة بقوة على الاقانيم الالهية (مايندورف، المدخل، ص ٢٩٢ و ٢٩٧). وهو يذكر ٣ انواع من الاتحادات: اتحاد الاقانيم الثلاثة في الجوهر الواحد، اتحاد طبيعتي المسيح في اقنوم واحد، اتحادنا بالقوة الالهية التي تؤلهنا[3].

في هذا الاتحاد الاخير نشترك في الحياة الالهية بفضل النعمة الالهية. النعمة الالهيّة قوة الهية غير مخلوقة صادرة من الثالوث القدوس، تسكن فينا. بواسطتها نتحد بالله. هذه النعمة تتقنّم فيَّ. الطبيعة البشرية تقنمت في يسوع. والنعمة تتقنّم

---

(١) مستغوغيا، في مين ٩١ : ٦٧٥ — ٧١٨ وبخاصة الفصل الخامس. منذ السنوات الثلاثين اثار مكسيموس اهتمامات الباحثين. وكان فضل بوردين كبيرا. هانس فون بلتازار[21] اصدر كتابا عنه العام ١٩٤١ ظهر ثانيا موسعا (١٩٦١) بالالمانية. للاول ترجمة فرنسية. وخصه مايندورف بالفصل السابع من كتابه. وبمناسبة الذكرى المئوية ١٣ للمجمع السادس ظهرت ٣ كتب عنه وعن صفرونيوس بالفرنسية[22]، فيها لوائح مصادر جيدة.

(٢) غريغوريوس السينائي، مين ١٥٠ : ١٣٠٥ — ١٣١١. وهو من رجالات القرن الرابع عشر. توفاه الله العام ١٣٤٦. والامر واحد في التراث الصوفي الرهباني. فالاهتمام بالعمل بند رئيسي جدا، والكفاح الروحي حرب غير منظورة.

(٣) قال بهذا ايضا الدمشقي ونيقوديموس جبل اثوس (كونتاك، العدد ٨٤/ ١٩٧٣ ص ٢٦٦).

فيَّ. وكلما ارتقيت في الاتحاد بها تعاظم اتحادي بالله (مايندورف المدخل، ص ٢٥٤ و ٢٩٧ وو...).

ستانيلواي يقول ان «انا» الانسان هو صورة «انا» كلمة الله يسوع، المعد لأن يصير ذاتا للاشياء وان يسوع ـــ الكلمة قد نفخه فينا. (كونتاك ٨٤/ ١٩٧٣ ص ٢٩٨ــ ٣٠٢).

باسيليوس والغريغوريوسان والذهبي ومكسيموس والدمشقي وبالاماس تحدثوا عن رئاسة الانسان على الكون كملك وسيد. وذكروا ان الله خلق العالم اولا فاعدّه كقصر ومملكة للملك الآتي اي الانسان [1]. وميَّز الآباء الصورة الالهية بالعقل والحرية والسيادة والحكمة وو... وبعضهم ككبازيلاس (تبعا للنيصصي) تحدث عن صورة الله في الانسان، فجعل مقوماتها طرقاً للتفتيش عن مثيلاتها في الله (كونتاك، النص والحواشي ٣٥ وما يليها) [2].

الا ان استاذي المرحوم بول افدوكيموف لم يكن موفقا كل التوفيق في هذا الباب. احسن في انتقاده شخصانية بعض المفكرين المعاصرين فاعتبرها شخصانية كونية (كوسمولوجية) او اخلاقية او اجتماعية (الحاشية ١٠٢ وص ٩٤) ذاهبا الى ان انثروبولوجيتنا هي اونتولوجية، وقائمة على عقيدتنا في الثالوث القدوس. وذكر مثل بورودين ان الانسان «اله مخلوق» و«اقنوم مخلوق». وقال ايضا انه «اله بحسب النعمة» و«شخص مخلوق». كما ذكر تقنم النعمة الالهية فينا وتقنم الكون في يسوع

(١) باسيليوس، على اصول الانسان واخوه غريغوريوس (خلق الانسان) وغريغوريوس اللاهوتي، الخطبة ٤٥ : ٧ و ٨ والذهبي (شرح التكوين) والدمشقي (الايمان الارثوذكسي ٢ : ١١ و ١٢) وبالاماس، مين ١٥٠ : ١٦٦ وستانيلواي (العدد ٨٤ / ١٩٧٣ من كونتاك، ص: ٢٨٧ و٣٠٢ ــ٣٠٣).

(٢) كانت «النشرة» البطريركية في العامين ١٩٧٣ و ١٩٧٤ قد نشرت دراسة مترجمة عن اليونانية بعنوان «الصورة الالهية في الانسان». وهي اجمالا جيدة الا انها لا تتمتع بالطابع العلمي لجهة ذكر نصوص بالاماس بين هلالين مع ذكر الصفحات التي ورد فيها النص، وتحتاج الى تدقيق اقوى لتنقيح الترجمة وزوال بعض الغموض.

بفضل ناسوته. الا انه في الصفحات ٦٨ الى ٧٢ يقيم تفريقا بين الاقنوم والشخص، فيجعل الاقنوم ما سنصير اليه، ويقول: «في الحالة الطبيعية يختلط الشخص مع الفرد».

وفي مقاله في مجلة كونتاك يحاول دعم ذلك بتحديد المجمع الرابع المسكوني الذي اقام واو العطف بين لفظتي اقنوم وشخص. الا انه ذهل عن لجوء المجمع الخامس صراحة الى اقامة المرادفة بينهما، وان المجمع الرابع صرَّح بوحدة الشخص والاقنوم ليقضي على بلبلة القول باقنومين و٣ اشخاص في يسوع.

ومر معنا ان الكبادوكيين والكنيسة غربا وشرقا قبلوا في القرن الرابع ترادف اللفظتين في عقيدتنا الثالوثية. الا ان الأمر تأخر بالنسبة الى عقيدتنا الخريستولوجية في المسيح حتى القرن الخامس. وينسب لفظة تقنم الى لاونديوس البيزنطي (ص ٧٠ الحاشية ١١١) بينما وردت قبلا لدى ابوليناريوس وابيفانيوس القبرصي. الا ان لاونديوس جعل منها مصطلحاً لاهوتيا اساسيا في مذهبه. انتزعها منه لاونديوس الاورشليمي وطهرها من ادران الافلاطونية الاوريجنسية.

وصرنا اليوم نطلقها على تقنم الطبيعة البشرية في اقنوم ابن الله يسوع[١]

وهو يعتبر القلب مركز اشعاع الشخص. ولكن سنرى ان لاهوتنا الآبائي يعتبر هذه الالفاظ مجازية [٢]. وفي مقاله في مجلة كونتاك الفرنسية يحاول ادخال الطبيب

(١) مكسيموس قال ان يسوع يقنّم العالم في شخصه، بما ان الله صار انسانا ليصير الانسان الها. اما الارتفاع بالانسانية فيجر معه ارتفاع الله (السؤال ٦٠ من الاسئلة الى ثلاسيوس).

(٢) غريغوريوس بالاماس قال بوحدة الروح والجسد وحدة انتولوجية. وهو يحترم اقوال من سبقه من الآباء الا انه يصحّح ما يراه محتاجاً الى التصحيح. فسميّه النيصصي اعتبر الروح غير جسماني وبالتالي ليس هو داخل الجسم. مكاريوس المنحول ركّز على القلب وجعله مركز الروح وكل افكار القلب. بالاماس صحّح ذلك فقال ان الروح هو في داخل الجسم لانه مرتبط به. وهو يستخدم القلب بصورة لا تقبل الوصف كاول عضو جسدي على ما قال مكاريوس المنحول. ولكنه اجمالا يفتح صدره رحبا لمثل هذه المباحث ويطلق لها عنان الحريّة. فما هو هام في نظره انما هو الخلاص فقط (ماينلورف، المدخل ٢١٢ — ٢١٣).
وعالج الامر جيدا في ثالوثياته

النفسي شارل يونج في عداد الشخصانيين القريبين من اللاهوتيين. اتحفظ حيال ذلك. يونج مؤمن. ومفاهيمه قريبة من الدين نسبياً فقط. الاطباء النفسيون اجمالاً طوّروا نظرياتهم باتجاه ال«أنا» و«الشخص»[1] ومع هذا يبقى البون بيننا كبيراً. يتعاطون التحليل والتطبيب على اسس وضيعة وموضوعية. واللاهوتيون يتجاوزون هذا الواقع النسبي الى المطلق. وان كان يونج اعطى ال «هو» soi معنى غير الذي اعطاه اياه فرويد الذي استعاره من نيتشه es (بالألمانية) فانما الفاظنا اللاهوتية اقوى تعبيراً عن المضمون اللاهوتي بمراحل شاسعة. الآباء كيرللس الاورشليمي

٤ــ علاقة الجسد بالروح.

فالجسد هو اداة الروح على ما يرى الآباء كيرللس الاورشليمي (٤ : ٢٣ مين ٢٣ : ١٥) وباسيليوس الكبير (ص ١٨٣) واخوه النيصصي (ص ١٣٠)
فالروح لا يستقر في مكان معين محدود في الجسد. وانما يرتبط بكل جزء منه، يتصل بكل اداته اي الجسد بطريقة اتحاد ما غير قابلة للوصف، وبصورة روحية. وحيث يقع عطب ما في الجسد يبقى الروح بلا نتيجة ينتجها ولا نفاذ (النيصصي، ص ١٢٩ ــ ١٣٢ و...). (٢)

ويعتبر باسيليوس ان ال «انا» يطلق على انساننا الداخلي. اما ما هو خارجي فلا نسميه «أنا». الخارجي هو شيء املكه، هو ملكي، هو لي. فيدي هي جزء من الانسان وليست «انا». اقول يدي اي ان اليد هي ملكي، لي، خاصة بي (١٨٣).

«انا» هو المالك. يدي هي المملوك.

(١) انظر عرضاً شاملاً لارائهم في الانكليزية والفرنسية في:

Gerald S. Blum: Psychoanelytic Theories of Personality (1953).

(٢) راجع ٢٤ مراجع.

ويسأل الذهبي الفم في عظته الخامسة ضد الافنوميين : ما هو جوهر النفس ؟ كيف هي موجودة في جسمنا؟ هل هي منتشرة في كل كتلة الجسم ؟ هذا مجهول ومبهم . الامتداد خاص بالاشياء الجسمانية . فان قطعت يدا رجل او رجلاه بقيت نفسه هي هي . واذا لم تكن في كل الجسم ، فهل هي في قسم من اقسامه؟ لا ! لان ذلك يعني موت الاقسام الاخرى ، اذ ان كل ما ليست له نسمة حياة هو ميت . النفس موجودة في جسمنا ، ولكن لا ندري كيف هي موجودة فيه![1]

هذا التعليم مستمر في الارثوذكسية . فالقديس نيقوديموس الاثوسي في القرن الثامن عشر قال هذا القول مستندا الى الدمشقي («... والجسد لا يحوي النفس بل هي **تحويه** كما ان النار تحوي الحديد».) وباسيليوس. ومن عباراته الجميلة : «الانسان عالم كبير megalocosmos » (غوريغوريوس اللاهوتي) . «كل الخليقة كانت لأجل النفس : الناموس ، النبوات ، الاناجيل قد اعطيت لاجل النفس... لاجل خلاصها جاء ابن الله نفسه الى الارض وصار انسانا... وتألم كثيراً وصلب[2]». وغريغوريوس بالاماس سبقه فقال : «النفس هي في كل مكان في الجسد الذي خلقت فيه ، لا كأنَّ لها مكانا او انه قد احتواها ، بل كممسكة بالجسد معا ومعطية حياة له[3]» . وابرز وفاق الآباء في الرأي .

اما ديكارت الفيلسوف والعالم الفرنسي الكبير فقد ضل السبيل وانطلق يفتش في الجسد عن نقطة التقاء النفس والجسد . كان هذا الهم موجودا في الفكر اليوناني القديم . فذكر النيصصي ان البعض يجعلون الدماغ مركزا وان البعض الاخر يجعل القلب الا انه نسخ القولين معا وسما الى آفاق الروح الرحبة . فالروح جوهريا هو غير الجسد .

وانزلق الفكر بعد ديكارت في التفريق فهوى العلماء الى حضيض العلوم المادية وانسل الفلاسفة الى الاجترارات العقلية بدون حيوية وقيمة حياتية ديناميكية . وتحجر الفكر وابتعد عن الحياة وتلوينها بالوان العمق الروحي الزاهية . صارت المادة معيار الفكر .

---

(١) راجع ٢٥ مراجع (٢) راجع ١٧ مراجع . (٣) راجع ٢٦ مراجع .

فلو كان ديكارت في عهد آباء الكنيسة لاعتبروه نسطوريا في نظرته الى الانسان. وما زال هناك من يرى رأيه بعد التعديل العلمي المعاصر. في القرن الماضي قامت محاولات جادة لاقامة الدليل على ان الدماغ هو مركز النشاط العقلي. ولكنها فشلت جميعا. وتجددت في هذا العصر فصارت الى الافلاس التام.

وفي عدد ايار ١٩٧٩ عقد جراح اميركي كبير مختص بجراحة الدماغ مقالا جيدا في مجلة «المختار» (ص ٨١ — ٨٤). هو يؤمن بالروح وخلودها وانها غير الجسد وان العلم عاجز عن تفسير ظاهرة الحياة وانه سيبقى عاجزا. ومع ان الجراح يحمل دكتوراه في الفلسفة فقد اعتبر الدماغ مركز الروح. فمع احترامي لكفاءته الطبية والعلمية ارفض رأيه الفلسفي. الروح جوهر خاص غير جوهر الجسد. والحلول مفهوم مكاني. والمكان مادة..والروح غير مادية. فلا حيّز مادي لها تسكنه بصورة تقبل المعاينة المجهرية.

الا ان الفكر المعاصر اصيب بصدمة مع ظهور مؤسس الوجودية المسيحي كيركيغارد. فاكتشافه في مطلع هذا القرن كان بداية ثورة ضد الارسطوية ليهب على الفكر نسيم الانجيل والفكر الوجودي العميق. اضف الى هذا رجوع الغرب بكثافة الى آباء الكنيسة القدامى واللغة اليونانية للتعمق اللاهوتي والفكري.

وبعض العلماء المعاصرين توصل الى رأي آباء الكنيسة. فقد اورد كتاب Cosmos زأيا للدكتور بول شوشار مؤداه ان الدماغ هو اداة حياة الروح. فاذا تعطل الدماغ كليا او اصيب برجّة تعيبه عن العمل تلاشت الحياة الروحية او توقّفت (١).

(١) لقد سبق لي في العامين ١٩٧٤ و ١٩٧٥ ان عقدت بحثا علميا حول الموضوع استعرضت فيه احدث الاراء في اصل الحياة وعلاقات النفس بالجسد مستشهدا بمراجع علم النفس الفيزيولوجي والطب العقلي والتحليل النفسي والجراحة الدماغية و و... وانتهيت الى اثبات فرادة لرأي آباء الكنيسة وشخصانيتهم. ولكن فقدت قسما من البحث.

٥ — الرجل والمرأة متساويان

ويبقى معنا فرع أخير الا وهو مسألة الجنسين لدى البشر. فآباء الكنيسة لا يفرقون بين الرجل والمرأة في الخلق على صورة الله ومثاله. ويعتبرون الرجل اقنوما والمرأة اقنوماً. ويكرمون طبيعتيهما بالتساوي. ففضائلهما متساوية. ومكافأتهما متعادلة. وكذلك دينونتهما. وليست المرأة بضعيفة اذ ان الضعف هو من فعل الجسد بينما تقيم القوة في النفس (باسيليوس).

ولا يقف باسيليوس عند هذا الحد. فيبدو انه عرف في زمانه تفوّق النساء في الفضيلة على الرجال، فتابع يقول: هل تستطيع طبيعة الرجل في وقت ما من الاوقات ان تدخل في منافسة مع طبيعة المرأة التي تقضي حياتها في معاناة الوان الحرمان؟ وهل يستطيع الرجل ان يقتفي اثرهن في التجلد على الاصوام والحرارة في الصلاة، وغزارة الدموع، والهمة في الاعمال الخيرية؟ (ص.٢١٣٠).

وانه لجدير بالذكر ان هذا الاطراء لتقوى النساء صدر في القرن الرابع اي ايام العمل بالقانون الروماني الوثني الذي لم يكن قد نال سوى بعض التعديلات التي املتها الروح المسيحية. ونعرف ان هذا القانون لا يساوي ابدا بين الرجال والنساء. فالسلطة فيه لرب العائلة. ولكن ذلك يعطينا صورة واضحة عن التطور الذي طرأ على الافكار وعن الانقلاب الجذري الذي اجرته المسيحية حتى تفوقت النساء في ذلك القرن (قرن انطونيوس الكبير وامثاله) على الرجال[1]. وغابت هذه الرؤية

(٢) آباؤنا القديسون يميلون الى اعتبار الانسان الاول كائنا مثالياً كما سيكون في يوم القيامة اي كالمسيح الممجّد. وبقسم كبير مال البيزنطيون الى رأي اوريجنيس وغريغوريوس النيصصي اي ان الحياة الجنسية كانت مفقودة في الفردوس وان آدم وحواء لم يعرفاها الا بعد ان خسرا جسمها الاثيري واتخذا جسما ماديا يجسّد دعوة الحواس (بورودين، الحامشيتان ٢٩ و ٣٠ ص ٤٦ — ٤٨ ومايندورف ١٨٩ ولوسكي، العقائدية الارثوذكسية، العدد ٤٨ ص ٢٣١ — ٢٣٢)

وما دام الشيء بالشيء يذكر، فان الذهبي الفم في خطبه الشهيرة عن الزواج اعتبر الابوة الروحية اهم واشمل من الابوة الجسدية. ودفاعه عن الحياة الرهبانية وتعلقه بها مشهور. وفي خطبه المذكورة عرض نظريته الرائعة في الزواج فاعتبر ان الزواج اقتران بين الزوجين دون ان يكون النسل شرطا فيه. هذه نظرية توما الاكويني لا الارثوذكسية الآبائية. ولذا لا يقيم الذهبي اي وزن لعقم النساء لان اتحاد الزوج بالزوجة كالمسيح بالكنيسة هو اساس الزواج لا النسل. وبولس الرسول تنازل للضعف البشري فسمح بالزواج الثاني، اما غريغوريوس اللاهوتي فشتم الزواج الثالث. مسيح واحد وكنيسة واحدة والزوجان صورتاهما يصيران واحداً.

عن الغرب ، بالرغم من بعض التقدم المحرز على يد قانونيي القرن الثاني عشر ، فجاء تشريع نابوليون يعيد احكام القانون الروماني القديم ويقيد حرية المرأة. وجاء هذا القرن— وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية— يحرر المرأة اسوأ تحرير لحشوها بالغرور والبروز الكاذب على حساب الرجل الذي لايؤمن في عقله الباطن بذلك ، فاستغل غرور النساء للتملق والتدجيل وتحويل المرأة الى دمية ومطية لاهوائه المرفوضة القبيحة.

اما تاريخ كنيستنا فيشهد للنساء بانهن حاميات الايمان والتقوى والفضيلة. وهذا هو التفوق الذي شهد به باسيليوس شيخ آباء الكنيسة غير المنازع. اما هذا الاسترجال فرفوض لدى الارثوذكس. وعلميا يرى الاطباء النفسيون[1] اليوم ان الرجال اخذوا يتخنثون وفي حديث مع اسكندينافية في العام ١٩٦١ اثبت لها من الطب النفسي ان قول كنائس اسكندينافيا الليبرالية باتفاق العلم والدين وتركيز التربية على الوداعة واستعلاء النساء هي التي نسفت الدين هناك وخلقت الافكار الانتحارية وتخنث الرجال واسترجال النساء.

---

(١) راجع ٢٧ مراجع.

الفصل العاشر

خلاصة البحث (الثالوث، الشخص)

ويجدر بنا في ختام هذا العرض ان نجمل القول مجددا.

في اللاهوت، الاقنوم يمتلك الجوهر. الالوهة الواحدة موجودة برمتها في كل من اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم الروح القدس. النبرة لدى الآباء موضوعة على الوجود الشخصي للاقانيم.

غريغوريوس اللاهوتي قال في يسوع انه: «شخص واحد في طبيعتين»، وقال في الانسان: «منضد في شخص واحد الروح والجسد» (الخطبة ٤٥: ٧ و ٩) واضعا بصراحة النبرة على «الشخص» في امر يسوع كما في امرنا نحن البشر.

الاباء هم المؤسسون الحقيقيون للشخصانية. الشخص حر. بحريته يختار ان يكون الهاً وبحريته يهوي الى القاع. والحرية مفقودة في الفكر اليوناني القديم. ويعتبر جاك شيفلييه الحرية سلاحا قصمت به المسيحية ظهر الفكر اليوناني. رئيس اساقفة كانتربري وليم تينبل كتب مرة ان «خلقيدونية ابرزت افلاس الميتافيزيكا اليونانية[1].

الاقانيم الثلاثة يملكون الجوهر الواحد بالتمام. هو ملك كل من الاقانيم ملكا تاماً. هو غير منقسم بينهم. هو لا يتجزأ. هم ثلاثة اما هو فواحد.

---

(١) ذكره فلوروفسكي في

The Greek Orthodox Theological Review, vol 13, n2 p 191-2

وبفضل هذا كل من الاقانيم يقيم في الاقنومين الآخرين بدون امتزاج. يبقى كل اقنوم قائما بنفسه بدون امتزاج بالاقنومين الاخرين مع انه مقيم فيهما. كل منهما يسع الاخرين. وهذه الوحدة هي الغاية القصوى التي يسعى اليها المسيحي. هو يسعى في الروح القدس ليكون واحدا مع الثالوث القدوس ومع اخوته البشر، لتكون محبته صورة عن محبة كل من الاقانيم للاقنومين الاخرين.

والاقنوم مفهوم منفتح خلافا لمفهوم الطبيعة.

اقنوم يسوع ضمّ اليه طبيعة بشرية فصار مؤلفا من طبيعتين احتفظت كل منهما بخاصاتها.

الطبيعة لا تقبل التأليف ان احتفظت الطبيعة الاخرى بخاصتها. في عالم الطبيعة التأليف مزج للطبيعتين.

اما الان فان يسوع — لاجلنا نحن البشر — فتح بالتأليف الباب على مصراعيه للطبيعة البشرية لان تتحد اقنوميا بالطبيعة الالهية اتحادا عجيبا غريبا لا تدركه الملائكة. فسكن ملء اللاهوت في الناسوت وصار مسحة له. وبهذا شق يسوع الطريق امام البشر لكي يتألهوا بحصولهم على نعمة الروح القدس. فقد قال اثناسيوس المنحول: «ان الله نفسه صار حاملا الجسد لكي نصير نحن البشر حاملين الروح» (مين ٢٦ : ٩٩٦).

هذا المنطلق العقائدي يعني ان الانسان اقنوم منفتح. لاهوتيا هو يستطيع ان يتأله عن طريق النعمة الالهية، ان يكون مسكنا للثالوث القدوس. وبشريا هو مدعو للانفتاح على الاقانيم البشرية الاخرى في عمق محبة لا تسبر اغواره. اذا هو في موقف ثالوثي بين الله والاخوة. هو مدعو لأن يكون شريكا ثالوثياً لله وللبشر كما ذكرنا. وقد برع مكسيموس المعترف جدا في دفع تفريق الكبادوكيين بين الاقنوم والجوهر الى نهايته في آفاق منفتحة جدا يبدو فيها الالحاح على الاقنوم قاطعا. الاقنوم هو مرتكز الجوهر وحاويه وحامله. وهو كل لا يقبل التبعيض ولا التجزيء ولا التحليل الكيماوي أو البيولوجي او الفيزيولوجي او النفسي او ما سواها. ولا يعرف

الفصل العاشر

خلاصة البحث (الثالوث، الشخص)

ويجدر بنا في ختام هذا العرض ان نجمل القول مجددا.

في اللاهوت، الاقنوم يمتلك الجوهر. الالوهة الواحدة موجودة برمتها في كل من اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم الروح القدس. النبرة لدى الآباء موضوعة على الوجود الشخصي للاقانيم.

غريغوريوس اللاهوتي قال في يسوع انه: «شخص واحد في طبيعتين»، وقال في الانسان: «منضد في شخص واحد الروح والجسد» (الخطبة ٤٥: ٧ و ٩) واضعا بصراحة النبرة على «الشخص» في امر يسوع كما في امرنا نحن البشر.

الاباء هم المؤسسون الحقيقيون للشخصانية. الشخص حر. بحريته يختار ان يكون الهاً وبحريته يهوي الى القاع. والحرية مفقودة في الفكر اليوناني القديم. ويعتبر جاك شيفلييه الحرية سلاحا قصمت به المسيحية ظهر الفكر اليوناني. رئيس اساقفة كانتربري وليم تينبل كتب مرة ان «خلقيدونية ابرزت افلاس الميتافيزيكا اليونانية[1].

الاقانيم الثلاثة يملكون الجوهر الواحد بالتمام. هو ملك كل من الاقانيم ملكا تاماً. هو غير منقسم بينهم. هو لا يتجزأ. هم ثلاثة اما هو فواحد.

---

(١) ذكره فلوروفسكي في

The Greek Orthodox Theological Review, vol 13, n2 p 191-2

وبفضل هذا كل من الاقانيم يقيم في الاقنومين الآخرين بدون امتزاج. يبقى كل اقنوم قائما بنفسه بدون امتزاج بالاقنومين الاخرين مع انه مقيم فيهما. كل منهما يسع الاخرين. وهذه الوحدة هي الغاية القصوى التي يسعى اليها المسيحي. هو يسعى في الروح القدس ليكون واحدا مع الثالوث القدوس ومع اخوته البشر، لتكون محبته صورة عن محبة كل من الاقانيم للاقنومين الاخرين.

والاقنوم مفهوم منفتح خلافا لمفهوم الطبيعة.

اقنوم يسوع ضمّ اليه طبيعة بشرية فصار مؤلفا من طبيعتين احتفظت كل منهما بخاصاتها.

الطبيعة لا تقبل التأليف ان احتفظت الطبيعة الاخرى بخاصتها. في عالم الطبيعة التأليف مزج للطبيعتين.

اما الان فان يسوع — لاجلنا نحن البشر — فتح بالتأليف الباب على مصراعيه للطبيعة البشرية لان تتحد اقنوميا بالطبيعة الالهية اتحادا عجيبا غريبا لا تدركه الملائكة. فسكن ملء اللاهوت في الناسوت وصار مسحة له. وبهذا شق يسوع الطريق امام البشر لكي يتألهوا بحصولهم على نعمة الروح القدس. فقد قال اثناسيوس المنحول: «ان الله نفسه صار حاملا الجسد لكي نصير نحن البشر حاملين الروح» (مين ٢٦ : ٩٩٦).

هذا المنطلق العقائدي يعني ان الانسان اقنوم منفتح. لاهوتيا هو يستطيع ان يتأله عن طريق النعمة الالهية، ان يكون مسكنا للثالوث القدوس. وبشريا هو مدعو للانفتاح على الاقانيم البشرية الاخرى في عمق محبة لا تسبر اغواره. اذا هو في موقف ثالوثي بين الله والاخوة. هو مدعو لأن يكون شريكا ثالوثياً لله وللبشر كما ذكرنا. وقد برع مكسيموس المعترف جدا في دفع تفريق الكبادوكيين بين الاقنوم والجوهر الى نهايته في آفاق منفتحة جدا يبدو فيها الالحاح على الاقنوم قاطعا. الاقنوم هو مرتكز الجوهر وحاويه وحامله. وهو كل لا يقبل التبعيض ولا التجزيء ولا التحليل الكيماوي أو البيولوجي او الفيزيولوجي او النفسي او ما سواها. ولا يعرف

بالحواس او بالنظرة بل بحدس داخلي غامض لأن سر الشخص يدخل في عالم المجهولية. فغريغوريوس النيصصي يعتبر صورة الله في الانسان مجهولة كالله اصله . والشخص غير قابل لا للتحطيم ولا للذوبان ولا للاندماج ولا للانصهار، كانه مادة كيماوية. ولدت من ابي وامي. ولكن لكل منا شخصه التام وعالمه المستقل، والشخص موجود حاضر يشعرنا بحضوره بصورة لا تقبل الوصف الدقيق، لا يمكن وضع تعريف له. كلما توهمت اني امسكت به يهرب مني. حتى حدسي به مشوب بالغموض الكبير. نحن امام سر اسمه سر الشخص. يقول: «انا»، و«انت»، و «نحن».

ولحضرته سحر خاص لا يوصف. لا يقبل الدراسة المجهرية. عالمه عالم الافاق المفتوحة على المجهول اللامتناهي. يتمتع بالحرية والعقل والفهم والاستقلال والعفوية والابداع والتسيير الذاتي دون ان يستنفده وصف من اي نوع كان. انه كلّ قائم بذاته متجه الى الشخص المثالي اي الاقنوم الالهي (الذي هو صورته الحية) للاتحاد به بالحد الذي يتحمله الانسان من تدفق انوار الله عليه، ليكون الاقنوم الارضي، ليكون الاله المخلوق اي الانسان على مثال الاقنوم الالهي، على مثال الاله غير المخلوق [1]. نعرف اننا اشخاص. ولكن هيهات لنا ان نسبر اغوارنا كاشخاص. يوم اعتمد الرب يسوع حل عليه الروح القدس [2].

يوم نعتمد نلبس المسيح، نلد في المسيح، نصبح اعضاء في جسد المسيح (الكنيسة). ومع المعمودية ننال مسحة الميرون المقدس اي ننال الروح القدس. باسيليوس وسواه علمونا ان الروح القدس يطبع فينا يسوع الذي هو صورة الاب. واذ نراه فينا نرى الاصل اي الآب (في الروح القدس ٩ : ٢٣)

وغني عن الكلام ان الشخصانيات والوجوديات في الفلسفة المعاصرة— مع

(١) في كتابي «نصف انسان» يقع المرء على نيرات شخصانية في طول الكتاب وعرضه وان كان قد اتخذ قالب الحوار الروائي.

(٢) راجع في العدد ٣/ ١٩٧٩ من مجلة «النور» الغراء مقالي عن الظهور الالهي (ص ٧٥— ٨٢). وقد انهيت في أيار ١٩٨٠ كتاباً في المعمودية سيظهر.

كونها استوحت المسيحية— لم ترتقِ بعد الى هذا المستوى الرفيع. ذكر مونييه في كتابه «الشخصانية» ان آباء الكنيسة اليونان هم اول مؤسسيها. ولكن بقي نسبيا بعيداً عنهم لأنه مفكر لاهوتي. ومع هذا كان له ولصحبه فضل في طرح موضوع «الشخص» حتى دخل في برامج تدريس الفلسفة في البكالوريا.

ولم نطرح الموضوع من وجهة نظر النسكيات لان ذلك يستغرق مجالا واسعاً. وعدد الكتبة كبير. ولكن، لا بأس ان اتيت بخلاصة عاجلة.

بالنسك ينسلخ الناسك من الشهوات والاهواء عامة «وكل عبء وما يساورنا من الخطيئة» (عب ١٢ : ١). كل طاقاته تنتقل على مراحل من التلف في الاهواء الشريرة الى الازدهار المجيد في الروح القدس. تتخلص ارادته من جميع العوائق الدنيوية لتصبح على اتم تعاون مع الارادة الالهية. فالجسدانيات والدنيويات مكرهة لدى الناسك. ويرتقي سلم الفضائل حتى يلتحم روحه بالله التحاماً يتقدس معه الجسد نفسه، وقد ماتت رغباته الممقوتة. اذاً: واضح ان الاداب النسكية تضع نبرة عالية جدا على القيم الصوفية، على نفاذ نور الله في روح الانسان. وفي هذا كله من التعميق لقيمة الانسان **كشخص** ما لا تستطيع ان تلحق به الفلسفة. فالروح هو الاصل. الجسد يتقدس لأن الروح قد تقدس. قداسة الروح تنعكس على الجسد فتقدسه. فلا غرابة ان كان الكاتب الروسي العالمي دوستيوفسكي قد قال ان «الرهبان سيخلصون العالم». فالنسك الصحيح هو الارض الطيبة التي يهطل عليها الروح القدس مدراراً ليؤله الانسان[١]. ولنا عودة الى الموضوع يوماً، بعد انصرافنا (عقب وفاة البطريرك الياس) الى النسكيات والصوفيات[٢].

---

(١) في حواشينا السابقة مراجع تذكر شيئا من هذا القبيل. وبخاصة حاشيتنا المطولة عن مكسيموس والفصل المنوه به من كتاب دانييلو عن النيصصي. ونقوم الآن باصدار كتاب «طريق النساك».

(٢) راجع ٢٩ مراجع.

المراجع

ان التراث المسيحي العربي هو في اكثريته الساحقة مترجم عن اليونانية والسريانية. وقد نجح الاجانب في نقل المخطوطات الى الغرب. في العام ١٩٤٣ اصدر الاب الالماني جورج غراف كتابا ضخما من ٥ مجلدات عن الاداب المسيحية العربية. ولكنه تراث مخطوط لا مطبوع اجمالا. اجود ما طبعه الارثوذكس هو كتاب «الامانة المستقيمة» في العام ١٧٩١ لبطريرك القدس انثيموس. ترجم الموارنة «الخلاصة اللاهوتية» لتوما الاكويني وبعض الكتب الاخرى. اصدر الاب يوسف حداد مجموعة بمثابة مدخل الى العهد الجديد. ولكنها نقل عن الفرنسية. لذلك نؤثر الاستشهاد بالمراجع الاجنبية.

(١) المدخل الى الكتاب المقدس هو موضوع المجلدات الضخمة بالفرنسية والانكليزية والالمانية. بالفرنسية المدخل الرصين الموجز العالي السوية العلمية لكل سفر يتمثل في طبعة ال Bible de Jérusalem سفرا سفراً (طبعة ١٩٧٣).
افضل مدخل عام ككتاب هو — Robert et Feuillet, Introduction à la Bible. (4 tomes)

يضاف اليها على نطاق علمي اوسع جدا

Supplément au Dictionnaire de la Bible.

عن اليهودية يراجع

Lagrange, le Messianisme

Lagrange, Le Judaïsme avant Jésus-Christ.

Bonsirven, Le Judaisme au temps de Jésus-Christ, Paris, 1935 (2 tomes)

Art. Judaïsme dans Supplément au Dict. de la Bible.

(٢) المراجع عديدة. اختار منها:

Serge Hutin, Les Gnostiques

(٣) Dupont-Sommer, Hist. des Araméens, p. 48.

(٤) William Barclay, New testament Words, p. 17

(٥)

a) Théophyle de Régnon, Etudes de Théologie positive sur la Trinité
b) Joseph Tixeront, Histoire des Dogmes (3 tomes).

وقد ظهر في الفرنسية والانكليزية كتب ارثوذكسية تتحدث عن التثليث :

c) Vladimir Lossky, Essai sur la Théologie mystique de l'Eglise d'Orient.
d) Trembellas, La Dogmatique de l'Eglise catholique orthodoxe (3 tomes).

اما بالنسبة للنصوص القديمة المنشورة بالفرنسية والانكليزية فنختار منها :

ا ـــ الاجزاء المختصة باثناسيوس وباسيليوس والغوريغوريوسين اللاهوتي والنيصصي وايلاريون ويوحنا الدمشقي وامبروسيوس في مجموعة

(2) The Nicene and Post-Nicene Fathers.
Saint Basile, Lettres (3 tomes), éd. Belles-Lettres.
(3) Saint Basile, sur le Saint-Esprit, éd. Sources Chrétiennes
(4) Saint Athanase. 4 lettres à Sérapion éd. Sources Chrétiennes
(5) Grégoire de Nazianze (le Théologien), Les Discours Théologiques.
(6) Jean Damascène, La Foi Orthodoxe.

في العربية ، راجع : اسبيرو جبور ، يهوه ام يسوع .

(٦) Jacques Berque et divers, L'Ambivalence dans la Culture Arabe, p 302.

(٧)

a) Fliche et Martin, t. IV p... 287, ...303,... 309...

b) Ernest Stein, Histoire du Bas-empire, t. II, p 158 et 626 n.1. (éd. de 1949).

c) Louis Duchesne, L'Eglise au VI s., p 73.

(٨)

a) Stein, tI p 456, 459; t II, p 37 (éd. de 1949)

د) اسد رستم ، تاريخ الكنيسة الانطاكية ١ . ٣٥٢ و٤٣٥ و ٢ : ٥٦

b) Stein, tI p 298-300 (éd. de 1959); tII, p. 33-39.

c) Alain Ducellier, Miroir de l'Islam, p. 9-13.

d) Dict. d'Histoire et de Géographie ecclés. tIII col 586, 587, 588, 602 et 612.

(٩) النواحي العقائدية مطروحة في المراجع العقائدية المذكورة آنفا. اما المسائل التاريخية فعلى نوعين: تاريخ العقائد والتاريخ العام. لجهة تاريخ العقائد، تيكسرون المذكور انفا جيد. اضيف اليه:

a) Jean Meyendorff, Le Christ dans la Tradition chrétienne

b) Aloïs Grillmeier, Le Christ dans la Tradition chrétienne

c) Aloïs Grillmeier, Das Konzil von Chalkedon (3 tomes).

c) Das Konzil von Chalkedon (3 tomes)

d) A. d'Alès, Le Concil d'Ephèse; Le c. de Nicée.

e) Fliche et Martin, Histoire de l'Eglise, t.I-VI.

f) Prestige, God in Patristic Thought (Dieu dans la Pensée patristique).

g) Joseph Lebon, Le Monophysisme sévérien.

لجهة التواريخ العامة:

a) Fliche et Martin,...

b) Vasilev, The Bysantine Empire, (1952 ترجمه مصري بركاكة عن الطبعة الاولى القديمة.

c) Ostrogorsky, Histoire de Byzance. مؤلفاته عن بيزنطية جميعا

d) Charles Dhiel,

e) Stein

f) Louis Bréhier, La Civilisation bysantine (3 tomes).

وبالعربية:

أ- الدكتور اسد رستم، تاريخ الروم (جزءان).

ب- الدكتور اسد رستم، تاريخ كنيسة انطاكية (٣ اجزاء).

ج- نبيه عاقل، الامبراطورية البيزنطية، جامعة دمشق.

(١٠) طرق لويس غارديه وج . قنواتي المواضيع المطروقة هنا في الجزء الثاني من كتابهما «فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية» . الا ان الكتاب لا يخلو من اغلاط عديدة . ولكن راجع في الصفحة ٢٩٤ ما قالاه عن «الشخص» تر ان اللفظة العربية مثلها مثل اللفظة اليونانية لا ترد المعنى اللاهوتي الا بعد معالجة خاصة .

(١١) Louis Bouyer, Histoire de la Spiritualité chr. t.I

(١٢) راجع نصوصهم في غريلماير ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و ٢٠١ و ٣٧٦ و ٣٨٧ و ٤٨٥ و ٥١٨ و ٥٧٨ وتيكسرون ، المجلد ٢ :

Héfélé-Leclercq, Hist. des Conciles, t.II, 1 p 219.

وعن الرواقيين ونظرة المزج في فيزيائهم ، الصفحة ٢٧ من الكتاب التالي نقلا عن افضل كتاب معاصر في فيزياء اليونان :

a) Michel Spaneut, Permanence du Stoïcisme, p. 27

b) S. Sambursky, Physical World of the Greeks, p 162.

(١٣) مقالات ريشار هامة لانها اكتشفت لاونديوس الاورشليمي الذي كان لوفس قد خلطه مع لاونديوس البيزنطي فتناقل الخطأ كثيرون . وهي مع مقال غروميل في قاموس اللاهوت الكاثوليكي (المجلد ٩ : ٤٠٠ — ٤٢٦) Das konzil,

وكتابي مايندورف وايفانس ومقالات هذا في دائرة المعارف الكاثوليكية الاميركية من أفضل ما ظهر حديثا عن لاهوت لق القرن السادس ريثما يظهر الجزء الثاني من كتاب غريلماير . وهذه اهم مقالاته :

Marcel. Richard, Le traité "De Sectis" et Léonce de Bysance", Revue d'Hist. eclés. XXXV (1939), 695-723.

Marcel Richard, "Léonce de Jérusalem et Léonce de Bysance", Mélanges de Science religieuse, I (1944), 35-88.

Marcel Richard "L'Introduction du mot Hypostase dans la théologie de l'Incarnation", dans Mélanges de Sciences religieuses, 2, 1945, p. 12-17.

Marcel Richard, "Le Néo-chalcédonisme," Mélanges..., III (1946), p 156-161

Marcel Richard, "Léonce de Bysance était-il originiste?" Revue des études Bysantines, V (1947), 31-66.

(١٤) David Beecher Evans, Leontius of Bysantium

(١٥) البروفسور والآنسة غيومون هما اكبر المهتمين الان بنشر المؤلفات الكاملة لايفاغريوس الذي اختفى بنسبة واسعة من اليونانية فتقمص في السريانية والارمنية حيث لم يضربه حرم كما ضربه حرم المجمع المسكوني الخامس لدينا.

في الجزء الاول من الكتاب دراسة واسعة جدا عنه. وفي الجزء الثاني ترجمة لاحد كتبه. وفي قاموس الروحانية يطالع المرء افضل المقالات عن المؤلفين الروحيين وابحاثهم.

Evagre le Pontique, 2t. Sources chr., n 170 et 171).

Dictionnaire de Spiritualité.

(١٦) مايندورف، الفصلان ٣ و ٤ ومؤلفات لاونديوس الاورشليمي (مين ٨٦ : ١٣٩٩ — ١٩٠٠) وافرام الآمدي (فوتيوس، المكتبة، المجلد ٤ ص ١١٤ — ١٧٤ في مين ايضا ١٠٣ : ٩٥٧ — ١٠٢٤) و

Homélies pascales, p. 341-2 (Sources chr.)

ويستطيع القارىء العربي ان يقرأ عن المجمع الخامس والمجامع اجمالا في «مجموعة الشرع الكنسي». وقد انتقد مايندورف بحق في حاشية الصفحة ١١٣ — ١١٤ بعض العلماء الغربيين الذين يتنكرون اليوم للمجمع الخامس المسكوني. واضيف عليه ان مجمع لاتران في العام ٦٤٩ ضد المشيئة الواحدة انعقد برئاسة البابا مرتينوس الشهيد. وفي جلسته الثالثة (١٧/ ١٠/ ٦٤٩) تليت حرومات المجمع الخامس وتليت في الجلسة الخامسة (٣١/ ١٠) خلاصة من اقرار ايمان المجمع الخامس (راجع ص ٤٤٠ من هيفيلية — لي كلير). وقد ثبته المجمعان المسكونيان الثاليان السادس والسابع ودخلت تحديداته في صلب التعليمين الارثوذكسي والكاثوليكي. والترانيم الارثوذكسية تكريس يومي له.

17 -

a) Myrrha Lot-Borodine, La déification de l'Homme.

b) Constantine Cavarnos, St Nicodemos the Hagiorite, p 119; 115-120.

18) L. Thunberg, Microcosm and Mediator, Lund 1965.

19) Messager de l'Exarchat... no 30-31 (1959) p 152-174 et...

20) Jean Daniélou, Platonisme et Théologie mystique

21) Hans Urs von Balthasar, Liturgie cosmique (1ère éd. 1947); 2e éd. allemande 1961.

22)

a) Alain Riou, Le Monde et l'Eglise selon Maxime le Confesseur.

b) Juan-Mignel Garriques, Maxime le Confesseur

c) Christophe von Schönborn, Sophrone de Jérusalem. La Charité avenir divin de l'Homme.

23) Paul Evodokimov, L'Orthodoxie; Contacts n 68 et 37.

24)

a) Basile de Césarée, Sur l'Origine de l'Homme (Sources ch.).

b) Grégoire de Nysse, Création de l'Homme (S.C.).

25) Jean Chrysostome, sur l'Incompréhensibilité de Dieu (S.C.) p. 295.

26) in Cavarnos, p 153

27) Sacha Nacht et divers, La Psychanalyse d'Aujourd'hui, 2t.; 1956.

28) Jacques Chevalier, Hist. de la Pensée, tII

(٢٩) موضوع تأله الانسان لدى آباء الكنيسة الشرقية من اروع المواضيع . هو مطروق لدى الكتبة المذكورين اعلاه (بورودين ، لوسكي ، افدوكيموف ،

مايندورف) .كتابا بورودين (تأله الانسان ونيقولا كابازيلاس) ثمينان جدا في هذا الباب . كان غروس Gross قد جمع النصوص الابائية اليونانية في كتاب صدر العام ١٩٣٨ ونفد كليا منذ سنوات عديدة. وخصه قاموس الروحانيّة بفصل جيد تحت كلمة divinisation (المجلد ٣ : ١٣٧٥— ١٣٨٩ ...) .

30)

a) The Greek Orthodox Theological Review; Brooklyn
b) Wort und Wahrheit, Dec 1971; Vienna, p. 11-181; Communiqué, p. 182-3.

ايها الآب السماوي

ايها الآب السماوي القدوس الذي منه صدر الابن الوحيد بالولادة والروح القدس بالانبثاق في كيفيتين وحدك وهما تعرفونها ؛

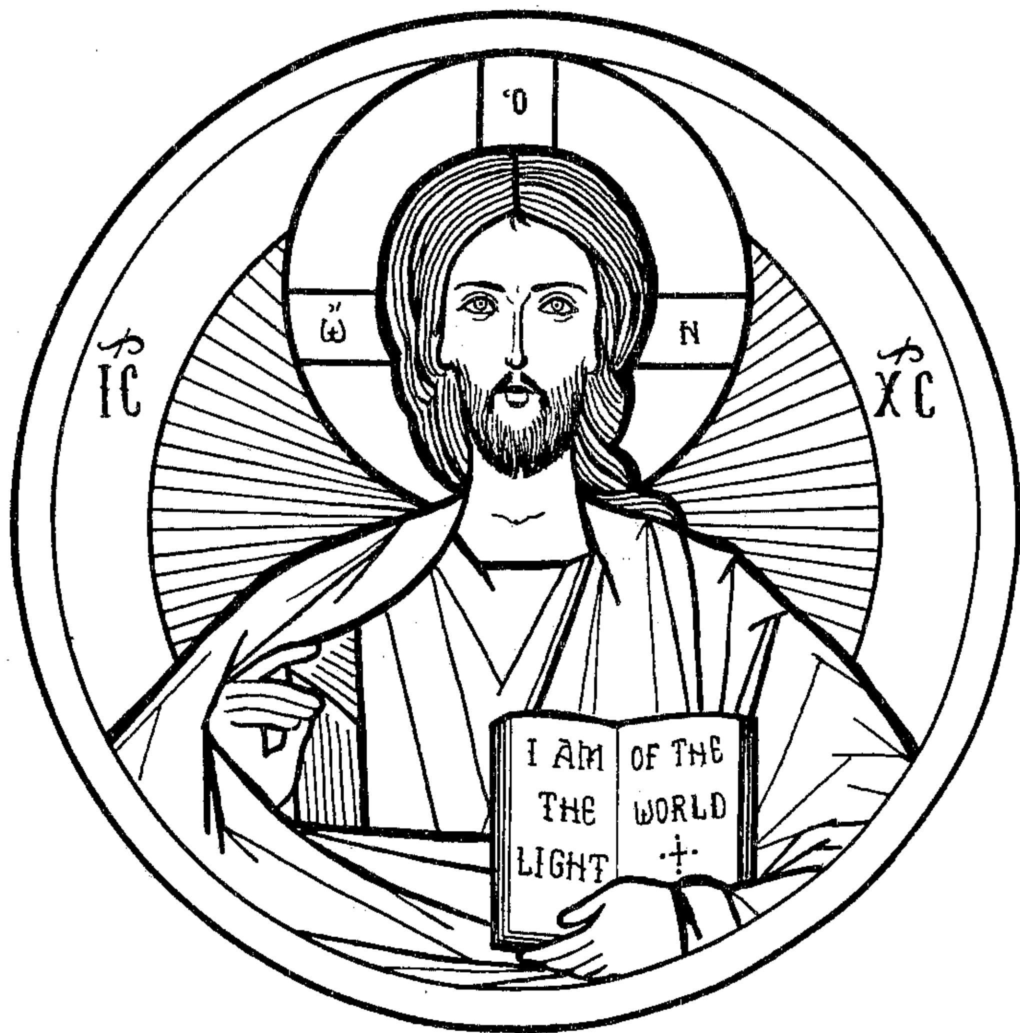
يا ابتِ القدوس الذي مجدك يفوق كل ادراك ولا تدنو منك الافهام الا بالقدر الذي يسمح به شعاع لاهوتك لمن يشاء الابن الحبيب ان يكشف له بنعمة روحك القدوس طرفاً مما حول لاهوتك من نور ومجد ؛

يا ابا المراحم التي لا توصف ولا تحد ، يا من خلقت الاكوان بكلمة امرك ، فقلتَ لها : كوني فكانت ؛ يا من خصصت الانسان وحده من دونها بعناية فائقة فاشتركت مع ابنك الحبيب وروحك القدوس كفخاري حكيم في ابداعه خلقة حسنة الصورة متقنة الصنع ، فرسمته صورة جميلة يسطع فيها جمالك ايها الجمال المطلق ؛ يا من جمَّلته وحده بين المرئيات بنفخة منك منحته الروح وجعلته نفسا حية وشخصاً ، اقنوماً على صورة اقنومك الالهي ؛ يا من لم تشأ ان يبقى وحده في وحشة وعزلة وانطواء على الذات فخلقت له كخاتمة خلقك من لحمه ودمه حواء ليكون واياها الانسان الكامل في جسد واحد رباطه الوثيق المحبة على صورة محبتك للابن والروح القدس ومحبتهما لك ؛

يا من لم تهملها حين سقطا من نور مجدك ، بل وعدتهما بالمخلص الذي يسحق رأس ابليس ، فعبَّأت التاريخ من الافعال والالغاز والايماءات والنبوات والمعجزات كشحنة كبرى اعدادية لمجيء ابنك الوحيد في الجسد ، فاتانا لما حان ملء الزمان ، ليخرجنا من عجز شريعة موسى ووهدة اليأس من انفسنا ومن كل شيء ، وينقلنا الى ملكوت نعمته ؛

ايها الاب القدوس ، انتَ القادر على كل شيء الصانع هذه المعجزات التي يعجز العقل عن ادراكها ، امدد ساعدك الرفيع والمس عقلي العاجز واسند قلبي المحطم . فقد تجاسرت على التكلم في لاهوتك ، بينما انا انسان ملوث بالاثم برمتي . فاني بحاجة الى شعاعك ليدعمني ضد هذه الجسارة الوقحة . فالنظر اليك يحتاج الى عيون طاهرة ، والتكلم في مجدك الى لسان نقي وفكر محمي بالروح القدس وقلب صار مقراً لابنك الحبيب . وانا قد تعريت بخطاياي التي لا تحصى من هذا المجد . والا لكنت بدلا من الكلام والتحليل اذوب هياماً بك يا من النطق في شأنه عسير على الملائكة انفسهم . ولكني اطمع في رحمتك ولطفك . فانقلني من الكلام الى الافعال واغمر عقلي وقلبي بفيض منك ينسيني كل شيء ما عداك ، يا رجاء كل الذين لا رجاء لهم .

ارحمني باعظم ما لديك من مراحم . واية رحمة اعظم من ارسالك ابنك متجسداً مصلوباً ! ارحمني ، اذاً ، بتجسده ، بصلبه ، بدفنه ، بقيامته ، بصعوده . اجعل ذلك خاتم محبتك في قلبي ، خاتماً مغروزاً غرزة لا زوال لها ابدا . فحبيبك هذا ابنك الوحيد الذي افضته على الكون بصورة ملموسة في جسد ملأ الكون وجمعه في ذاته ، هذا نفسه اجعله حظي ونصيبي والمالىء الاوحد لكل كياني في تطهير كامل من كل رجاساتي التي لا تُحْصى ابدا . فانه ما من حائل قط يستطيع ان يقف في وجهك . فحطم الحواجز وأسْكن ابنك فيَّ . وليس فيَّ فقط بل في جميع اخواني احبائي بني الانسان لانهم لك . فاسكب تجسد ابنك فيهم واقدد منهم هياكل له ليكونوا جميعا قديسين كما انك انت قدوس . فارحم وبارك وقدِّس ولا تصرف وجهك عن اي من خلائقك ، يا من محبتك تشمل كل الموجودات ورحمتك تسع كل المخلوقات . فيا لطيف الطفْ بعبادك اجمعين واغمرهم بنورك وحنانك ، فانت السميع المجيب الرحيم .



IC
XC
I AM THE LIGHT
OF THE WORLD

القسم الثاني

التجسد الالهي

قال الذهبي الفم في يسوع انه «اقرب الينا من قرب الجسم من الرأس» (العظة ١٩ : ٣ على يوحنا).

وقال نيقولاوس كابازيلاس انه «اقرب الينا من نفسنا ذاتها» (مين ١٥٠ : ٧١٢)

الفصل الاول

١ — مدخل

بعد اجيال واجيال من تخليص شعب العهد القديم من الافكار الوثنية، وترسيخه في الايمان بوحدة الله، وبتنزه الاله عن المادة والحصر، وفي الاعتقاد بان الله روح غير متناه وكلي الاقتدار، انكسر سير الفكر والتاريخ باعجوبة جديدة من اعاجيب السماء: ملاك في الناصرة يبشر مريم الكلية الطهر والقداسة، حواء الجديدة، بان الله آتٍ الى العالم بواسطتها

لقد اختار الله قبلها كثيرين من الشعب المختار، فمنحهم البركة وفوض المهام الالهية اليهم. ولكن ملء الزمان واكتمال الطهارة والقداسة لم يبلغا المرام الا في الفتاة المختارة مريم البتول: «لما حان ملء الزمان ارسل الله ابنه مولوداً من امرأة»[١].

من هي مريم؟ لا نعلم تاريخ حياتها بالدقة. ولكن بشارة الملاك واختيار الله لها اماً للابن الحبيب يسوع ينبئان عن جوهرها السامي.

ماذا كانت تعمل حين دخول الملاك؟ وفي اية حالة كانت؟ هل كانت تصلي؟ هل كانت في حالة اختطاف روحي؟ لا ندري بالدقة. ولكنها كانت حتماً في قمة من قمم الاقتراب من الله.

كيف قابلت الملاك؟ ان رواية الانجيلي لوقا[٢] تدل على ان عمق تواضعها قد استغرب السلام والبشارة وانها خافت. لم يكن التجسد عملاً قسرياً بل قبولا منها

(١) غلاطية ٤ : ٤.

(٢) لوقا ١ : ٢٦ — ٣٩

ارادياً. لذا فحديث الملاك معها تدرج نحو جوابها: «ها أنذا امة الرب فليكن لي بحسب قولك»[١].

سألت الملاك عن كيفية الحبل، لانها استغربت ان تصبح حبلى وقد عزمت على عيش البتولية الدائمة. فطمأنها الملاك الى ان «الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك، ولذلك فالقدوس المولود منك يدعى ابن الله»[٢]

الله يعرض بواسطة الملاك على مريم ان يتخذ ابن الله من جسدها جسداً، من بطنها مستودعاً له، وهو الذي لا تسعه السماوات والارض.

وتوقف سير التاريخ هنيهة: فاما ان ترد مريم بالنيابة عن البشر بنعم واما ان ترد بلا.

وكان على ضمير مريم الطاهر ان يحلّ الموقف فاختارت مريم مرضاة الله وخلاص بني البشر.

هي باكورتنا هي تقدمتنا لله. بها صارت السماء ارضاً والارض سماء، فاضحى بطنها «ارحب من السماوات». «وظهر فردوساً عقليا فيه الغرسة الالهية التي نأكل منها فنحيا ولا نموت مثل آدم».

امام عرض الله، كان جواب مريم: «ها أنذا امة للرب». انها خادمة، امة للرب مستعدة لقبول ارادته وتنفيذ مشيئته. «ها أنذا» هي حاضرة جاهزة، تعرض نفسها للرب، تستسلم لرغبته، تقبل تدبيره لخلاص بني البشر: «فليكن لي بحسب قولك»، اني اريد ان يكون ما اراده الله.

وفي هذه اللحظة، بعد هذا الجواب الحاسم، تم السر الخفي منذ الدهور، سر اتحاد الله والانسان فاتحد ابن الله بالانسان وتم تجسد الكلمة: «والكلمة صار جسداً وحل فينا»[٣].

---

(١) لوقا ١ : ٣٨

(٢) ١ : ٣٥.

(٣) يوحنا ١ : ١٤.

فما هو سر التجسد؟ انه سر الحبل بابن الله في احشاء العدراء، وذلك ان الابن الاقنوم الثاني من الثالوث القدوس ضم الى اقنومه الالهي طبيعتنا البشرية التي نحتها لنفسه من الكلية الطهارة مريم، «من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا».

وقد حدد دستور الايمان وكرر المجمعان الرابع والسادس المسكونيان هذين السببين: «من اجلنا نحن البشر»، «ومن اجل خلاصنا».

ان آدم قد زلَّ في الفردوس وفارق الله وطرد من الجنة. وفي وقت كانت فيه قواه الطبيعية جيدة ومتجهة نحو الله، اختار المعصية والشر، فدخل الانحلال والفساد ارادته، وجرى عليه حكم الله بالموت روحياً، فكان الموت الجسدي والبلى نتيجةً لموته الروحي.

لقد قال الله له: «يوم تأكل منها تموت موتاً»[1]. **فالموت الآني كان روحياً** اذاً (ثم بعد شيخوخة طويلة حصل الموت المعلوم) فانتقل الينا الفساد[2].

ولكن محبة الله التي تفوق كل عقل وفهم، ويعجز عن حسن تمجيدها وشكرها والانسحاق لها كل قلب ولسان، لم تشأ ان نهلك وان نبقى بعيدين عنها حتى النهاية، وان يبتلع الموت والهاوية بني البشر دون رجاء.

لذلك فان الثالوث القدوس سُرَّ بغني فيض مراحمه، ان يظهر في الزمن المعين، ما اراده قبل الدهور لأجلنا ولاجل خلاصنا، ليعيدنا الى الاتحاد به ويصيرنا شركاء في الطبيعة الالهية[3].

فارسل الاقنوم الثاني الابن الحبيب كلمة الله الازلية «الخروف المذبوح قبل الدهور»، الذي وهو في صورة الله اخلى ذاته آخذا صورة عبد، وصائراً في شبه البشر وموجوداً كبشر في الهيئة، فوضع نفسه وصار يطيع حتى الموت موت

(١) تكوين ٢: ١٧ وايضا ٣: ٣.
(٢) راجع تعليم الآباء في كتاب مايندورف ص ١٨١ — ١٨٥ «المدخل الى دراسة غوريغوريوس بالاماس» (فرنسي) وفي الفصل الرابع من هذا الكتاب. لمكسيموس تحاليل دقيقة وعسيرة عن الطبيعة والارادة والاقنوم صرفنا النظر عنها هنا.

(٣) ١ بطرس ١: ٤.

الصليب »[1] . فهذا الخضوع للمشيئة الالهية ، هذا الاخلاء ، حمل الرب يسوع على ان يصير « رجل الاوجاع »[2] من اجلنا فيقاسي كل ما جلبه علينا سقوط آدم ما خلا الخطيئة.

ان الطبيعة البشرية التي اخذها قابلة لمعاناة ما نعانيه بسبب السقوط ، فانه اخضعها لذلك من اجلنا فكان فيه قبل القيامة القابلية للبلى والالم التي ارادها حباً بنا.

وقد حجب نوره الالهي الا يوم التجلي على جبل ثابور مع ان نوره الالهي موجود دائماً في جسده[3] . وبما ان العطب الذي اصاب آدم اقام ثلاثة حواجز بيننا وبين الله : الطبيعة والخطيئة والموت فقد تغلب عليها المسيح الواحد تلو الآخر . فتغلب على الطبيعة بتجسده الذي ضم الناسوت الى اللاهوت ، وعلى الخطيئة بموته ، وعلى الموت آخر الاعداء بقيامته[4] . فالمرحلة الهامة كانت التجسد . ولما تخطى الله هذه المرحلة اضحى الانتصاران الاخيران مضمونين وأمرين طبيعيين واقعين حتماً.

« منذ ان لبس الكلمة الجسد ، كل سم الحية قد انطفأ فيه (في الجسد) ... وفي الوقت نفسه ، الموت نتيجة الخطيئة قد محي » ، كما يقول القديس اثناسيوس[5] ان لاهوتنا الارثوذكسي يؤكد على التجسد كثيراً.

وكان التجسد تدبيراً صادراً عن ارادة الله لا عن جوهره . لذلك لم يطرأ على جوهر الله أي تغيير بسبب التجسد . فبقي لاهوت الثالوث بما فيه لاهوت الابن هو هو كما كان قبل التجسد[6] .

---

(١) فيليبي ٢ : ٦ — ٨ . في قانون عشية الميلاد ، القطع تتحدث عن الآلام تعبيراً عن ايماننا بالخروف المذبوح قبل الدهور وعن ارتباط التجسد والميلاد بالآلام وعن كون يسوع رجل الاوجاع والآلام والاخلاء منذ مولده.

(٢) اشعياء ٥٣ : ٣ .

(٣) مكسيموس المعترف في لوسكي ص ١٤٤ — ١٤٥ والدمشقي ٣ : ٢٥ .

(٤) نيقولا كابازيلاس : الحياة في المسيح الفصل ٣ وايضاً الدمشقي ٤ : ١٣ وكورنثوس الاولى ١٥

(٥) مين ٢٦ : ٢٩٦ وهذه الافكار واضحة في كتابه في التجسد ايضاً.

(٦) لوسكي : ١٣٤ ومصادره.

فليس لدى الله تبدل او ظل دوران. فهو هو منذ الازل والى الابد.

اما التجسد فقد قصد الله به ان يخلصنا، وان يعيدنا ويضمنا اليه.

وفي لاهوتنا الارثوذكسي (المتفق مع تعاليم آباء الكنيسة) يظهر الخلاص عملاً سلبياً كانقاذ من شيء ما[1] فيتعداه التجسد ليبدو عملاً خاصاً اتحد فيه الاله بالانسان.

ونؤكد جداً على ان الاله صار انساناً ليصير الانسان الهاً منذ القديس ايريناوس (القرن الثاني) بل منذ العنصرة ومع بطرس (ابط ١ : ٤) واغناطيوس الانطاكي حتى يومنا هذا[2]. وفي دفاع اباء الكنيسة ضد الاريوسية والابولينارية والنسطورية والمنوفيزيستية (الطبيعة الواحدة) والمنوثوليتية (المشيئة الواحدة) كان المستند الرئيسي ان تألهنا وتقديسنا وخلاصنا وصيرورتنا ابناء الله بالتبني هي امور لا تتم بواسطة يسوع المسيح الا اذا كان يسوع وسيطاً كاملاً يجمع كل اللاهوت وكل الناسوت في وحدة الاقنوم[3]. وقد عبر القديس مكسيموس المعترف عن عقيدة الآباء هذه احسن تعبير فتعادل في نظره التجسد وعمل تأليهنا. فقال «ان التجسد يصنع من الانسان الهاً بمقدار ما صار الاله انساناً»[4]، فنتحول[5]، فيُحْكم نوعٌ من

(١) لوسكي : ١٣١.

(٢) راجع المصادر في مقالنا عن الظهور الالهي في ص ٧٦ و ٧٧ من عدد نيسان ١٩٧٩ من مجلة «النور». اما تأليه طبيعة المسيح البشرية وتأليهنا فلا يعنيان استحالة جوهرنا الى جوهر الهي بل نفوذ القوى الالهية énergies الى الطبيعة البشرية. لاهوتنا الارثوذكسي يفرق بين جوهر الله والقوى الالهية.

(٣) ايريناوس ضد الهرطقات في مين ٧ : ٩٣٧، ١٠٧٤ — ١١٠٢، ١١٢١ — ابوليتوس، مين ١٠ : ٧٣٢ و ٧٨٠ — اثناسيوس الكبير، مين ٢٦ : ٩٦ و ٢٩٣ — ٢٩٦ و ٢٧٣ و ٣٩٣ — كيرللس الاورشليمي، الميمر ١٢ : ١ و ١٣ و ١٤ و ١٦ — غوريغوريوس النيسسي، مين ٤٥ : ٨ و ١١٥٢ و ١١٥٧ و ١٢٥٢ — دامسوس بابا روما، مين اللاتيني ١٣ : ٣٥٣ و ٣٥٣ — كيرللس الاسكندري في مواضع عديدة منها : مين ٧٤ : ٥٦٤ — و ٥٥٧ — لاونديوس البيزنطي ٨٦ : ١٢٦٨ و ١٣٢٤ — ١٣٢٥ و ١٣٤٨ و ١٣٢٥ — وصفرونيوس البطريرك الاورشليمي، مين ٨٧ : ٣١٦٢ — والدمشقي، مين ٩٥ : ١٦١. راجع ايضا قاموس الروحانية ٣ : ١٣٧٦ — ١٣٩٨.

(٤) مكسيموس، مين ٩٠ : ١٢٠٤.

(٥) ٢٨٠ — ٢٨١.

التعادل بين كياننا وبين المسيح[١] . فيسوع اله تام وانسان تام في طبيعتين متحدتين في اقنوم واحد.

وهذه العقيدة واضحة في الكتاب الالهي وتاريخ الكنيسة.

٢— نبذة تاريخية[٢]

ظهرت المسيحية في بيئة موحدة منزهة وانتشرت فيا بعد في محيط وثني مساهم في الحضارات الشرقية واليونانية والرومانية فاصطدمت مع الذهنية اليهودية من جهة ومع المذاهب الدينية والفلسفة اليونانية من جهة اخرى.

فظهرت البدع المنكرة للاهوت المسيح (الابيونيون) والمنكرة لطبيعته البشرية الحقيقية (الدوكيتيون) منذ العهد الرسولي.

وقد جاهد يوحنا الانجيلي ضد ذلك، ثم القديس اغناطيوس الانطاكي، ثم آباء القرن الثاني حتى ظهر اريوس في القرن الرابع حيث اخذت البدعة اتساعاً واساليب غير معهودة. فانكر اريوس لاهوت الابن وقال ان كلمة الله حل محل روح الناسوت. وبذلك يكون يسوع غير مساو للآب ولا لنا.

وتمسكت الكنيسة بعقيدتها في ان الله واحد في الجوهر وثالوثي الاقانيم اي الاشخاص.

قال البعض بما يشعر بثنائية شخص يسوع. رد في العام ٣٥٢ (بحسب رأي ليتزمان و٣٦٠ برأي غيره) ابوليناريوس اسقف اللاذقية ببدعته القائلة بان يسوع اله تام اتحد بجسد ونفس حيوانية فصار كلمة الله قائماً مقام الروح[٣].

فاسرع آنذاك جهابذة الايمان الى دحض اقواله وتوضيح تعليم الكنيسة عن

(١) ٣٢٤ و ٣٤٠.

(٢) تراجع المراجع العامة في التاريخ العام وتاريخ العقائد وتاريخ الادب المسيحي للدكتور اسد رستم.

(٣) noûs، باليونانية.

التجسد وطبيعتي المسيح واتحادهما. فشجب تعليمه اثناسيوس الكبير بواسطة مجمع الاسكندرية سنة ٣٦٢، وتبرأ منه القديس باسيليوس، وانبرى الغوريغوريوسان الى الكفاح وتوضيح العقيدة، فكانت رسالتا غريغوريوس اللاهوتي الى كليدونيوس نبراساً انار الكنيسة حتى المجمع الرابع المسكوني (الخلقيدوني) اذ لعبت فيه دوراً بارزاً. وقد اطلق عبارته الشهيرة «ما لم يتخذه (الابن) لم يخلص»[1].

ويعني بذلك ان المسيح اخذ طبيعة بشرية كاملة ذات نفس عاقلة: فالخطيئة من فعل النفس. ولذلك كان لا بد من مداواة النفس في التجسد.

فالجسد بدون نفس لا يخطأ. فكل أنقاص للطبيعة البشرية في المسيح يجعل الخلاص والتأليهَ ناقصين واللقاءَ بين الاله والانسان غير تام.

لذا اكد آباء النيسة على تمامية الطبيعة البشرية في المسيح. فان فقدت النفس او العقل او الارادة-(اي المشيئة) كان لقاء الانسان بالاله غير تام.

فكان لا بد للانسان بتمامه من ان يلاقي الاله بتمامه في وحدة منسجمة لكي تتم المصالحة بين الله والانسان.

ان نقصت الطبيعة او فقدت المشيئة او الفعل، كان الانسان في موقف غير كامل مع الله.

وكرد فعل على ابوليناريوس، اسرف ديودورس اسقف ترسيس (بسوريا) رئيس المدرسة الانطاكية وثيوذورس اسقف موبسيسته (المصيصة) ونسطوريوس في مقاومة الابولينارية فقالوا بالتأكيد على تمامية الطبيعة الانسانية حتى جعلوها اقنوماً. ولما تجاسر نسطوريوس بطريرك القسطنطينية على حماية كاهنه الانطاكي انستاسيوس الذي تهجم على تسمية سيدتنا مريم بوالدة الاله ابتدأت معركة لاهوتية جديدة انتهت بنصر القديس كيرللس الاسكندري (المجمع المسكوني الثالث عام ٤٣١) ومصالحته مع يوحنا البطريرك الانطاكي عام ٤٣٣.

---

(١) الرسالة الى كليدونيوس. اخذها عنه كيرللس كما سيأتي.

ولكن المشكلة اندلعت من جديد حينما اخذ الراهب افتيشيوس (اوطيخا) يعلم بامتزاج الطبيعتين. وتطورت الاحداث ولعبت المسائل الشخصية دورها كما لعبت من قبل منذ بدعة اريوس.

فتبنى ديوسقورس بطريرك الاسكندرية اوطيخا واختلف مع القديس لاون بابا روما وفلافيانوس بطريرك القسطنطينية.

وتطورت الامور بصورة سيئة حتى عام ٤٥١، فانعقد في تشرين الاول المجمع الرابع المسكوني. فاعترف فيه اناتوليوس بطريرك القسطنطينية في ٢٢/ ١٠/ ٤٥١ انه لا خلاف عقائدي مع ديوسقورس. ولكن الخلافات الشخصية لعبت دورها في الفرقة. فليس ديوسقورس اوطيخياً.

وحدد المجمع الرابع المذكور العقيدة نهائياً في الاقنوم والطبيعتين ثم كمَّل التحديدَ المجمعُ السادس المسكوني.

وكان الخلاف دائراً ضد نسطوريوس على مسألة طبيعتي المسيح وطريقة اتحادهما. فتقول النسطورية «بوجود طبيعتين واقنومين وشخص النبوة وارادة واحدة وسلطة واحدة». وتجعل الاتحاد بين الاقنومين رابطة معنوية لا حقيقية تتم في الشخص لوحده لا في الاقنوم.

وهي تقيم فارقا بين الشخص والاقنوم يبيح ثانوية الاتحاد وبالتالي ضعفه.

وتقول الاوطيخية الكافرة بامتزاج الطبيعتين.

ويقول اصحاب الطبيعة الواحدة (الاقباط والسريان والارمن والاحباش) بوجود طبيعتين متحدتين بطبيعة واحدة تجتمع فيها جميع الصفات والخصائص الانسانية أو الناسوتية وجميع الصفات والخصائص اللاهوتية بدون امتزاج وبدون تغيير، وبدون استحالة. والاقنوم واحد هو اقنوم كلمة الله المتجسد.

لا يؤمنون بطبيعة واحدة الهية صرفة كما يشاع عنهم بل بطبيعة واحدة الهية لها صفات اللاهوت والناسوت.

وعقيدتهم صحيحة في الاساس وخلافهم معنا «مجرد خلاف في التعبير»[١] ، مبعثه التمسك بحرفية بعض عبارات القديس كيرللس الاسكندري وعدم الانتباه الى ان رسالة المصالحة بينه وبين يوحنا الانطاكي والمجمع الرابع الخلقيدوني قد وفّقا بين العبارات اللاهوتية الاسكندرية والانطاكية ، وحدّدا كلمة physis **بالطبيعة دون الاقنوم**.

فهم ما زالوا يأخذون كلمة «طبيعة physis بمعنى اقنوم[٢] . وتاريخ القرون الرابع والخامس والسادس حافل بالخلافات المرة على اهم الفاظنا اللاهوتية[٣] .

نسطور = طبيعتين + اقنومين
الارثوذكس الخلقيدونيين = طبيعتين + اقنوم واحد
اللاخلقيدونيين = طبيعة واحدة + اقنوم واحد
(من طبيعتين)

---

(١) عن الارشيدياكون وهيب عطا الله جرجس : «تعليم كنيسة الاسكندرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح ص ١٥ — ٢٠ و ٣٦ ، القاهرة عام ١٩٦١ . الا اننا نستغرب قوله : «لا نجرؤ على القول انه اله وانسان معا» (ص ١٥) مع ان رسالة المصالحة واضحة وكذلك آباء مدرسة الاسكندرية ومنهم كيرللس كما سيجيء ويتمسك المؤلف بعد بنسبة عبارة «طبيعة واحدة متجسدة الى إثناسيوس وكيرللس مع ان النقد اثبت انها لابوليناريوس ، فاندست تحت اسم مستعار.

(٢) الامر واضح في الصفحات ١٥ و ١٨ و ٣٦ من المرجع السابق

(٣) مراجعة :
Prestige: God in the Patristie thought
واي تاريخ موسع للعقائد او للكنيسة يوضح الجهود الجبارة المبذولة لتحديد معنى الفاظنا اللاهوتية.

الفصل الثاني

المجامع المسكونيَّة

أ — المجمعان الاول والثاني

المجمع الاول انعقد في نيقية (تركيا) العام ٣٢٥ برئاسة افستاتيوس الانطاكي (على ما يرى محققون معاصرون). وشاهد بطولة الشماس اثناسيوس الاسكندري حامي حمى الارثوذكسية طيلة ٤٨ سنة بعد ذلك. وهو اسقف الاسكندرية بعد المجمع. والمجمع الثاني المسكوني انعقد في مدينة القسطنطينية في العام ٣٨١ برئاسة ملاتيوس الانطاكي. ثم توفي فخلفه غريغوريوس اللاهوتي. وحضره غريغوريوس النيصصي وشهد لهما المجمع بانهما قاعدتا الايمان. وقد خلّفا لنا دستور الايمان.

وان كان معلوماً الا اننا نورده هنا لكي يكون العرض تاماً:

ب — دستور الايمان النيقاوي

سيرد الدستور وتحديدات المجامع موزعين على فقرات عديدة لسهولة الفهم.

«اومن باله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والارض، كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور، نور من نور اله حق من اله حق،

مولود غير مخلوق، مساو للاب في الجوهر،

الذي به كان كل شيء،

الذي من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس،

وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب ،

وصعد الى السماء وجلس عن يمين الاب ،

وايضا يأتي بمجد ليدين الاحياء والاموات ، الذي لا فناء لملكه ،

وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الاب الذي هو مع الاب والابن مسجود له وممجد ،

الناطق بالانبياء ،

وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية ،

واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ،

واترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي ، آمين !

طبعاً هذه الترجمة ليست سليمة ١٠٠٪ لغويا . ولكن المعنى واضح . فعبارة « مساو للاب في الجوهر » لا تردّ لطاقة اللفظة اليونانية . homoousios . هذه تعني انه من ذات جوهر الاب الواحد[1] . واسم والي فلسطين آنذاك هو بونتيوس بيلاتوس لا بيلاطس البنطي . فاسمه الصغير بونتيوس ، بينما لفظة « البنطي » تعني انه من بلاد البنطس على البحر الاسود .

والاصل اليوناني لعبارة انبثاق الروح القدس مأخوذ من انجيل يوحنا (١٥ : ٢٦) . وقد ترجمته الطبعة الكاثوليكية التي نقحها المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي « الذي من الآب ينبثق » . وهذا التركيب في اليونانية والعربية يحصر الانبثاق في الآب . واستبدلت لفظة « العتيد » بلفظة « الآتي » لأن كثيرين صاروا يستعملونها . وهي اصح لغويا . وفي اليوناني جاء : « وبكنيسة واحدة قدوسة جامعة رسولية »

(١) لوسبكي ، على الصورة والمثال ، ص ١٣٢ .

وان يكن هذا النص مقتضبا جدا فهو خلاصة اقرار ايماننا. فهو يعلمنا : ١ــ بان الهنا هو الاب والابن والروح القدس (غريغوريوس اللاهوتي العظة ٤٥ وسواها). ٢ــ بان يسوع اله من ذات جوهر الآب وبأنه تجسد وتأنس وتألم وصلب وقبر وقام وصعد الى السماء لاجلنا ولاجل خلاصنا و... ٣ــ بان الكنيسة تدخل في الدستور كبند ايمان. فالدستور مفتتح بلفظة «اومن ب...» وتتبع واو العطف. فالمعنى هو «اؤمن بالاب... وبرب واحد يسوع... وبالروح القدس... وبكنيسة واحدة...» ونستعمل اللفظة بالمفرد لا بالجمع اي نقول «اومن» لا «نؤمن». فالشخص الذي يتلو دستور ايمان يعلن اقرار ايمانه. هو شهادة شخصية تصدر عن كل مؤمن، على الاشهاد، التزاماً شخصيا منه بالحقيقة التي اعتنقها. ٤ــ باننا نعترف بمعمودية واحدة. ٥ــ باننا نرجو القيامة والحياة الابدية.

ج ــ المجمع المسكوني الثالث

انعقد هذا المجمع برئاسة كيرلس الاسكندري في مدينة افسس الواقعة على مسافة ٤٠ كيلومترا من مدينة ازمير في تركيا. وكانت انذاك قاعدة المنطقة المسماة «آسيا». حرم المجمع نسطوريوس. ونشأ عنه صراع بين الاسكندرية وانطاكية انتهى في النهاية الى مصالحة على نص لاهوتي كتبه الانطاكيون المعتدلون ورضي به كيرلس الاسكندري ووافقت عليه دنيا الارثوذكسية جمعاء شرقا وغربا باستثناء المتطرفين الذين تشنجوا ورفضوا الصلح الواقع وانشقوا عن جسم الكنيسة الجامعة. وهم المعروفون تاريخيا بالنساطرة والمنتشرون اليوم بنسبة محدودة في العراق وسوريا ولبنان وايران والمهاجر. ولكنهم في الماضي السحيق دللوا على حيوية واسعة فوصلوا الى الصين وتوسع نفوذهم كثيراً في دولة الاكاسرة الفرس.

والصلح الواقع وصل الينا في الرسالتين ٣٨ و ٣٩ من رسائل كيرلس الاسكندري. وهذا هو النص الذي كتبه الانطاكيون ووقع عليه كيرلس :

«نعترف اذاً بان ربنا يسوع المسيح بن الله الوحيد هو اله كامل وانسان كامل (يتألف) من نفس عاقلة وجسم،

بأنه مولود من قبل الاب قبل الدهور بحسب الالوهة، وبانه بعينه، في آخر الازمنة – لاجلنا ولاجل خلاصنا – (مولود) بحسب الناسوت من قبل مريم العذراء بحسب الناسوت،

وهو بعينه مساو للاب في الجوهر بحسب الوهته ومساو لنا في الجوهر بحسب ناسوته، لانه من طبيعتين حصل الاتحاد بينهما dyo gar physeon enosis gegone

لهذا نعترف بمسيح واحد وابن واحد ورب واحد.

وبحسب هذه الطريقة لتصور الاتحاد المنزه عن الامتزاج[1]، نعترف بان القديسة العذراء هي ام الله theotokos، لان الاله الكلمة تجسد وتأنس وضمّ الى ذاته منذ الحبل، الهيكل الذي اخذه منها.

وبالنسبة للعبارات الانجيلية والرسولية المتعلقة بالرب، فاننا نعرف ان اللاهوتيين يعتبرون العبارات التي توحِّد تنصرف الى شخص وحيد، والعبارات التي تفرِّق تنصرف الى الطبيعتين: ما يليق منها بالله فللمسيح بحسب الوهته، والاكثر تواضعا فيه بحسب ناسوته». (راجع نص الرسالة بتمامه في مجموعة التشريع كما سيجيء).

وقد راعيت في هذه الترجمة وترجمة نص خلقيدونية القرابة بين النصين فوردت العبارات في الترجمة واحدة كما هي في الاصل اليوناني.

ومقارنة عادية بين النصين تدل على ان نص خلقيدونية ازدرد نص المصالحة وان خلقيدونية تكملة طبيعية للمصالحة ولدستور الايمان، قد راعت التطورات في الفهم اللاهوتي بين المجمعين.

ونبدي هنا الملاحظة السابقة نفسها حول «المساوي للاب في الجوهر...». اما «ام الله» فهي في اللغة اليونانية لفظة واحدة لا لفظتان. وقد ترجمت الفعل اليوناني الذي عني الاتحاد بالفعل «ضم» لفقدان المقابل العربي من فعل اتَّحد. فالمعنى

---

(١) اللفظة نفسها ترد في تحديد خلقيدونية «بدون امتزاج». وانما وردت هنا «المنزه عن الامتزاج» للضرورة اللغوية في العربية.

اليوناني موجود بهذا الفعل لا بباقي مشتقات جذره العربي. وفي النص جاء ذكر الاتحاد والفعل المتعدي منه فاستعملت «ضم».

د ـــ المجمع المسكوني الرابع

انعقد المجمع المسكوني الرابع في خلقيدونية قريبا من القسطنطينية في ٨/ ١/ ٤٥١. وحضره مئات الآباء (٦٣٠ أبا).

لم يكن الوضع فيه بالهين. فالحزازات ضد ديوسقوروس اسقف الاسكندرية قوية جدا وبارزة منذ الجلسة الاولى. فصدر الحكم عليه بالخلع في الجلسة الثالثة في ١٣/ ١٠/ ٤٥١. ولكن نص الحكم لا يتضمن ابدا اي اتهام لاهوتي. فالخلاف شخصي. والتهم تتعلق بمخالفات قانونية[١]. ويؤيد هذا تصريح اناتوليوس اسقف القسطنطينية في جلسة ٢٢/ ١٠/ ٤٥١ من ان الخلاف مع ديوسقوروس ليس خلافا لاهوتيا.

وفي الجلسة الثانية في ٩/ ١٠/ ٤٥١ تليت في المجمع رسالة كيرللس الاسكندري الى نسطوريوس المتلوة في مجمع افسس[٢] ورسالته الى يوحنا اسقف انطاكية التي احتوت نص المصالحة[٣] ورسالة لاون بابا روما الى فلافيانوس اسقف القسطنطينية المعروفة باسم طوموس لاون[٤]، وسط تهليل واسع لكيرللس اولا ثم للاون واناتوليوس[٥]. وفي الجلسة الاولى نوه الحاضرون بكتابات الاباء القديسين **غريغوريوس** وباسيليوس واثناسيوس وايلاريون وامبروسيوس وكيرللس[٦] ثم نوهوا في هذه الجلسة الثانية بالاباء القديسين اثناسيوس وكيرللس وشيلستينوس بابا رومية وايلاريون وباسيليوس وغريغوريوس[٧].

(١) مجموعة التشريع، ص ٣٩٢ ـــ ٣٩٣.
(٢) مجموعة التشريع، ص ٢٩٥ ـــ ٢٩٧.
(٣) مجموعة التشريع، ص ٣٨٠ ـــ ٣٨٣.
(٤) مجموعة التشريع، ص ٣٨٤ ـــ ٣٩٠.
(٥) مجموعة التشريع، ص ٣٨٤.
(٦) مجموعة التشريع، ص ٣٧٧.
(٧) مجموعة التشريع، ص ٣٧٩.

وفي الجلسة الخامسة اصدر المجمع تحديداً للايمان [1]. بدأه بمقدمة طويلة نوه فيها برسالتي كيرللس الى نسطوريوس ويوحنا الانطاكي المعروفة برسالة المصالحة وطوموس لاون وقبوله هذه الوثائق الثلاث [2]. وخلص الى التحديد العقائدي التالي [3] :

المجمع الرابع المسكوني المنعقد في خلقيدونية قرب القسطنطينية في العام ٤٥١ شجب الاوطيخية واصدر التحديد التالي المتعلق بالايمان :

» تبعا للاباء القديسين نعلم جميعا بالاجماع معترفين

بالابن الواحد **بعينه** ربنا يسوع المسيح ، الذي هو **بعينه** تام في الوهته ، **وبعينه** تام في ناسوته ،

الذي **بعينه** (هو) اله حقا وانسان حقاً ، (يتألف) من نفس عاقلة وجسم ،

مساوٍ للاب في الجوهر[4] بحسب الوهته ، وهو **بعينه** مُساوٍ لنا في الجوهر بحسب ناسوته ، مشابه لنا في كل شيء ما عدا الخطيئة ،

مولود من قِبَل الآب قبل الدهور بحسب الالوهة ، وهو **بعينه** في آخر الازمنة — لاجلنا ولأجل خلاصنا — مولود بحسب الناسوت من قبل مريم العذراء ام الله .

مسيح واحد **بعينه** ، ابن ، رب ، ابن وحيد ، معروف في طبيعتين بدون امتزاج ، بدون استحالة ، بدون انقسام ، بدون انفصال ، بدون ان يزول ، باي وجه من الوجوه — بسبب الاتحاد — فرق الطبيعتين ، بل بالاحرى احتفظت كل منهما بكيفية وجودها الخاصة ، والتقت بالاخرى في شخص واحد واقنوم واحد ،

(١) مجموعة التشريع ، ص ٣٩٥ — ٣٩٧ .

(٢) مجموعة التشريع ، ص ٣٩٦ .

(٣) لم اعتمد على ترجمات مجموعة التشريع ففيها هنات . وبعض ارائها قديم قد شاخ .

(٤) العبارة المستعملة عربيا في دستور الايمان «المساوي للاب في الجوهر» لا ترد دقة اللفظة اليونانية homoousios التي تعني ان جوهرهما واحد .

(مسيح) غير منشطر او منقسم الى شخصين، بل هو الرب يسوع الواحد **بعينه**، الابن الوحيد، الاله الكلمة،

كما انبأ عنه الانبياء قديما، وكما علمنا اياه يسوع المسيح نفسه، وكما سلمنا اياه دستور الآباء» (١)

---

(١) ان التعليم بتمام اللاهوت وتمام الناسوت مع تمييز الطبيعتين في وحدة الشخص او الاقنوم قديم قدم الكنيسة. واذا نقص الوضوح احيانا وفقدت الصيغ القاطعة فلأن الكنيسة كانت تفعل ذلك رويداً رويداً، وغالبا لحاجات التبشير والتعليم وصد هجمات الهرطقات.وفي القرن الرابع اضطر ابطال الايمان لمواجهة الاريوسية وسواها فجزموا بمساواة الابن للآب واضطروا الى توضيح عقيدة التجسد. واليكم ما عثرنا عليه من آباء الكنيسة: اغناطيوس الانطاكي المتوفي عام ١٠٧ (الى الافسسيين ٧: ٢ و ٢٠: ٢ والى بوليكاربوس ٣: ٢)،ايريناوس (ضد الهرطقات ٣، ١٨: ٧)،ايبوليتوس (ضد نوتيوس ١٧ ومين ١٠: ٧٨؛) ترتليانوس (ضد براكسياس ٢٧) بطرس بطريرك الاسكندرية (مين ١٨: ٥٠٩ و ٥١٢ و ٥٢١) اثناسيوس الكبير (رسالته الشهيرة الى ابيكتتوس المعتمدة في المجمع الرابع ٥ و ٧ ومين ٢٦: ١٢٥٦ و ١٢٥٧) ايلاريون (في الثالوث ٢: ٢٥ و ٩: ٣ و ١١ و ١٤ و ٣٩) ديديموس المصري الاعمى (في الثالوث ٣: ٢ و ٦ و ١٢ و ١٣ و ٢١ و ٢٧ وفي الروح القدس ٥٢) افرام السرياني (١: ١٧٧ من طبعة السمعاني و ١: ٣٥٣ و ٤٧٥ من طبعة لامي) وباسيليوس الكبير (الرسالة ٢٦١: ٢) وغوريغوريوس اللاهوتي (رسالتاه ١٠١ و ١٠٢ الى كلودونيوس المعتمدتان في المجمعين الثالث والرابع ٣٢ و ٤١) ابيفانيوس (مين ٤٣: ٧٥و ١١٦ — ١١٧) الذهبي الفم (الميمران ١١: ٢ و ٣: ١ و ٢ على انجيل يوحنا) امفيلوشيوس (مين ٣٩: المقطع ٩ وايضا ٢ و ٧ و ١١) امبروسيوس (الايمان المسيحي ٤، ١٢: ١٦٤ — ١٦٥ و ٥، ٨: ١٠٤ — ١٠٨ و ٣، ٨: ٥٤ — ٥٥ و ٢، ٧: ٥٣، سر تجسد الرب ٦٣ — ٧٨ خاصة ٦٨) ايرونيموس على غلاطية ١: ١ ويوحنا ٣: ٦ والدفاع ضد روفينوس ٢: ٤) اوغسطين (الرسالة ١٨٧ والميمران ١٨٦ و ٢٩٣) كيرلس الاسكندري (مين ٧٣: ٢٠٥ و ٧٤: ٨٩ و ٦٢٩ و ٩٣٦ و ٧٥: ٢٧٣و ٤٢٥ و ١٣٢٥ و ٧٦: ١٦٤ و ٦٢٧ و ١٣٦٥ و ٧٧: ٤٥ و ١٠٩ و ١١٢ و ١٢٠ — ١٢١ و ١٧٩ و ٢٣٢). ويرى كواستن ان المجمع الرابع وفق بين التعبير الانطاكي الواضح وبين تفكير القديس كيرلس العميق (٣: ٢٠٦) وقد وردت عبارة الاتحاد «بدون استحالة» لدى ديديموس الاعمى وكيرلس الاسكندري. واوضح الاول ان الطبيعتين لم تمتزجا فتؤلفا طبيعة ثالثة. وسيرد معنا الفرق بين الاقنوم الذي تألف من الاله والانسان وبين امتزاج الطبيعتين، وكيف ان الاقنوم يقبل التأليف بينما تمتزج الطبيعتان.

تحليل هذا النص

في القسم التاريخي اوضحنا ان هذا النص معجزة لاهوتية انقذت العقيدة الارثوذكسية من التمزق بين تيارات لاهوتية متضاربة. فاي مؤمن يتضلع من تاريخ اللاهوت والعقائد بتقوى الله يصاب بالذهول امام هذا النص المعجزة الملهم الهياً. فما هي خطوطه الكبرى؟

١ — في البداية والنهاية حرص النص على القول انه تعليم الانبياء، والرب يسوع نفسه، ودستور الايمان الذي وضعه آباء المجمعين الاول والثاني المسكونيين، والاباء القديسين.

٢ — يعترف آباء المجمع الرابع بهذا التعليم جميعهم بالاجماع.

٣ — وحدة يسوع عنصر بارز جدا جدا في النص:

أ — ترد عبارة «بعينه» ثماني مرات.

ب — تتكرر لفظة الواحد بصور شتى كما يلي بالتتالي: (الابن) الواحد، (مسيح) واحد، ابن وحيد، (شخص) واحد، (اقنوم) واحد، (الرب يسوع) الواحد، الابن الوحيد

ج — نحن امام ثماني مرّات من التكرار للفظة «بعينه» و٧ مرات للفظة «الواحد». هذا «الواحد بعينه» هو مدار النص كله.

د — يعطي النص هذا «الواحد بعينه» الاسماء التالية بتكرار احياناً:

الابن، ربنا يسوع المسيح، مسيح (واحد)، ابن، رب، ابن وحيد، الرب يسوع، الابن الوحيد، الاله الكلمة، يسوع المسيح.

هـ — يركز النص على الوحدة بصورة قاطعة ويستبعد كليا الثنائية في شخص يسوع التي يقول بها النساطرة لجهة الاقنوم والشخص ويعلن الترادف بين هاتين

اللفظتين. جاء فيه : «... في شخص واحد واقنوم واحد ، (مسيح) **غير منشطر او** منقسم الى شخصين، بل... الواحد...».

وهكذا قضى هذا النص على كل انفصام في شخص يسوع الواحد.

٤ــ ومع كونه واحداً لا يقبل الانفصام ولا الانشطار ولا الانقسام ، **فانه اله** وانسان معا.

أ ــ هو اله تام في **الوهته**. هو اله حقاً لا مجازا ولا خيالا.

ب ــ ولده الاب قبل كل الدهور. فليس مولودا في زمان ومكان. **ولادته** سرمدية تجري خارج الزمن لانه ليس في الله ماض وحاضر ومستقبل. هو الحاضر سرمديا اي منذ الازل الى الابد. لا بداية له ولا نهاية. **هو دائما مولود**. بالامس **هو** مولود. واليوم هو مولود. وغدا هو مولود. وهو مولود بدون ان ينفصل من احضان الاب السماوي.

ج ــ وما دام الآب قد ولده فجوهرهما الالهي واحد بعينه. فليس الابن اعلى من الاب ولا الآب اعلى من الابن. وحدة الجوهر بينهما تعني وحدة الالوهة. لدى البشر الابن اصغر عمرا من ابيه. في الثالوث لا يوجد زمان كان فيه الآب بدون الابن والروح القدس.

د ــ هذه الولادة هي ولادته بحسب الالوهة.

هـ ــ ولكن له ولادة ثانية بحسب البشرية (الناسوت).

بشريته

ا ــ هو انسان تام في بشريته (ناسوته). هو انسان حقا لا رمزا ولا خيالا.

ب ــ ولدته العذراء مريم لا ازليا بل لما حان ملء الزمان. **فهذه ولادة في الزمن** منذ كذا سنوات ، في آخر الازمنة كما جاء في النص.

ج ــ وما دامت مريم العذراء قد ولدته فجوهره البشري هو مثل جوهرها. هو مساوٍ لها في الجوهر. ولكن الفرق كبير جدا بين مساواته للاب في الجوهر اللاهوتي ومساواته لنا في الجوهر البشري. جوهره لاهوتيا هو جوهر الآب المشترك بينهما بدون انقسام. اما نحن البشر فاشخاص متعددون منفصلون في الزمان والمكان وطريقة امتلاكنا للطبيعة البشرية. فبولس وبطرس ويوحنا وو... اشخاص. والطبيعة البشرية موجودة في كل منهما على انفراد. كل منهم منفصل عن الآخر. كل منهم يملكها بمعزل عن الآخرين. لا احد منهم يقيم في الآخرين. لذلك لا توجد ملكية مشتركة بينهم للطبيعة. اما في الثالوث فالآب برمته موجود في الابن والروح القدس. وكذلك العكس. وكل منهم يمتلك كل الطبيعة الالهية. هي برمتها لكل واحد منهم.

د ــ مريم هي العذراء الدائمة البتولية.

هـ ــ ولدت ابنا مشابهاً لنا في كل شيء ما عدا الخطيئة. فهو ابن العذراء. اخذ منها طبيعة بشرية تامة كالتي نراها في كل فرد من افراد البشر باستثناء الميل الى الخطيئة. فقد اخذنا بكليتنا ما عدا الميل الى الخطيئة. فهو طاهر وكلي الطهارة. له جسد ونفس عاقلة خلافا لقول ابوليناريوس.

و ــ هذا التنازل الالهي ذو غايات. ما هي؟ انها «لأجلنا ولأجل خلاصنا».

٥ ــ ولكن مع التشديد القاطع على وحدة الشخص والاقنوم والابن والمسيح والرب، يسوع يحوي الاله والانسان معاً. فما هي الوحدة فيه وما هي الثنائية؟

٦ ــ الوحدة هي وحدة الاقنوم اي الشخص.

٧ ــ الثنائية هي ثنائية الطبيعتين.

٨ ــ الاقنوم الواحد هو في الطبيعتين. لفظة «في» هامة جدا. استعملها غريغوريوس اللاهوتي اولا ثم اخذها عنه اللاهوتيون اللاحقون. انها تغلق الباب امام القول بوجود الطبيعتين اولا ثم الاتحاد الاقنومي ثانيا. فالطبيعة البشرية لم تكن

موجودة قبل يوم البشارة. الطبيعة الالهية سرمدية. يوم البشارة اقنوم الابن نحت لنفسه من العذراء مريم طبيعة بشرية. لسنا امام عملية جمع اثنين موجودين قبل جمعهما. نحن امام تنازل الهي. تنازل اقنوم الابن واتخذ من العذراء مريم طبيعة بشرية ضمها ألى اقنومه الالهي.

٩ــ ما لون الاتحاد؟ الله وحده يعلم. استعمل الآباء الملهمون عبارات تنفي عنه وقوع اي اختلاط بين الطبيعتين او استحالة الالوهة الى بشرية او البشرية الى الوهة. وهما غير مقسمتين ولا منفصلتين. كلاهما قائم في اتحاد وثيق عجيب.

١٠ــ كيف يتحد انسان بالله بدون ان يطغي الله على الانسان؟

١١ــ قال الآباء ان الاتحاد لم يزل ولا بوجه من الوجوه فرق الطبيعتين. فبقي الاله الها تاما والانسان انسانا تاما. احتفظت كل من الطبيعتين بكيفية وجودها الخاصة.

١٢ــ اين تم اللقاء بينهما اذاً؟

١٣ــ في شخص يسوع الواحد.

١٤ــ فالطبيعة الالهية ليست بشخص. والطبيعة البشرية ليست بشخص. ولكنهما ليستا بلا شخص.

١٥ــ الشخص الواحد يمتلك كلتا الطبيعتين.

١٦ــ بهذا قضى الآباء على البلبلة الناتجة عن الالفاظ اللاهوتية. لم يعد سائغا ان نقول ان ليسوع اقنومين او شخصين او انه يتألف من اقنومين او شخصين لان ناسوته لم يكن موجوداً قبل الاتحاد ليكون ذا شخص او اقنوم. هو اخذ ناسوته يوم البشارة. اخذه بدون ان يكون له اقنوم. انما ضمه فوراً الى اقنومه الالهي فصار اقنومه الالهي اقنوماً لناسوته منذ قالت مريم للملاك: «فليكن لي بحسب قولك». اقنوم الناسوت الوحيد هو منذ لحظة التجسد هو اقنوم الابن الوحيد يسوع. فلا اقنوم ولا شخص له غير ذلك لا نظريا ولا في الواقع.

١٧ ـــ يركز النص على عدم الانشطار او الانقسام الى شخصين. فالشخص لا ينشطر ولا ينقسم. هو كل لا يتجزأ.

١٨ ـــ الآباء الالهيون فرقوا في المعنى بين لفظتي شخص (او اقنوم) وطبيعة. الشخص او الاقنوم هو المالك الذي يحوي الجوهر. في يسوع اقنوم واحد يمتلك جوهرين : الالوهة والبشرية. الاقنوم موجود في كليهما.

١٩ ـــ مريم العذراء هي ام الله. كيف ما دامت لم تلد الا بشرية يسوع؟

٢٠ ـــ يسوع اخذ منها ناسوتا. لم تحبل اولا ثم بعد حبلها ضم مولودها اليه، فكانت غائبة عن مسرح اتحاد الاله بالانسان. يسوع اخذ منها ناسوتا ضمه فوراً الى اقنومه الالهي. هو الآخذ. هي المأخوذ منها.

٢١ ـــ يسوع اقنوم واحد غير منشطر او منقسم. مريم هي ام هذا الواحد بعينه. بفضل وحدة الاقنوم هي ام ليسوع (الاله ـــ الانسان). جسد يسوع مأخوذ منها. لاهوته صادر عن الآب فقط. ولكنها ام الله يسوع بما ان يسوع واحد لا يتجزَّأ ابدا.

٢٢ ـــ يسوع الواحد مولود سرمديا ومولود زمنيا. والعذراء ام الله التي اخذ منها ناسوته. لذلك نستطيع ان نقول «صلبوا رب المجد»، آلام ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح، دم الله، ام الله. فهل يتألم جوهر الالوهة ويقطر دماً؟ لا. انما بفضل وحدة الاقنوم هذا الكلام صحيح.

ما هي البدع التي قوض هذا النص الملهم اركانها؟

اولاً ـــ الابوليناريه اذ قال بان ليسوع جسدا ونفسا عاقلة.

ثانياً ـــ النسطورية اذ اصر على وحدة اقنوم يسوع وسمى العذراء «اما لله»، ونفى وجود اي انقسام او انفصال او انشطار.

ثالثاً ـــ الاوطيخية اذ انكر اي لون من الوان الامتزاج او الاستحالة

رابعا ـــ الوهة يسوع التامة وبشريته التامة، الوهته حقا وبشريته حقا، هذا



القول يرفض الابولينارية وقبلها البدع التي تنكر اللاهوت كالاريوسية او التي تنكر حقيقة الناسوت كالدوكيتية القائلة بان الناسوت مظهر خيالي فقط. فاريوس رفض لفظة «المساوي في الجوهر».

واذا قارنا النص بدستور الايمان على ضوء تاريخ العقائد وجدنا ان هذا النص الملهم قد اوضح معنى الدستور على ضوء ما جد من بدع اقتضت من الكنيسة ان تتدخل لتقول بالروح القدس كلمتها الفصل.

من المنتصر الاكبر في هذا المجمع؟ غريغوريوس اللاهوتي وكيرللس الاسكندري والمعتدلون الانطاكيون ولاون بابا رومية وكل من قال قولهم قبل العام ٤٥١ من آباء الكنيسة.

وقد لاحظنا في نهاية الكلام عن المجمع الثالث ان رسالة المصالحة دخلت في نص خلقيدونية. فحتى القرابة اللفظية بينهما واسعة. وما نص خلقيدونية الا امتداد وتوضيح لرسالة المصالحة وتكريس للاهوت غريغوريوس اللاهوتي إمام القائلين بتطبيق مبادىء لاهوت الثالوث على لاهوت التجسد. فكما نقول ثالوثيا ان الله واحد في ثلاثة اقانيم، نقول تجسديا يسوع اقنوم واحد في طبيعتين.

وهكذا انقذ الله الكنيسة الجامعة من الغرق في الابولينارية وسقطها اي الاوطيخية، ومن الغرق في النسطورية. فما بين الافراط والتفريط كان طريق الارثوذكسية تمخضا عسيراً جدا في الروح القدس لوضع الامور في نصابها القانوني. اليس تدبيرا الهيا ان تكون انطاكية واسعة التمثيل في هذا المجمع (حوالي ١٠٠ — ١٣٠ مندوبا) وان يصدر عنه هذا التشديد الثماني — السباعي على عبارة «الواحد بعينه»؟ الم يكن هذا التشديد مخلا لاهوتيا طرد كل اشكال النسطورية من الارثوذكسية مهما حاول ان يندس المندسون على ما ذكر المؤرخون عن الاندساس؟

هذا فضلا عن القضاء على بلبلة المصطلحات اللاهوتية.

ومع هذا تعثر طريق هذه المعجزة حتى اواسط القرن التالي. فمن العام ٤٥١ الى العام ٥٣٢ تفشّت البلبلة اللاهوتية والجدل الحامي الوطيس احيانا والفاتر احيانا

اخرى. لكن السنوات ٥٣٢ــ ٥٣٦ شاهدت نشاطا لاهوتيا واسعاً في الصف الارثوذكسي لمع فيه نجم لاونديوس الاورشليمي وافرام الانطاكي وانتهى في المجمع المسكوني الخامس الى نجاح باهر.

هـــ المجمع المسكوني الخامس

كان نسطوريون قد زوروا مستندا واخذوا ينشرونه للدفاع عن ثيودوروس المصيصة ونسطوريوس. وكانوا يستندون الى كتابات ثيوذوريتوس ضد كيرللس والى الرسالة المنسوبة الى هيباس اسقف الرها المعروفة باسم الرسالة الى ماريس الفارسي، فنشوهوا بذلك سمعة خلقيدونية.

كما ان خطر الاوريجنسية كان قد استفحل لدى رهبان فلسطين.

فانعقد المجمع في العام ٥٥٣ في القسطنطينية وضرب ضربة معلم، التشويش النسطوري والاوريجنسي.

افتتح حكمه بمقدمة مطولة طعن فيها باسهاب في ثيودوروس واتهمه بالجحود[١]. وطعن في كتابات معينة من ثيوذوريتوس وهيباس. وحصر الطعن بها فقط دون التعرض لشخصيهما بسوء[٢]. بل بالاحرى دافع عنهما ضد الذين يستندون اليهما للدفاع عن ثيوذوريتوس ونسطوريوس والاساءة الى سمعة مجمع خلقيدونية. فذكر صراحة ان المجمع الرابع المسكوني قد قبلهما بعد ان اعلنا شجبهما للنسطورية وشخص نسطوريوس[٣].

---

(١) مجموعة التشريع، ص ٤٥٨ ــ ٤٦٦ و ٤٧١ــ ٤٧٢.

(٢) مجموعة التشريع، ص ٤٦٣ و ٤٦٤.

(٣) مجموعة التشريع، ص ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٧٢.

البنود المعادية للنسطورية

خص المجمع النسطورية باربعة عشر بنداً[1]. وهي تعرض بايجاز الايمان الارثوذكسي في الثالوث القدوس والتجسد الالهي بحسب آخر التوضيحات الارثوذكسية. وهي تكرس في باب الاتحاد الاقنومي اراء لاونديوس الاورشليمي :

١ – يقتفي اثر خلقيدونية في الالحاح القاطع على وحدة الشخص الواحد في يسوع، وحدة في طبيعتين متحدتين اتحادا اقنوميا وثيقا لا ينفصل. ويبسل كل من يجعل من الطبيعتين شخصين او اقنومين (٣و ٥ و ٧).

٢ – يصر على ما جاء في خلقيدونية لجهة ترادف لفظتي «شخص» و«اقنوم» والتفريق بين معنيي «اقنوم» و «طبيعة» (٥و ٧ و ٣).

٣– يبرز قضية الاتحاد الاقنومي اشد البروز في عدة بنود (٤ و ٥و ٧ و ٨ و ١٣).

٤– في البند ٧ استعمل العبارة التي تدل على ان التفريق بين الطبيعتين مستحيل الا في نظرة عقلية، في مجال الفكر الصرف theoria

٥– ينسب الآلام الطوعية الى شخص ربنا والهنا يسوع ٢)

٦ – يستعمل كلمة «جسد» للدلالة على الطبيعة البشرية (٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧). وسنرى مثل ذلك في المجمع السادس. وهذا يؤيد نقدنا اعلاه لمايندورف وغريلماير.

---

(١) مجموعة التشريع، ص ٤٦٧— ٤٧٢.

(٢) مجموعة التشريع، ص : ٤٦٩ الا ان الترجمة غامضة كليا ولا ترد المعنى ابدا. قال المترجم «... الاختلاف بين طبيعتيه باسلوب مجرد». وقد اتينا على ذكر المسألة تاريخيا من قبل. ووردت العبارة في المجمع السادس كما سيجيء.

البنود المعادية لاوريجنيس

شجب المجمع الاوريجنسية في ١٥ بنداً. وهي تتعلق بامور مستوحاة من الوثنية اليونانية الفلسفية ومدهونة بطلاء مسيحي[١]. وقد طرقنا الموضوع في القسم التاريخي بما يكفي لفهم الموضوع.

و- المجمع المسكوني السادس

انعقد المجمع السادس المسكوني في القسطنطينية في العام ٦٨٠، للنظر في مسألة القائلين بالمشيئة الواحدة والفعل الواحد. كانت المسألة قد نضجت بفضل نضال صفرونيوس الدمشقي اسقف اورشليم ومكسيموس المعترف الراهب القسطنطيني الشهير الذي جال دنيا المتوسط يفحم القائلين بها شفهيا وخطيا. فترك لنا تراثا لاهوتيا ثمينا جدا وان كان عسير الفهم. وسافر الى رومية فترك خير الاثر على البابا الشهيد مرتينوس. فانعقدت في الغرب المجامع الغديدة تدين البدعة. وترأس مرتينوس مجمع لاتران (العام ٦٤٩) الذي شجبها[٢].

يقوم تفكير مكسيموس ووثائق المجمع السادس وتحديده اللاهوتي على موضوع رئيسي ذكرناه في موضع آخر الا وهو ان الاباء القديسين نسبوا الفعل والمشيئة الى الطبيعة لا الى الاقنوم. وما دام يسوع ذا طبيعتين فهو ذو فعلين ومشيئتين وحريتين. وكلها طبيعية. اي انه ذو فعل الهي وفعل بشري ومشيئة الهية ومشيئة بشرية وحريّة الهية وحرية بشرية.

---

(١) مجموعة التشريع، ص ٤٧٥ — ٤٧٧. ان الترجمة غير دقيقة لان الموضوع يتطلب اطلاعاً على المسألة فلسفياً ولاهوتيا وعلى الدراسات المعاصرة. والمترجم يورد نبذة عن اوريجنيس من مكراكيس وبطرس قندلفت (٤٧٩) بينما ظهر بعدهما مكتبة على اويجنيس وتأثيره عبر التاريخ.

(٢) التفاصيل المطولة في فليش وهيفليه — لوكلير.

في المجمع وثيقتان رئيسيتان طلب جاورجيوس اسقف القسطنطينية في الجلسة الرابعة في ١٥ / ١١ / ٦٨٠ تلاوتهما[١] . وهما رسالة البابا اغاثون الى الامبراطور[٢] ورسالة مجمع الاساقفة الغربيين ال ١٢٥ اليه. فوافق عليها جاورجيوس[٣] ومعاونوه من الاساقفة في الجلسة ٨.

وكلاهما على ما يرى في الاصل اليوناني دراسة لاهوتية مستفيضة جدا من الآباء القديسين. ولم يورد المترجم العربي الا نبذا فقط من اقوالهم واهمل الباقي (الاصل في المجلد ١١ من مانسي او ٦ من لابيه).

ويدور الموضوع على العقيدة وما حددته المجامع السابقة. وقبل ايراد التحديد العقائدي الخاص بالمجمع السادس نبدي الملاحظات التالية:

١ - البابا اغاثون يحترم المجمع الخامس كسلفه الشهيد مرتينوس. ذكره مرتين[٤] . واورد نص البند ٧ منه المتعلق بالتفريق الفكري فقط بين الطبيعتين[٥] . واستعمل عبارة «الاتحاد الاقنومي في الشخص الواحد مرتين[٦] . وهي عبارات كرسها المجمع الخامس كما مر.

٢ - في رسالة الاساقفة استعمل الاساقفة اللفظة الخاصة بالتفريق الفكري بين الطبيعتين فقال المترجم: «ولا ندرك الا بالتأمل الفرق بين الطبيعتين...»[٧] .

---

(١) مجموعة التشريع، ص ٤٩٢

(٢) مجموعة التشريع، ص ٤٩٣— ٥٠٧

(٣) مجموعة التشريع، ص ٥٠٩— ٥١٠

(٤) مجموعة التشريع، ص ٤٩٥ و ٥٠١

(٥) مجموعة التشريع، ص ٥٠١ وذكره قبلا (ص ٤٩٥ حيث استعمل المترجم لفظة «فهم» الغامضة)

(٦) مجموعة التشريع، ص ٥٠٣ و ٥٠٥

(٧) مجموعة التشريع، ص ٥٠٨ كل ذلك ادلة تدعم رأي مايندورف (ص ١١٣) ضد بعض العلماء الغربيين المعاصرين الطاعنين في المجمع الخامس.

٣- التحديد المجمعي ذكر المجمع الخامس مرتين.[١]

٤- في رسالة اغاثون جاء تكراراً عن طبيعة يسوع البشرية انها تألهت[٢] والمجمع قال ان جسده تأله ومشيئته تألهت[٣] . فافكار التأله اللاهوتية لم تكن ، اذاً ، غريبة عن روما في ذلك التاريخ . الم يترك فيها مكسيموس المعترف المهندس الاخير والاكبر في القرن السادس لهذا التفكير اللاهوتي بصمات فكره الديناميكي ؟

٥- ترد لفظة «جسد» بمعنى الطبيعة البشرية كلها في رسالة الاساقفة وفي تحديد المجمع[٤] .

وفي الجلسة الثامنة عشرة في ١٦/ ٩/ ٦٨١ اصدر المجمع تحديداً مطولاً[٥] . ذكر فيه الهراطقة وشجبهم . اورد نص دستور الايمان . ذكر رسالتي اغاثون ومجمعه (المؤلف من ١٢٥ اسقفا) الى الامبراطور . اورد نص تحديد خلقيدونية وتممه رأسا بما يلي :

«ونجاهر ، بالمثل ، بحسب رأي الآباء القديسين (بأنه موجود) فيه مشيئتان او ارادتان طبيعيتان وفعلان طبيعيان بدون انقسام ، بدون استحالة ، بدون انفصال ، بدون انشطار (ونجاهر) بارادتين (له) طبيعيتين غير متضادتين— لا كان ذلك— كما قال الهراطقة غير الاتقياء ، ولكن ارادته الانسانية مطيعة وغير مقاومة وغير ثائرة بل بالاحرى خاضعة للمشيئة الالهية والكلية القدرة .

فكان على مشيئة الجسد ان تتحرك ولكن ان تخضع للارادة الالهية على ما قال اثناسيوس الكلي الحكمة» .[٦]

---

(١) مجموعة التشريع ، ص ٥١٢ و ٥١٣ .

(٢) مجموعة التشريع ، ص ٥٠١— ٥٠٢

(٣) مجموعة التشريع ، ص ٥١٤ .

(٤) مجموعة التشريع ، ص ٥٠٨و ٥١٤ .

(٥) مجموعة التشريع ، ص ٥١١— ٥١٥ .

(٦) يردد كيرلس الاسكندري صدى للمقطع الاخير في مين ٧٤ : ٨٩و ٧٥ : ٤٢٥ ، والآباء الذين تحدثوا

ويتابع التحديد على نفس الوتيرة ، زيادة في الايضاح وتبيان تبادل الصفات بين طبيعتي يسوع ونسبة ما هو الهي وما هو جسدي للشخص الواحد[1].

وقد راعينا في الترجمة الدقة والقرابة اللغوية من تحديد المجمع الرابع المسكوني فترجمنا اللفظة اليونانية الواحدة بمقابل عربي واحد.

ونلاحظ على النص ما يلي :

١ – يسند الامر هنا كما في خلقيدونية الى الاباء القديسين ويختص بالذكر منهم اثناسيوس. ثم يعود في تكملة النص الى ذكر غريغوريوس ولاون وكيرللس.

٢ – يركز النص على نسبة المشيئة والفعل الى الطبيعة. فما دام يسوع ذا طبيعتين فهو ذو مشيئتين طبيعيتين وفعلين طبيعيين.

٣ – الفعلان والمشيئتان لا يتعاكسان ، لا يصطدمان. مشيئة الجسد تتحرك ولكن باتفاق تام مع المشيئة الالهية الكليّة القدرة وبخضوع لها.

٤ – يكرر اوصاف الاتحاد الواردة في خلقيدونية وان لم يحافظ على الترتيب نفسه واستبدل لفظة بلفظة اخرى وردت في النص هي لفظة «بدون انشطار» بدلا من «بدون انقسام».

← عن الطبيعتين اعتبروا الفعلين والمشيئتين مظهراً طبيعياً .وايضا ديونيسيوس الاسكندري (مين ١٠ : ١٥٩٧ و ١٥٩٩) اثناسيوس (الرسالة الشهيرة الى ابيكتتوس ، مين ٢٦ : ١٠٦٥ وايضاً مين ٢٥ : ٤٩٢ و ٢٦ : ٨٠٤. ايلاريون بوضوح تام (في الثالوث ٣ : ١٢ و ٩ : ١١ وضد الاريوسية ١٩ ، ٤ ، ١٨ ، ٥ ، ١٨) ديديموس الاعمى (في الثالوث ٣ : ٦) ويعالج غوريغوريوس النيسسي اتحاد الطبيعتين وموضوع طبيعة المسيح البشرية ذات المشيئة الحرة (مين ٤٥ : ١١٣٦) ، امبروسيوس في الايمان المسيحي (٤ ، ٧ : ٥٣ و ٥٨) ، وتوضحت الامور في القرنين السادس والسابع اكثر فاكثر. ولاونديوس البيزنطي (مين ٨٦ ، ١ : ١٣٢٠ و ٢ : ١٩٣٢) ويوحنا سكيتوبولوس (ص ٨٥ وما يليها من طبعة ديكاب) افرام الانطاكي (مين ٨٦ ، ٢ : ٢١٠٥) وافستاثيوس الراهب (مين ٨٦ : ٩٠٩). راجع رسالتي اغاثون ومجمعه في مانسي (١١) او لابه ٦.

(١) مجموعة التشريع ص ٥١٤ – ٥١٥.

الفصل الثالث

تعليم الاباء

هذا هو ايمان الكنيستين الارثوذكسية والكاثوليكية.

وقد جاء تحديد المجمعين الرابع والسادس سلبيا لأن العقل البشري قاصر عن فهم سر اتحاد اللاهوت والناسوت.

استعملا الفاظ نفي لا الفاظ ايجاب. نفيا عن الاتحاد ان يكون اتحاد مزج او انقسام او... اما ماهية هذا الاتحاد فهي سر التقوى. اللاهوت الآبائي والمجمعي يقوم على الايمان لا على العيان البصري او العقلي. لذلك يلعب اللاهوت السلبي الذي ينفي الصفات عن الله دورا رئيسيا لدى الارثوذكس. فكلما دنونا من الله اقتنعنا وازددنا ايمانا بانه غير معلوم، غير مدرك، غير منظور، غير ملموس، غير محدود، غير مقترب اليه، غير قابل للوصف وو...

وهذا الموقف اللاهوتي واضح في تحديدات المجمعين الرابع والسادس. فنفى عن اتحاد اللاهوت والناسوت الاختلاط و و... ولم يقل ما هو نوع هذا الاتحاد العجيب. وهكذا نعلم ان اللاهوت السلبي اصيل لدينا قبل ظهور كتب ديونيسيوس المنحول في مطلع القرن السادس.

ولكن المجمع الرابع كان نقطة انطلاق لمشادات لاهوتية ما زالت قائمة حتى اليوم. وكان الجدل الرائع في الثلث الاول من القرن السادس مجديا وايجابياً فانتهى

الى عرض لاهوتي بارع على يدي لاونديوس الاورشليمي تبناه المجمع الخامس ومكسيموس المعترف واللاهوت الارثوذكسي ــ الكاثوليكي حتى يومنا هذا.

وقبل ان نبدأ التحليل نؤثر ان نستشهد ببعض نصوص آباء الكنيسة القدامى ذات المدلول الكبير.

لدينا من القرن الثاني نصوص باليونانية من ميليتون مدينة سرديس الواقعة الى الشمال الشرقي من افسس وابوليناريوس مدينة ييرابوليس القريبة من كولوسي ولاذقية اسيا الصغرى.

لقد جمعتها وعلقت عليها مطولا في مجلد واحد مجموعة الاباء الفرنسية الحديثة (المجلد ١٢٣). ماذا نقرأ فيها؟

انها شهادة ناطقة بوضوح ما بعده من وضوح بان يسوع المسيح الواحد هو الله والانسان، هو خالق كل شيء الذي صار انسانا وقاسي الآلام والموت وقام من القبر. واي استشهاد لا يغني عن مطالعة كامل النص. علمنا ان نحت المعنى الغني للفظة اقنوم تأخر حتى القرنين الرابع والخامس. لا نعثر هنا على تعريف فني. ولكن النص برمته يدور حول واحد احد هو الله المتأنس المتألم المائت القائم من القبر. وقد أكثر ميليتون من استعمال يوحنا الانجيلي عبارة «والكلمة صار جسدا» (١ : ١٤). وهكذا يستغرب مطالع هذا الكتاب نشوب الصراع النسطوري حول وحدة شخص الرب يسوع، وكذلك تردد ثيوذوريتوس اسقف قورش (ولو فلسفيا بحسب رأي مايندورف) في استعمال عبارات مثل «الله تألم». وعبارات ميليتون تنافي زعم مايندورف ان لفظة «جسد» لم تكن تعني الانسان برمته. وتنافي ايضا نظرية غريلماير القائمة على «الكلمة ــ الجسد». فميليتون افاض في استعمال لفظة التأنس فغلب لديه مفهوم «الكلمة ــ الانسان».

لقد اطلق ميليتون لفظة «طبيعة» على لاهوت المسيح في كلمة له عن الصليب بقي لنا منها الترجمة السريانية المترجمة في الكتاب المذكور الى اللاتينية والفرنسية (الصفحتان ٢٤٠ و ٢٤١).

واطلق لفظة «طبيعة» ايضا على ناسوت المسيح. قال: «... حقيقة نفسه وجسمه وواقعيتهما، وطبيعته الانسانية "physis" المشابهة لطبيعتنا... الوهته المختفية في الجسد... اذ كان الها وانسانا تاما معا هو نفسه الذي عرفنا بجوهريه ousiai : الوهته... انسانيته... الوهته... مع انه الله منذ الازل» (ص: ٢٢٦).

في الصفحتين ٢٤٠ و ٢٢٦ المذكورتين نرى ميليتون يقول:

١– ليسوع طبيعة physis الهية وطبيعة بشرية.

٢– ليسوع جوهران ousias الهي وبشري.

٣– يسوع اله وانسان تام. هو الله منذ الازل (ايضا ص ٦٣ و ٦٥ و ٢٢٨ و ٢٤٥).

٤– ناسوت يسوع ذو نفس وجسم

٥– هو نفسه o autos (باليونانية المستعملة ٨ مرات في تحديد المجمع الرابع) عرفنا بجوهريه ousias

ونضيف نتفا اخرى من اقواله واسعة الدلالة. قال:

«قام من بين الاموات كاله. اذ انه بالطبيعة اله وانسان. الذي هو الكل: الكلمة Logos ... الابن... الخروف، كمتألم، الانسان كمدفون، الله كقائم. هذا هو يسوع، المسيح» (ص: ٦٤) «دم الرب» (ص: ٧٦) «الرب... اذ ارتدى المتألم يرفعه الى اعالي السموات» (٨٤). «اتخذ على ذاته آلام من كان يتألم، بالجسم القابل للتألم اباد آلام الجسد، وقتل بروحه الذي لا يموت الموت القاتل...» (ص: ٩٦ وكل الصفحة ٩٨ ايضا). «لماذا يا اسرائيل القيت بربك في آلام...» (ص: ١٠٦). «الذي علق الارض هو معلق، الذي ثبت

السموات هو مثبت ، الذي وطد الكل هو ممسك على الخشبة ، الذي هو السيد يهان» (ص : ١١٦). «اذ هو الرب ، اذ ارتدى الانسان ، واذ تألم من اجل الذي كان يتألم...» (ص : ١٢١). «هذا هو الذي صنع السماء والارض... الذي تجسد في عذراء ، الذي علّق على خشبة... هو الالف والياء... هو الرب...» (ص ١٢٤).

اما ابوليناريوس ييرابوليس فقال : «الضحية الكبرى هي ابن الله بدلاً من الحمل. الذي تم تقييده هو الذي قيّد القوي ، والذي دين هو ديان الاحياء والاموات» (ص : ٢٤٥).

فالى جانب هذا الوضوح اللاهوتي نرى في النص اساساً متيناً للترانيم الدينية الارثوذكسية. وربما كان ميليتون نفسه واقعاً تحت تأثير الترانيم الدينية. فنفحات عظته نفحات إنشاد وترنيم فصحي.

اما اثناسيوس الكبير فقال :

«مساوٍ في الجوهر للجسد الذي هو من طبيعة ارضية ومساوٍ في الجوهر للآب... فمن الارض طبيعة كل الجسد... المولود من مريم كان بشراً بالطبيعة... وصار انساناً...» [١]

وايضاً «تم الاتحاد بين الطبيعة الحقيقية للاهوت والطبيعة الحقيقية للناسوت بصورة يتأمن معها الخلاص والتأله» [٢].

---

(١) الرسالة الى ايكتتوس : ٤ — ٨.

(٢) مين ٢٦ : ٢٩٣ — ٢٩٦ و ٩٣.

وقال غريغوريوس اللاهوتي : «المسيح انسان تام واله تام ، لأجل الانسان الذي سقط برمته ، لكي يعطيك انت بكليتك الخلاص ... وذلك اذ صار انساناً مثلك بمقدار ما عليك ان تصير الها بواسطته .» (١) «توجد طبيعتان (في المسيح) الله والانسان» (٢). ويستعمل هنا «طبيعة physis للناسوت». وايضاً «شخص واحد في طبيعتين» (٣). وايضاً «لقد تنازل الى ان يكون واحداً مصنوعاً من اثنين. طبيعتان تلتقيان في ابن واحد لا اثنين.» (٤) «اتحاد الطبيعتين» (٥)

وقال امبروسيوس : «الارادة التي سمّاها ارادته هي لي لأنه كانسان حمل كآبتي وقال : ليس كما اشاء انا بل كما تشاء انت ... واذ يملك الطبيعتين الانسانية واللاهوتية فقد تحمل الآلام في ناسوته بصورة انه بدون تمييز يسمى الذي تألم رب المجد وابن الانسان معاً» (٦). وايضاً : «اخذ (يسوع) ارادتي اخذ كآبتي» (٧).

وقال امفيلوشيوس : «ميزوا الي الطبيعتين physis ، طبيعة الله وطبيعة الانسان ! لان يسوع لم يستحل من اله الى انسان بعملية سقوط .» وايضاً : «يسوع المسيح احتفظ (بعد القيامة) بخاصية الطبيعتين المختلفتي الجنس (hétérogènes) وذلك بدون امتزاج» (٨).

وقال كيرللس الاسكندري :

«نرى ان الطبيعتين اتحدتا فيما بينهما باتحاد لا ينفصم بدون امتزاج او استحالة ، لأن الجسد هو جسد وليس الالوهة ، وان كان قد صار جسد الله» (٩)

«في المسيح ، ارتفعت طبيعة المسيح الى جدّة الحياة . ان كلمة الله ضم حقاً اليه تمام طبيعة البشر ، لكي ينقذ الانسان برمته . فما لم **يُؤخذ** لم يخلص ... طبيعة الانسان في المسيح لكي يباركها الله الآب فيه ولكي تعلن به منتصرة على الموت .» (١٠)

(١) ٣٦ : ٤٢٤ .
(٢) الرسالة الى كليدونيوس . وهي اروع ما كتبه في الموضوع .
(٣) الخطبتان ٣٨ : ١٣ و ٤٥ : ٩ .
(٤) الميمر ٣٧ : ٢
(٥) الميمر ٣٠ : ٨
(٦) في الايمان المسيحي ٢ ، ٧ : ٥٣ — ٥٨
(٧) مين اللاتيني ١٦ : ٥٧٠
(٨) المقطعان ١١ و ١٢ في مين ٣٩
(٩) مين ٧٧ : ٢٣٢
(١٠) مين ٧٤ : ٨٩ استعمل عبارة غوريغوريوس

«صار الكلمة انسباناً بصورة لا توصف ولا تدرك واخذ لقب ابن الانسانَ ... وبالرغم من اختلاف الطبيعتين المجتمعتين في وحدة حقيقية فلا يوجد الا مسيح وابن وحيد. فلا تلغي الوحدة فرق الطبيعتين ولكن بالعكس اللاهوت والناسوت يؤلفان الرب يسوع المسيح الوحيد بالتقاء سري لا يوصف»[١].

«المسيح الوحيد الواحد ليس مضاعفاً بالرغم من اننا ندركه مؤلفاً من جوهرين متميزين متحدين بلا افتراق. كما اننا لا نتصور رجلا مؤلفا من جسم ونفس كأنه مضاعف بل وحيد بالرغم من انه مؤلف من هذين العنصرين.»[٢]

«ان الكلمة المتحد على موجب الاتحاد بحسب الطبيعة (الطبيعة هنا بمعنى اقنوم في مفهوم كيرللس) enosis kata physin وغير المتحول الى جسد. قد حقق سكنى مشابهة لسكنى النفس مع الجسد،»[٣]

وقال في ميمره الفصحي: «الطبيعة الالهية المحيية والطبيعة البشرية التي هي ارضية. من الطبيعتين ظهر عمانوئيل واحد». ويتابع شرح عدم استحالة الطبيعتين[٤]. ويستشهد باثناسيوس الكبير: «في كائن واحد ذاته يتم اتحاد عنصرين مختلفين في جوهرهما، اعني الالوهة والانسانية. من هذين العنصرين لا يوجد الا مسيح واحد»[٥]، وبيوليوس اسقف روما: «ان ابن الله لم يأخذ انسانا بصورة انه يوجد آخر الى جانبه؛ ولكن مع كونه الها كاملا صار بالوقت ذاته انساناً كاملاً»[٦]

وقال داماسوس بابا روما (٣٦٦ — ٣٨٤): «اذا كان الله لم يتخذ الا انسانية غير كاملة فتصير عطية الله غير كاملة وكذلك خلاصنا لانه لا يتخلص انذاك الانسان برمته... فكيف يمكن ان نتصور ان لا يكون العقل sensus بحاجة الى الخلاص في ملء الازمنة، هذا الذي خطىء قبل اي شيء آخر؟... الله بتمامه اتخذ الانسان بتمامه»[٧]

(١) مين ٧٧: ٤٥
(٢) مين ٧٧: ١٢١
(٣) مين ٧٧: ١١٢
(٤) مين ٧٧
(٥) مين ٧٦: ٥٤٤.
(٦) مين ٧٧: ٥٧٢.
(٧) مين اللاتيني ١٣: ٣٥٢ — ٣٥٣.

الفصل الرابع

تعليم الكنيسة في الطبيعتين

والآن لندخل الى صلب الموضوع ولنتكلم عن الطبيعتين:

اننا نؤمن بأن الرب يسوع الاقنوم الثاني من الثالوث القدوس قد اتخذ من السيدة والدة الاله طبيعة بشرية كاملة مساوية لطبيعتنا في كل شيء ما عدا الخطيئة.

وهذه الطبيعة مزوّدة بنفس عاقلة ومشيئة حرة وفعل.

وهي في الاصل كان يجب ان تكون غير قابلة للآلام والفناء وسائر الاعراض التي تعتري طبيعتنا بسبب سقوط آدم.

فهي طبيعة عذراء متخذة من امرأة عذراء ومضمومة الى اقنوم ابن الله.

ولكن يسوع بفرط حبه ورحمته لنا تحنن فاختص لنفسه اسقامنا واوجاعنا وحالة الترك «الهي الهي لماذا تركتني» (متى ٢٧ : ٤٦)، وخضع لشروط طبيعتنا الفاسدة لكي يخلص الانسان منها ويهدمها ويحولها الى غلبة ومجد ويؤله طبيعتنا.

فبموته امات الموت، وبآلامه ازال الآلام وباتضاعه محا حقارتنا وبصيرورته لعنة (غلاطية ٣ : ١٣) ابطل اللعنة وجلب لنا البركة[1].

---

(١) ان الآباء تحدثوا عن الموضوع في مواضع عديدة منها: اثناسيوس (مين ٢٦ : ٣٩٣— ٣٩٦ و ٤٤٤). ايلاريون في الثالوث ١٠ : ٤٧. غوريغوريوس اللاهوتي مين ٣٦ : ١٠٩ و ١٢١ والميمر ٣٦. وديديموس الاعمى (في الثالوث ٣ : ٢١ في مين ٣٩ : ٩٠١) باسيليوس (الرسالة ٢٦١ : ٣) ايبفانيوس ←

قال غريغوريوس اللاهوتي :

« انه يحملني بجملتي بكليتي في ذاته مع شبقائي لكي يحرق في ذاته ما هو رديء » (مين ٣٦ : ١٢١) ، اذ « ليس الجسد الذي يخطأ من تلقاء ذاته بل النفس بواسطة الجسد » ، « فالجسد اداة النفس » كما يقول كيرللس الاورشليمي (عظة ٤ : ٢٣ في مين ٣٣ : ٤٨٤).

لها مشيئة بشرية ، وفعل بشري ، وحكمة بشرية ، وعلم بشري وحرية بشرية والا فلا تكون الطبيعة البشرية في المسيح تامة (الدمشقي ٣ : ١٣).

وبالتالي لا يكون الشفاء تاماً : « لقد اخذ ما هو مريض بتمامه ليشفيه بتمامه . وما هو المريض ان لم يكن الروح وشهيته العقلية التي هي الارادة. فالخطيئة هي داء للارادة. فان لم يكن قد اخذ نفسا عاقلة روحية وارادتها لا يكون قد شفى سقم الطبيعة البشرية. لقد اخذ على ذاته العقوبات المستوجبة على الاثم الاول لكي يفي ديننا وينقذنا من الدينونة »[1].

وقد ضم الابن الطبيعة البشرية الى اقنومه الالهي فصار اقنوم الكلمة الاله اقنوماً للطبيعة البشرية.

فلم يتخذ ابن الله اقنوماً بشرياً لان الاتحاد يضحي غير كامل وينحصر الخلاص بهذا الشخص الذي اتخذه.

← (الانكوراتس ٣٣) الذهبي (على يوحنا ١١ : ٢ و ٦٣ : ١ و ٢ و ٦٧ : ١ و ٢) كيرللس الاسكندري في مواضع عديدة (منها مين ٧٥ : ٣٩٧) داماسوس بابا روما (مين اللاتيني ١٣ : ٣٥٢ — ٣٥٣) انسطاسيوس الانطاكي (مين ٨٩ : ١٣٤٠) الدمشقي (٣ : ٢٥ في مين ٩٤ : ١٠٩٣). ونيقولا كابازيلاس (ص ١٥٣ — ١٥٤ من الترجمة الفرنسية للحياة في المسيح). مكسيموس المعترفة قال بتنازل اقنوم الابن وانسحاقه ليجدّد الله ويبتكر صورتنا (راجع ريبو من ٨٤ — ٨٨)

(١) الدمشقي ، مين ٩٥ : ١٨٤ وايضاً ١٦١ — المشيئة البشرية واضحة في العهد الجديد : متى ١١ : ٣٩ و ٢٦ : ٣٩. ومرقس ١٤ : ٣٦ ولوقا ١٠ : ٢١و ٢٢ : ٤٢ ويوحنا ٤ : ٣٠ و ٣٤ و ٦ : ٣٨ و ٨ : ٢٩ وفيلبي ٢ : ٨ وعبرانيين ١٠ : ٥ — ٧.

ولم يأخذ طبيعة مجردة غير كائنة في حقيقة واقعية، والا يبقى التجسد وهماً.

ولم يأخذ طبيعة عامة لان الطبيعة العامة تتمثل في افراد عديدين.

ولكنه اخذ طبيعة بشرية حقيقية كالتي ترى في الفرد والتي تعادل الطبيعة الملحوظة في الاجناس.

ولكن ليس لها وجود مستقل. وليست في الاصل فرداً ضمه الابن اليه بهذه الكيفية. وانما هي طبيعة موجودة في اقنوم الابن. هو انسان كامل واله كامل. ولكنها ليست اقنوما.

وليست بلا اقنوم.

وانما هي موجودة قائمة في اقنوم الابن الذي هو اقنوم للطبيعتين معا. فاقنوم الابن هو الذي تجسد لا الألوهة، والا اضطررنا الى القول بتجسد الآب والروح القدس ايضا. احد الاقانيم فقط تجسد وتألم بمسرة الآب السرمدي وفعل الروح القدس يوم البشارة[1].

(١) لاونديوس البيزنطي ومكسيموس المعترف والدمشقي قدموا توضيحات مفيدة الا انها عسيرة وذات طابع فلسفي عسير. ساجتهد للتبسيط وترك التعقيدات الدقيقة.

هناك طبيعة مفترضة في الخيال. ليس ناسوت يسوع كذلك.

وهناك طبيعة عامة كالتي نراها في افراد الجنس البشري. فالانسان شخص مؤلف. لروحه خواص. ولجسده خواص. هو اقنوم مؤلف منهما. هو مرتبط بالولادة والموت لذا هو نوع. الاوريجنسية تقول بسبق وجود الروح. مكسيموس ينفي ذلك ويقول ان الروح والجسد يلتقيان سوية منذ بدايتهما اذ النفس هي التي تحيي الجسد.

افراد الجنس البشري عديدون. هم نوع،جنس. يتناسلون، يتناقلون بالولادة. يحكمهم الموت. وكل فرد منهم له ميزاته. ارتباط الانسان بالنوع، بطبيعة جامعة لافراد البشر يجعله ذا تكوين معين. هو اقنوم يملك طبيعة بشرية مؤلفة من روح وجسد لا بحرية العنصرين بل بفعل الخلق. الامر مفروض لا لقاء حر، كما في لقاء ابن الله مع ناسوته إذ اخذه بحرية وعفوية.

افراد الجنس يتناقلون. لذا فوحدة الروح والجسد هي وحدة غير اقنومية لان ميزة الاقنوم انه غير قابل للانتقال.

ويسوع انسان كامل عاش كانسان كامل صائراً مثلنا في كل شيء ما عدا الخطيئة (عبرانيين ٤ : ١٥)[١].

آ — مفهوم التقنيم

كيرللس الاسكندري تعرض لموضوع اتحاد الطبيعتين ولكنه لم يتوصل الى مفهوم التقنيم كلفظة فنية. استعمل مفهوم الاختصاص. واقطاب اليعاقبة تيموثاوس الهر وفيلوكسينوس وسويروس نسجوا على منواله بوضوح اوفر. رفضوا ان تكون الطبيعة

← يسوع وحيد فريد. لا شيء في الكون يشبهه. هو اله وانسان. لم يوجد ولا ولن يوجد له شبيه البتة. وحده اقنوم قبل التجسد للاهوت ثم بعد التجسد للاهوت والناسوت.

ليس من اخر سواه الهاً وانساناً معاً. فاذاً: اتحاد الطبيعتين لم يأتنا بطبيعة عامة تستطيع ان تكون موجودة في عدة افراد يكون كل واحد منهم مثل يسوع. كل من افراد البشر يملك الطبيعة البشرية. لا يمكن ان يكون هناك افراد يملكون الالوهة والبشرية كيسوع.

ليس هناك طبيعة مسيحانية Christon eidós Christotis باليونانية و nature Christique بالفرنسية Christlihood, بالانكليزية قابلة للاشتراك او للانتقال بين افراد جنس ما من الاجناس (لاونديوس البيزنطي، مين ٨٦: ١٢٧٧ و١٢٧٧ و١٢٨٠ و١٢٨١ ١٢٨٩ و١٢٩٢ و١٣١٧ و١٣٢٠. وعن مكسيموس ومقارنته مع لاونديوس، راجع الصفحات ١٧٤ — ١٨٨ من الترجمة الفرنسية الاولى لكتاب هانس بلتازرا. الدمشقي، في الايمان الارثوذكسي ٣: ٣ و١٢. انما ترجمته الفرنسية رديئة وان كان المترجم ارثوذكسيا. فلم يفهم الدمشقي في كل المواضع. فقد ترجم عبارة «الطبيعة المسيحانية» خطأ وشرحها في الحاشية خطأ بلفظة «مسحة». وتفلسف فنحت لفظة فرنسية الطابع لفعل synaptô اليوناني eoapter الذي يعطي معنى آخر كليا. وقد اعترف في حاشيته على ختام الفصل ٣: ١١ بأن الفصل المذكور عسير.

(١) بعض النقاد Loofs Ehrhard, Harnack, Krüger, اتهموا الآباء اليونان بانهم تأثروا بالافلاطونية، وبأنهم قالوا ان المسيح اتخذ طبيعة بشرية جامعة لا طبيعة فردية مثل الطبيعة التي نشاهدها في افراد الجنس البشري. المتن اعلاه يدلل على خطل رأيهم. بورودين اجادت من مركز ثقلها اللاهوتي الكبير حين قالت في هرناك انه لم يفهم شيئا منهم.

البشرية اقنوما ولكنهم اعتبروها قائمة في اقنوم ابن الله ، فيه تألفت ودخلت الوجود وحظيت بالوجود والاتحاد [1]

لاونديوس البيزنطي استعمل لفظة «التقنيم». ولكن شرحه لها ملوث بالافلاطونية الاوريجنسية — الايفاغرية. لاونديوس الاورشليمي نقّاها من ذلك. ودخلت في اللاهوت الارثوذكسي على يد المجمع الخامس والآباء اللاحقين.

ما هو التقنيم؟ طبيعة المسيح البشرية ليست اقنوماً. اقنوم ابن الله تجسد. ننسب التجسد الى اقنوم الابن. هذا الاقنوم صار اقنوما للطبيعة البشرية. هو اقنوم للطبيعتين بالتمام الى الابد.

التقنيم هو حالة وسط بين الكينونة بلا اقنوم Anhypostatos ، والكينونة اقنوماً.

فمن هو مقنّم enhypostatos (الاصل اليوناني اقوى تعبيراً) انما هو موجود، لا في ذاته، بل في غيره مشاطراً هذا الغير اقنومه.

هذه الحالة الاخيرة هي حالة تجسد ابن الله. صار اقنوم الابن اقنوماً للناسوت. تلاقت الطبيعتان في اقنوم ابن الله السرمدي. بعد التجسد هو اقنوم مؤلف من الطبيعتين.

لم يحصل اي تغيير في اقنوم الابن. ابن الله هو اقنوم الطبيعتين معا في آن واحد. فالطبيعة البشرية التي هي بلا اقنوم بشري صارت مقنّمة اي ذات اقنوم باتحادها باقنوم ابن الله.

اذاً: يسوع اتخذ طبيعة بشريّة وجعل اقنومه الآلهي اقنومها. لقد صار الاله انساناً والانسان الها. الكلمة صار جسداً والجسد صار كلمة بفضل الاتحاد الاقنومي

---

(١) كيرللس، مين ٧٦ : ٣٧٦، ٣٧٣، ٢٨، ٤٥، ٤٨، ٦٤، ١٨٠، ٢٣٣، ٢٣٦، ١٣٦٤. لوبون، المونوفيزستية السويرية، ص ٤١١ — ٤١٢ و٣٩٥ — ٣٩٦. اما مفهوم الاختصاص idiopoinsis باليونانية و appropriation بالفرنسية والانكليزية) فيعني ان اللاهوت اختص لنفسه بالناسوت.

ولكن لم تصر الالوهة بشرا لان الالوهة لا تتحول ولا تستحيل. هي جوهر ثابت لا يعتريه ظل دوران. الذي جرى هو ان الاقنوم الثاني (لا الطبيعة الالهية المشتركة بين الاقانيم الالهّية الثلاثة) ضم اليها جسدا. الله في اقنوم الابن اتخذ جسدا. وباتحاد الطبيعتين صار اللاهوت مسحة للناسوت فالّهه ساكبا فيه مجده الاسني، ساكنا فيه سكنى تامة.

فالاتحاد الاقنومي يعني ان اقنوم الابن اقتنى الناسوت ملكا خاصاً به يؤلف معه اقنوماً واحداً (٢).

ب — نوعية الاتحاد

لم يعتر الثالوث اي تغير. وبقي الناسوت ناسوتا ولكن مملوءاً بسكنى ملء اللاهوت فيه.

فلا اللاهوت استحال وصار ناسوتا. ولا الناسوت صار الها.

لم يمتزجا وانما اتخذ الابن طبيعة اخرى لم تكن له من قبل هي طبيعتنا البشرية (٢) بدون ان يطرأ عليه اي تغيير او تحوير، فضمها الى اقنومه.

كان قبل التجسد كلمة الهيا بلا جسد. بعد التجسد صار كلمة متجسداً. طبعا، بقي اللاهوت كما هو بدون تغيير.

ولكن مبدأ السيادة هو في الكلمة الذي لم يتغير ولم يستحل ولم يكتسب شيئاً ما في كيانه. فبقي كما كان قبلا.

---

(١) اثناسيوس، مين ٢٦ : ٣٩٣— ٣٩٦ واللاهوتي ٤٥ : ٩ والدمشقي ٣ : ٣ و ١١.

(٢) الدمشقي ٣ : ١١ وغريغوريوس اللاهوتي، كارمينا ٤ وديونيسيوس المنحول، الاسماء الالهية ٢ : ٩ في مين ٣ : ٦٤٨.

«لم ينل منا اي شيء يمكن ان يمنحه كما لا ، لان كلمة الله هو بلا عيب ، هو كامل : ولكنه صيّرنا كاملين» .[1]

وقد حصل بعد التجسد ما يلي : «شخص الابن الذي كان قبلا بسيطا وغير مركب وغير جسدي وغير مخلوق ، صار جسدا ، صار اقنوما للجسد وصار مؤلفاً syntheton من الالوهة (التي هي قنيته من الازل الى الابد اي سرمديا) ومن الجسد الذي اتخذه. وهو يحمل خواص الطبيعتين بما انه معروف في الالوهة ومخلوق في طبيعته الانسانية ، منظور وغير منظور. والا فنحن ملزمون اما بتجزئة المسيح الواحد والتكلم عن اقنومين او ان ننكر التمييز بين الطبيعتين فندخل آنذاك التبديل والاختلاط» [2] .

ج — كيفية الاتحاد

ليست كيفية الاتحاد خلطا للطبيعتين كما نخلط الحبوب ونثرات المعادن.

وليست مزجا كما نمزج الحليب والماء.

وليست تجاوراً كما يتجاور الزيت والماء في اناء واحد ، دون تفاعل بين المادتين.

لقد شبهه اوريجنيس وسواه باتحاد النار بالفحم أو الحديد.

فالنار لا تتحول الى فحم او حديد. ولا هذان يتحولان. ولكن الفحم والحديد يكتسبان من النار حرارتها وتألقها وتغلغل النار الى اجزائهما كافة. وهذا تشبيه ناقص

وشبهه كثيرون (منهم كيرللس الاسكندري) باتحاد النفس والجسد في الانسان. وهذا ايضا تشبيه ناقص لم يرضِ راثناثيوس (في التجسد ١٩).

---

(١) اثناسيوس ، ضد الاريوسيين ١ : ٤٣؛ ايلاريون ، في الثالوث ٢ : ٢٥.

(٢) الدمشقي ٤ : ٥ وايضا ٣ : ٧.

لا شيء في الكون يصلح لاعطاء صورة تامة عن كيفية اتحاد الطبيعتين. نستطيع ان نقول انهما لم تختلطا، لم تتحولان، لم لم لم...

كل هذا تعريف بالسلب لا بالايجاب. يسوع علمنا انه وحده يعرف الاب. لا نعرف عنه الا ما يجود به على عقلنا القاصر. ويبقى ايماننا اقوى من عقلنا على اليقين الراسخ والاعتقاد الثابت بما كشفه لنا يسوع وعلمنا اياه الروح القدس.

للعقل حدود. معرفتنا ناقصة جدا. الثالوث القدوس يلطف بنا فيسدّ بعض عجزنا فقط، اذ نحن عاجزون عن اجتياز الخط المحظور الذي امامه نعترف خاشعين باننا امام المجهول الاكبر اي الله. فكلما غصنا في هذا البحر ازددنا يقينا اننا نغرق في الجهل. ولكنه جهل المع من الشمس.

الدمشقي قال ان الاتحاد هو غير التجسد لأن الاتحاد يرينا الارتباط فقط لا الشيء الذي تم الارتباط معه. اما التجسد او التأنس (وهما واحد) فيدل على الارتباط بالجسد اي الانسان[1]. فان ذكرنا حمي الحديد عنينا اتحاد الحديد بالنار. ان قلنا تجسد ابن الله عنينا دفعة واحدة انه ضم اليه طبيعتنا[2].

د ــ نتائج الاتحاد

١ ــ وبسبب الاتحاد الاقنومي المتين غير القابل للفصل او للتجزئة يكون اقنوم الابن بكليته اقنوماً للاهوت وبكليته اقنوماً للناسوت دون تخلل زمن يكون فيه اقنوماً لهذا تارة ولذاك تارة اخرى[3].

وهذا الاتحاد المتين هو سبب خلاصنا. فيه اتحدت البشرية بالالوهية باكمل صورة ممكنة. وهذا ما اراده الله له المجد.

---

(١) هذا يؤيد نقدنا لمايندورف لجهة معنى لفظة «جسد» لدى الآباء.

(٢) الدمشقي، الايمان الارثوذكسي ٣ : ١١. ويلي ذلك نص من رسالة كيرللس الثانية الى سوسانسوس يشرح فيه كيرللس عبارته الشهيرة شرحا ارثوذكسيا يمر معنا في فصل استعماله للالفاظ اللاهوتية.

(٣) الدمشقي ٣ : ٩

ما اتى الينا لكي يلمسنا بحذر بل لكي يضمنا اليه على احسن ما يليق بمحبته وقدرته التي لا تحد. فكان احسانه الينا بتجسده اعظم بكثير من احسانه الينا حين خلقنا كما يقول غوريغوريوس اللاهوتي (١). من جهة، الله تجسد، من جهة اخرى صيّر الانسان الها (٢)

٢ - **تبادل الصفات** — وبسبب الاتحاد الاقنومي يجري تبادل الصفات بين الطبيعتين، فنضفي على الناسوت اوصافا الهية وعلى اللاهوت اوصافا انسانية بما ان اقنوم الابن يجمعها في اتحاد تخشع له الملائكة وتذهل به الالباب.

فحينما نتكلم عن لاهوته لا ننسب اليه خصائص الناسوت. فلا نقول ان لاهوته قابل للالم ومخلوق، ولا نقول عن ناسوته انه غير مخلوق.

ولكن حينما نتحدث عن الاقنوم فنعطيه اسماً يتضمن الطبيعتين او اسماً يتعلق باحداهما، فاننا ننسب اليه خصائص الطبيعتين.

فكلمة «المسيح» تدل على الاله والانسان، على المخلوق وغير المخلوق.

وحينما نسميه ابن الله أو الله بالرجوع الى احدى طبيعتيه فقط فانه ايضاً يحتفظ بخصائص الطبيعة الاخرى الموجودة معه(Cœxistante) (الدمشقي) لذا نقول: تألم الاله وصلبوا رب المجد.

وكذلك حين نسميه انساناً «وابن البشر» (يوحنا ٣ : ١٣)، «وصبيا قبل الدهور ورجلاً لا يعرف ابتداء، يحتفظ بخصائص وامجاد الطبيعة الالهية» (الدمشقي).

ويلاحظ ان اسمي الله والانسان يطلقان على الجوهر كما لو قلنا «الله جوهر غير مدرك» و«الله واحد». ويطلقان على الاقنوم كما قيل «مسحك الرب الهك» (مزمور ١٤ : ٧)، أو كان «رجل في ارض عوص» (ايوب ١ : ١)، فهذا ينصرف الى ايوب لوحده.

---

(١) العظة ٣٨ : ١٣ والعظة ٤٥ : ٩ (٢) نفسه، الرسالة ١٠١ : ٢١

فتبادل الاوصاف هذا مستطاع بسبب سكنى اللاهوت في الناسوت ، والتصاق الناسوت باللاهوت التصاقاً لا يعرف ذرة من الوهن في الالتحام.

ولهذه الاسباب نستطيع ان نقول في سيدتنا مريم انها ام الله [١] ، وان الله عاش وتحرك وتألم ومات وقبر وقام وصعد وأكل وشرب ، مع ان طبيعته البشرية وحدها قاست ذلك [٢]. ونقول بالمقابل ان ابن البشر هو في السماء [٣].

(١) خصصناها بمبحث قادم منفرد.

(٢) اقليمس الاسكندري (مين ٨ : ٩٧ و ٢٢٤ و٢٨٨) اوريجانوس (في المبدأ ٢ : ٦ - ٣و ٤ : ٣١) اثناسيوس (مين ٢٦ : ١٠٧٣) غوريغوريوس النيسسي (ضد افنوميوس ٥ : ٥) كيرللس الاسكندري (الرسالة ١٧ ومواضع اخرى عديدة بما انه بطل الدفاع عن وحدة الاقنوم) والدمشقي (٣ : ٤) واوغسطين (الموعظة ١٨٦ : ١).

(٣) الدمشقي.

الفصل الخامس

تعليم الكنيسة في المشيئتين

ووجود الطبيعتين الكاملتين في الرب هو اساس وجود مشيئتين وفعلين وعلمين وحكمتين الهية وبشرية.

فالفعل والمشيئة من خصائص الطبيعة العاقلة الرئيسية بل الطبيعة هي مصدر الفعل والمشيئة لا الشخص. هذا هو رأي الاباء كما سيجيء في موضع آخر. وقد أصر بقوة مكسيموس المعترف على ان الآباء قالوا به.

والا لكان للثالوث القدوس ٣ افعال و٣ مشيئات(١).

وبما ان الفاعل المريد في الطبيعتين هو الابن الوحيد فلا يمكن ان تصدر عنه مشيئتان او فعلان متضاربان.

فالطبيعة البشرية (بما فيها الارادة) متألهة فيه. ولذلك توافق المشيئة البشرية الالهية بفعل حر تلقائي.

فلا تناقض ابداً بين الفعلين والمشيئتين. وليس اي زوج منهما منقسماً.

ولا تفعل الطبيعتان مفترقتين، بل تفعل كل منهما فعلها الخاص بالتوافق مع الاخرى في شركة تامة.

فاللاهوت مقيم حالّ بملئه في الناسوت يوعبه من فيض اشعاعه صائراً مسحة له.

---

(١) مكسيموس المعترف، مين ٩٠: ١٥٢ و ٩١: ٢٠٠، ٣٣٣ــ ٣٤١، ٢٨٩، ٢٩٢.

فقدّسه واناره وألّهه ومجّده واحياه، ومنحه القدرة على الاحياء وصنع المعجزات واقامة الاموات بما انه جسد الرب.

وظهر نور اللاهوت مشعاً في الناسوت يوم التجلي على جبل ثابور.

وتألهت الارادة والفعل البشريان فيه فصارت افعاله جميعا ادوات لخلاصنا.

فدفنا معه للموت وقمنا معه للحياة. فاقام لاهوته جسده من القبر ونفذ اللاهوت الى الناسوت ولكن لا عكس في ذلك. فاللاهوت غير قابل للتأثر باي عرض من اعراض الناسوت.

قال غريغوريوس اللاهوتي: «... ان الاخير الّه الآّول» اي الله الّه الجسد... «... مسح بالالوهة ما اخذه واذ صار احدا مع من مسحه...» (الخطبة ٤٥: ٩ و ١٣).

وبسبب الوحدة الاقنومية، المريد والفاعل واحد. لذا نرى الرب يسوع يبكي على لعازر بينما يصنع لاهوته معجزة الاقامة من القبر. فادت كل طبيعة ما خصها. يسوع يفعل بحسب طبيعتيه.

ولم تكن مشيئة الرب مبتلاة بالفساد كمشيئتنا.

لذلك لم يعرف الرب التردد وموازنة الامور وسائر الوان الضعف الطارىء على ارادتنا بسبب ولادتنا من آدم الساقط.

فارادته تتوجه الى الخير بدون عائق وتطيع الارادة الالهية بحرية كما نرى في جهاده وآلامه الطوعية في الجثمانية[1].

وترتبط بهذا مسألة الجهل لدى يسوع.

---

(١) مكسيموس المعترف (مين ٩٠: ١٥٢ و ٩١: ٢١و١٢، ٣٠، ٤٨، ٤٩، ٧٣، ٨٥، ١٠٠— ١٠١، ١٥٣، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٨٩، ٢٩٢، ٣٠١، ٣٠٨، ٣٣٣— ٣٤٥، ١٠٤٥، ١٠٦٠). الدمشقي (٣: ١٤— ١٥، ١٧، ١٩، و٤: ١٨) ولوسكي (١٤٢— ١٤٣).

الفصل السادس

الجهل لدى يسوع

مسألة الجهل لدى يسوع. للقضية تاريخ لاهوتي. بعض الآيات الانجيلية (مرقس ١٣ : ٣٢ ويوحنا ١١ : ٣٤ ولوقا ٢ : ٥٢) قابلة لان تفسر تفسيرا يعني جهل يسوع. غريغوريوس اللاهوتي تعرض لنص مرقس ضد الاريوسية. تساهل وقبل ان نتصور فصلا بين الطبيعتين فننسب معه الجهل الى الطبيعة البشرية (الخطبة ٣٠ : ١٥). الا انه جنح الى تفسير صديقه باسيليوس الكبير (مين ٣٢ : ٨٧٧— ٨٨٠) للآية ١٣ : ٣٢ من مرقس فجعل المعرفة منوطة بالاب كعلة اللاهوت كله. وبهذه الصفة يعود الابن يعرف يوم نهاية العالم وساعتها بالصورة نفسها التي يعرفها الاب. يوحنا فم الذهب في خطبته عن اقامة لعازر لا يخرج عن هذا الاطار في شرح يوحنا ١١ : ٣٤. الموضوع طرح بجدية في النصف الاول من القرن السادس في صفوف السويريين في مصر، فقيل ان يسوع يجهل بعض الامور ما دام قد عرف حاجات البشرية وضعفاتها. فقامت في العام ٥٤٠ بدعتهم فسموا ب agnontai . قاومهم الارثوذكس والسويريين. الاباء القدامى ذوو اراء متضاربة في الموضوع، الا ان اكابرهم الثلاثة على ما ذكرنا. مايندورف لم يطرح الموضوع برمته. وذكر ان مؤلف كتاب «في البدع» يقول بوجود جهل لدى يسوع. ويذهب الى ان المؤلفين البيزنطيين الذين كتبوا في القرنين ٨ و ٩ ضد محاربي الايقونات تبنوا وجهة نظر صاحب «في البدع». ولكنه في فصله عن يوحنا الدمشقي (ابي المعركة) ذكر رأي هذا الذي سنورده فيما يلي[1].

---

(١) انظر لمحة تاريخية في تيكسيرون ٢ : ١٢٧— ١٢٩، مايندورف ١١٦— ١١٩ و ٢٧٦— ٢٧٧.

يقول الدمشقي ان يسوع اتخذ الطبيعة الجاهلة والمستعبدة. طبيعة الانسان عبدة الله خالقها والتي لا تعرف الغيب الاتي. ولكن بفضل الاتحاد ووحدة الاقنوم في يسوع امتلأت نفسه من المعرفة. وبولس قال عنا اننا لم نعد عبيدا بل ابناء (غلاطية ٤ : ٧) فكم بالاحرى ان لا يكون هو عبداً. وذكر عن يسوع ان فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة (كولوسي ٢ : ٣). فهو يعرف كل شيء، هو سيد كل خليقة وربها، الذي هو الله والانسان معا. وفي المطلع استشهد بغريغوريوس (اي ٣٠ : ١٥)[١]،

ونفي الدمشقي ايضا عن يسوع كل تقدم حقيقي في الحكمة والعلم. وربط الامر بالاتحاد الاقنومي القائم منذ لحظة التجسد والذي بموجبه ناسوت يسوع ﷺ يشارك بالنعمة فيما هو لابن الله الكلمة الالهي. فالاتحاد الاقنومي جعل الاشياء الالهية والاشياء البشرية مسيحا واحداً. ويعتبر هنا وفي البند السابق القائلين بخلاف ذلك نساطرة[٢].

وفي فصله الممتاز عن المشيئتين والحريتين في يسوع كرس تعاليم مكسيموس المعترف وذهب الى ان الاتحاد الاقنومي جعل كل فجوة بين ارادة يسوع والتنفيذ مستحيلة. فلا تداول ولا تشاور ولا تردد ولا ولا... فنحن البشر نتردد وو... بسبب الخطيئة التي اندست الينا لدى اول هوى طرأ على آدم. فلا نلد خارج الخطيئة. اما يسوع فلم يأخذ هذا الهوى الاول لدى تجسده[٣].

(١) الدمشقي، الايمان الارثوذكسي ٣ : ٢١
(٢) الدمشقي ٣ : ٢٢.
(٣) الدمشقي ٣ : ١٤.

الفصل السابع

العذراء مريم

وبسبب الاتحاد تصبح العذراء مريم ام الله. ولا يجوز ان نقول فيها انها فقط ام الانسان يسوع لأن التجزئة مستحيلة في اقنوم الابن.

فليس ناسوت المسيح بدون اقنوم اذ قد صار اقنوم الاله الابن اقنوماً له، ولذلك فمريم هي ام الله [1].

ويشدد القديس غوريغوريوس اللاهوتي على هذا البند قائلاً [2]: «اذا كان احد لا يسلم بان مريم الطوباوية هي ام الله فهو مفصول من الالوهية»

---

(١) ان تسمية مريم ام الله قديمة جداً في الكنيسة. فيذكر سوزمينوس (٧ : ٣٢) ان اوريجانس اطلقها على العذراء. واستعملها ديونيسيوس المصري في رسالته الى الهرطوقي بولس السمسياطي، ويذكر المؤرخ فيلبس السيدي ان بيريوس الذي ترأس مدرسة الاسكندرية عام ٢٨٢ الف كتابا بعنوان «ام الله» (عن كواستن ٢ : ١٣٦ من الترجمة الفرنسية). واستعمله إفستاثيوس الانطاكي الذي ترأس المجمع المسكوني الاول عام ٣٢٥ (المقطع ٦٨ في مين ١٨) والكسندروس الاسكندري عدو اريوس (مين ١٨ : ٥٦٠) وخلفه اثناسيوس الكبير (مين ٢٦ : ٣٩٣) وافرام السرياني (٣ : ٤٨١ من السمعاني) وديديموس الاعمى المصري (مين ٣٩ : ٤٢١ و ٤٨١ و٤٨٨) وغوريغوريوس النيسسي (في البتولية ١٩ ورسالته ١٧ الى افستاثيا وفي مين ٤٥ : ١١٣٦). وابيفانيوس (مين ٤٣ : ٧٥) ونيلوس انقرة تلميذ الذهبي (الرسالة ٢ : ١٨٠ في مين ٧٩) هذا فضلا عن ان استعماله كان شائعاً في كل الدنيا لما ظهرت البدعة النسطورية.

(٢) الرسالة الى كليدونيوس

وأوضح الدمشقي : «ان اسم ام الله theotokos يحوي كل سر التدبير (الالهي) لانه ان كانت التي حبلت به هي ام الله فالمولود منها هو بالتأكيد اله وايضاً انسان» [1].

(١) الايمان الارثوذكسي ٣ : ١٢ في مين ٩٤ : ١٠٢٩ و ١٠٣٢).

الفصل الثامن

أ ـــ دوام اتحاد الطبيعتين

هل اعترى وحدة الطبيعتين انفصال في وقت من الاوقات؟

منذ البشارة حتى نهاية الدهور، لا انفصال ابداً بين الطبيعتين. فعلى الصليب فارقت نفس يسوع جسده، ولكن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت لم ينفصم[1].

ب ـــ لماذا تجسد الابن لا الاب او الروح؟

يرى الدمشقي ان البنوة بقيت بعد التجسد، فكان يسوع ابنا لله بلاهوته وصار ابن الانسان بناسوته، فابقى هكذا على البنوة[2].

ج ـــ وهل يجوز لنا ان نسجد لطبيعة المسيح البشرية؟ ان الاتحاد الاقنومي كرّم الناسوت واشراكه في مجد الله لذلك نسجد سجدة واحدة للكلمة المتجسد لان السجود يتوجه الى اقنوم الكلمة بلاهوته وناسوته دون تفريق[3]

د ـــ واخيراً، ما هي واسطة الاتحاد في الطبيعتين؟

---

(١) اثناسيوس الرسالة الشهيرة الى ابيكتتوس والنيصصي، الرسالة ١٦ والدمشقي ٣ : ٢٧. وتعبر بوضوح عن ذلك لحدى قطع احد الفصح : «لقد كنت في القبر بالجسد وفي الجحيم بالروح وفي الفردوس مع اللص وعلى العرش مع الاب والروح...»

(٢) الدمشقي ٤ : ٤.

(٣) اثناسيوس مين ٢٦ : ١٠٧٣. كيرللس الاسكندري (مين ٧٦ : ٩٧ و ١٠٩ و ١١٢ و ١٢١ و ٢٠٤ و ١٣٠٥) الدمشقي (٣ : ٨)

يرى القديسان غوريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الدمشقي من بعد اوريجانس ، ان الروح الانساني هو التخم والرابطة والواسطة بين الله والجسد ، وان الاتحاد بين اللاهوت والجسد تم عبر الروح. فالروح اقرب الى العقل الالهي[1].

هـ— ولا بد بعد هذا العرض لايماننا الارثوذكسي من لفت النظر مجدداً الى تنزه المسيحية عن القول **بامتزاج الاله والجسد المادي**. فنحن ننزه لاهوت المسيح عن الخضوع لاي مؤثر مادي.

ب — خاتمة في الاختلاف الخريستولوجي [2]

ولكن ويا للاسف قام انشقاق مؤلم في الكنيسة فافترقت عن جسم الارثوذكسية كنائس الاقباط والسريان والارمن. ولم يهتد الفرقاء المتنازعون الى وسيلة تطبعها المحبة وروح التفاهم والنقاش الحر المتأني لازالة سوء التفاهم ، فقاست الكنيسة من جراء ذلك عواقب وخيمة جداً مع ان الخلاف لفظي فقط كما يعترف اليوم جميع الفرقاء.

فالاقباط وزملاؤهم يشجبون اوطيخا شجبا عنيفاً كشجبهم نسطوريوس. ولكنهم تمسكوا بكلام القديس كيرللس الاسكندري تمسكا حرفيا فصارت عباراتهم تبدو متناقضة حينا مع الكنائس الخلقيدونية.

وقد تنبه العلماء في القرن السادس الى الالتباس الواقع فاوضحوا ان القديس كيرللس الاسكندري استعمل لفظتي «طبيعية» "physis" و «اقنوم» hypostasis كمترادفين. فالمع الى ذلك الامبراطور يوستنيانوس (مجموعة المجامع لمانسي ٩ : ٥٤٥ ومين ٨٦ : ١٠٠٠) ، والمجمع الخامس المسكوني (مجموعة المجامع لمانسي ٩ : ٣٨١).

---

(١) اوريجانس (في المبدا ٢ : ٦ ، ٣) ، غوريغوريوس . الخطبة ٤٥ : ٩ والرسالة الى كليدونيوس : ١٠) ، اوغسطينوس (الرسالتان ١٨٧ : ٨ و ١٤٠ : ١٢) ، غوريغوريوس النيسسي (ضد ابوليناريوس ٤١) الدمشقي (٣ : ٦ و ١٨). وبالاماس

(٢) كما وردت في المقال الرابع لعام ١٩٦٥ تقريبا.

واكد ذلك من بعد القديس يوحنا الدمشقي[١] ، والامر كذلك الى يومنا.

والحقيقة التي تتضح من مؤلفاته هي ان القديس كيرللس استعمل كلمة طبيعة physis بمعني الجوهر، وكلمة اقنوم hypostasis بمعنى شخص في عقيدته بالثالوث القدوس[٢] ، كما حدد ذلك نهائيا القديسون الكبادوكيون الثلاثة باسيليوس واخوه غوريغوريوس النيسسي وغوريغوريوس اللاهوتي ،

الا ان عقيدته في المسيح اختلفت احيانا من جهة التعبير. فهو يستعمل احيانا «طبيعة» واقنوم hypostatis وشخص prosopon كمترادفات[٣] .

ويستعمل احيانا اخرى كما مر في رسالة المصالحة «طبيعة» physis بالمعنى الذي عناه المجمع الرابع الخلقيدوني وهو المعنى السائد في المدرسة الانطاكية.

والعبارة التي يتمسك بها بشدة : «طبيعة واحدة لكلمة الله» ، نفسها وردت في محل آخر «اقنوم واحد للكلمة»[٤] .

ويسمي الاتحاد تارة «اتحاداً طبيعياً او بحسب الطبيعة» وتارة «اتحاداً اقنومياً» . هذا فضلا عن ان مؤلفا قديماً[٥] قد اثبت ان العبارة مأخوذة من

---

(١) الايمان الارثوذكسي ٣ : ١١ وهو يستند الى كتاب «في البدع» : ٨. ريشار يقول انه مكتوب بين ٥٨٠ و ٦٠٧ ، والتي مع ريس على نسبته الى ثيوذوروس رايثو اي مرفأ الطور على البحر الاحمر (راجع رايندورف ص ١١٦).

(٢) مين ٧٦ : ٣٣٢ و ٣٣٦ و ٤٠١ و ٧٧ : ٢٣٢ و ٢٤١ و ٢٤٥.

(٣) مين ٧٧ : ١١٦.

(٤) مين ٧٧ : ٤٥ و ٤٨ و ١١٧ و ٧٦ : ١٢٠ و ٣٣٢ و ٤٠٠ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٧٥ : ١٢٤٩.

(٥) هو يوحنا بيسان (فلسطين) من رجالات القرن السادس. تعقب اثار الابوليناريين حتي جمع كل كتبهم وتضلع منها.

كتاب منسوب الى القديس اثناسيوس بينما هو في الحقيقة من تأليف ابوليناريوس ، وقد اخفاه تلامذة ابوليناريوس كما اخفوا غيره تحت اسماء منها القديس اثناسيوس.

وقد ايد التحقيق المعاصر هذه القضية ، فسلّم النقاد جميعا بان الكتاب من تأليف ابوليناريوس[1].

(١) ان ليتزمان ناشر مؤلفات ابوليناريوس نشره مع مؤلفات هذا الاخير وما زال العلماء على هذا الرأي حتى يومنا واخذ به كواستن ٣ : ٢٠٦ من الترجمة الفرنسية.

الفصل التاسع

ناسوت آدم وناسوت المسيح

في المقالات ورد ذكر مسألتين هامتين حشراً هنا وهناك بدون معالجة كاملة تستنفد الموضوع. فظروفي اثناء الكتابة كانت قاسية بسبب انهماكي في مشاغلي الخاصة الكنسية منها والحقوقية.

وقد رأيت ان اخصها بهذا الفصل ليتدارك المطالع ما قد يقع عليه من اخطاء لدى بعض المؤلفين.

فلوسكي عرض الموضوع بصورة مشوشة (الصفحة ١٤٤ من اللاهوت الصوفي) وغير سليمة. استند الى مكسيموس المعترف فقط. وهو مولع بنهج ديونيسيوس المنحول اي اللاهوت السلبي فيطبقه باستمرار في كل مكان. اما يوحنا الدمشقي فقد فهم مكسيموس كما هو، مستعملا الاعتدال وموفقا بين اقوال الآباء ليختار افضل الآراء. لوسكي يسير غالبا في خط الآباء الفلاسفة اي النيصصي، ديونيسيوس المنحول، مكسيموس). وبولغاكوف لاهوتي يفلسف الامور فيشتط (الكلمة المتجسد، ص ٢٢٠ و... فرنسي مترجم عن الروسيّة). ولكن من المعلوم ان اكابر آباء الكنيسة كانوا حقوقيين فاستعملوا لغة حقوقية على ما يرى دي رينيون.

١ — المسألة الاولى

تتعلق المسألة الاولى بحالة آدم في الفردوس قبل الخطيئة وبعدها.

ففي الفردوس كان آدم يعيش حالة غبطة بدون ان يعرف الامراض والاسقام او الاهواء والشهوات المرفوضة. وكان معداً للخلود الابدي. خلقه الله حراً صاحب سلطان في اختيار الخير او الجنوح الى الشر. حريته مجال حيوي لاختبار طاقاته في الخير والاستفادة من نعمة الروح القدس ليصير الهاً بالنعمة لا على اسلوب الشيطان الذي تكبر اذ سعى نحو التأله بقدرته الذاتية، بل على اسلوب شفافيته لفعل الروح القدس.

ولكن آدم اختار المعصية. حريته عاكست حرية الله ومشيئته. ارتكب الخطيئة فدخل الفساد ارادته وطبيعته، فوقع فريسة للاهواء المرفوضة، خاضعا للآلام وسائر الاعراض والتقلبات. ومات روحيا، فنتج عن موته الروحي موته الجسدي وانحلال الجسد بعد الموت وصيرورته ترابا. ودخلت الخطيئة الى العالم. وصار جميع الناس يرثون طبيعة آدم الساقطة فخضعوا مثله لشريعة الموت والانحلال[1].

وصرنا بعد ذلك لابسين الجلود فاقدين شفافيتنا الاولى. وفي رأي النيصصي ومكسيموس، بعد ان كان الجنس امكانية اذ ان الله توقع سقوطنا، صار ضرورة. فهو وسيلة للابقاء على البشر بعد السقوط. لم يكن الجنس سبب القابلية للموت ولكن ترياقا نسبيا ضدها.[2]

---

(١) كنت نفحت في العام ١٩٥١ ترجمة ضعيفة لكتاب القديس اينوكنديوس الروسي دون ان استطيع الاستعانة بترجمة جراسيموس يارد العربية والاب لازروس مور الانكليزية اذ اضاع اخوان نسختي منها. وقد طبع في اللاذقية وعمان. يبقى الكتاب جيدا. في الصفحة ١٦ وما يليها طرق المؤلف الموضوع.

وايضا اثناسيوس الكبير في التجسد الالهي ٣ــ ٥ وضد الوثنيين ٢ــ ٤، كيرللس الاسكندري، مين ٦٩: ٧٤٨ و ١١٩٧ و ٧١: ٣٧٧ و ٧٣: ١٢٨ و ٧٥٢ و ٧٦: ٦٣٧ و ٦٤٠؛ ثيوذوريتوس القورشي؛ مين ٨٠: ١٢٥ و ١٣٧ و ١٢٤٤؛ دوريثيوس غزة، ص ١٤٦ــ ١٤٩ من طبعة مكسيموس، مين ٩٠: ٣١٢ والمثويات ٢: ٧٦. اثناسيوس قال إن ادم مخلوق من العدم فكانت طبيعته قابلة بالتالي للانتهاء بالموت. انما كانت النعمة الالهية تحفظه للخلود الابدي. وعليه كثيرون منهم مكسيموس والدمشقي ٢: ٣ وفوتيوس (المكتبة، المجلد ٣: ٧٦ طبعة باريس ١٩٦٢) وايضا نيميسيوس حمص، النفس، الفصل ٣.

(٢) لوسكي، العقائدية الارثوذكسية، العدد ٤٨ ص ٢٣١ــ ٢٣٣.

وفي خدمة الجناز فردّد مع غريغوريوس اللاهوتي ان الله شرع لنا الموت لكيلا يبقى الشر عادم الزوال. فالموت يقضي على الشر[1]. والآباء الشرقيون لم يقولوا مقالة اوغسطين اننا مسؤولون عن خطيئة آدم الشخصية. لقد ضلّلته الترجمة اللاتينية لرومية ٥ : ١٢. فنحن مسؤولون عن خطايانا الشخصية. ولكننا ورثنا عنه طبيعته فقاسينا ما يقاسيه حامل الفساد. فكان الموت لجنس البشر[2]. سقطت الطبيعة البشرية فكان سقوطها غير قابل للجبر. يد القدير وحدها كانت قادرة على ان تقيمها »[3].

٢ — المسألة الثانية

تتعلق بناسوت ربنا يسوع المسيح. الرسالة الى العبرانيين تقول انه صار مثلنا في كل شيء ما عدا الخطيئة[4]. الروح القدس حلّ على مريم العذراء قبل الحبل،

(١) الخطبة ٤٥ : ٩

(٢) ايسيذوروس الفرمي، مين: ١١٠١ و ١٢٩٢ وبروكلوس اسقف القسطنطينية، في مين اللاتيني ٤٨ : ٦٨٥ و ٧٧٩ وثيوذوريتوس القورشي مين ٨٠ : ١٢٤٤، ١٣٦، ١٣٢٦ ومين ٨٣ : ٤٠ و ٤٨٢ و٢٤٥ وو... ثيودوتوس انقيره، الموعظة ٣ : ٦ و ٦ : ٨ — ١٠ (١٣٨٨ و ١٤٢٤ و...)؛ نيلوس، مين ٧٩ : ٨٨٩ و...؛ مكسيموس المعترف، مين ٩٠ : ٦٣٢ و... و٣١٢؛ انسطاسيوس السنائي، على المزمور ٥٠ : ٧ (١٢٤٤). اما كيرللس فقد تعرض له مراراً. مين ٦٩ : ٢١ و ٨٥٦ و ١١٠٠ و ٧٣ : ٦٥٦ و ٧٤ : ٧٨٤ و ٧٨٨ و ٧٨٩ و ٧٥ : ١٢٧٢ و ٧٦ : ١٢٠٥.

(٣) الذهبي في عظته ١١ على يوحنا.

(٤) العبرانيين ٤ : ١٥. مكسيموس المعترف عالج الموضوع باسلوبه اللاهوتي الخاص العسير الذي نقل الدمشقي بنوده الهامة. الا اني تجنبت ذلك هنا اذ انه مرهق للمطالع. عرضه ريو باختصار في كتابه عن مكسيموس (٨٠ — ٨٨). طرقت بورودين هذا الموضوع والموضوع السابق في كتابها (٤٠ — ٥٢ و ١٨٨ — ٢٠٨). وهي ايضا عسيرة الفهم. وطرقه لوسكي في كتابيه «اللاهوت الصوفي» (١٠٩ — ١٣١) و «على الصورة والمثال» (١٢٣ — ١٣٩). اجادت بورودين في تبيان الفوارق بين الغرب والشرق.

فطهّرها ، فحبلت بالابن الحبيب واعطته طبيعة بشرية . ما دامت مريم طاهرة مثل ادم وحواء قبل الخطيئة فمن المفروض **نظرياً** ان تكون طبيعة المسيح البشرية مثل طبيعة ادم وحواء في الفردوس . هذا نظرياً . اما في الواقع فمريم قاست في الجلجلة آلاماً مرة وماتت . ويسوع نفسه عرف الجوع والعطش والنوم والقلق والاضطراب امام الموت ، ونزاع الموت حتى صار عرقه قطرات دم . وذاق كأس الآلام المرة . وثقب جسده بالمسامير والحربة واكليل الشوك . وقاسى كل ما جلبته علينا خطيئة آدم وحواء من شقاء ما عدا الخطيئة . لم يكن فيه ميل الى الخطيئة . لقد حمل وقرنا كله ما عدا الخطيئة . اثناسيوس الكبير وسواه من الآباء وترانيمنا الارثوذكسية في اسبوع الآلام على الخصوص يروون ما قاساه يسوع ويجعلون ذلك ادوات لانقاذنا ، اي ان يسوع قاساها عنا لننجو نحن منها ونتقدس بها .

ما الامر اذا؟ يسوع تحمل عنا كل شيء لننجو من العواقب جميعاً . ولكن ، من المستحيل ان يكون فيه ميل الى الخطيئة والا احتاج هو الى من يفتديه . فهو معدن الطهارة . ولذلك صار قادراً ان يكون فادياً لنا ما زال ناسوته متحدا بلاهوته . فآلامه آلام اله متجسد قادرة على ان تمحو آلامنا واوجاعنا . ولم يساونا فقط في كل ما ذكرت بل تجاوز ذلك فقبل ان يجربه الشيطان . ولكنه لم يسقط كما ان خوفه امام الموت لم يكن خوف جبان بل كردة فعل الانسان التام الانسانية امام الموت .

يسوع من ام بتول كآدم من طينة بتول . الا انه من اجلنا واجل خلاصنا قد ارتضى متنازلاً لان تكون طبيعته قابلة للاعراض التي نتعرض نحن لها ما عدا الميل الى الخطيئة والاهواء الفاسدة . هذا لطف منه فأقبل الى الآلام طوعا وقاسى كل شيء طوعاً **لا عن اضطرار ابداً**(١) . اليس هو — جلَّ جلاله — القائل : «وانما انا ابذلها

(١) اثناسيوس الكبير ، في تجسد الكلمة ٥ — ٨ ؛ ضد ايريوس ٢ : ٦٩ و ٣ : ٣٤ و ٥٦ واثناسيوس المنحول ضد ابوليناريوس ، مين ٢٦ : ١٩٠٣ و... ؛ ديديموس الاعمى ، في الثالوث ٣ : ٢١ ؛ باسيليوس الكبير ، الرسالة ٢٦١ : ٣ ؛ غوريغوريوس اللاهوتي ، الميمر ٣٠ : ٣ و ١٤ و ٢١ والميمر ٣٦ ؛ النيصصي ، الرسالة ١٧ وضد ابوليناريوس ؛ ابيغانيوس ، الانكوراتوس ٣٣ ؛ الذهبي الفم ، الميامر ١١ : ٢٣،٢ : ٢٣ : ١ و ٢ و٦٧ : ١ و ٢ او ٢ و ٦٧ : أو ٢ على يوحنا ، وميمره على المزمور ٦ ، كتاب (في البدع ١٠ ، انسطاسيوس السينائي ، مين ٨٩ : ١٣ و... ، مسليموس المعترف ، الحوار مع بيروس ، الدمشقي ، في الايمان ٣ : ٢٠ — ٢٨ في مين ٦٤ :١٠٨٤ ـ ١١٠٠ والمشيئتان ، مين ٩٥ : ١٧٣-١٧٧ .

باختياري. فلي سلطان ان ابذلها، ولي سلطان ان استرجعها ايضا، تلك هي الوصية التي تلقيتها من ابي»؟[(١)]

ولكن تبقى لدينا مسألتان فرعيتان: ١ً— هل كان جسده في القبر قابلا للانحلال؟ الدمشقي يقول ان الآباء الملهمين ذهبوا الى ان جسد يسوع كان غير قابل للتلاشي في القبر. المزمور ١٦ الذي استشهد به بطرس الرسول (اعمال ٢ : ٣١) يتكلم صراحة عن ان الله لن يترك جسد يسوع يرى فساداً. اثناسيوس الكبير يتكلم عن لاهوته الذي اقام ناسوته. لاجلنا اخذ جسداً قابلا للموت، ولكن اللاهوت قائم لكي يلبس الجسد، بعد الموت، عدم البلى. والدمشقي من بعد انسطاسيوس السينائي وسواه يقيم تفريقاً بين نوعين من الفساد، فيجعل التلاشي في القبر نوعاً منهما، لم يكن جسد يسوع قابلا له[(٢)]. واستبعد الدمشقي الجنس والتناسل من ناسوت يسوع اذ لا جدوى منه[(٣)].

وتبقى قضية اخيرة هي ولادة يسوع بدون آلام المخاض. فترانيم الكنيسة التي تذكر ذلك عديدة. فيقُولُ ثيوطوكيون صلاة الغروب للحن السادس: «... من ذا لا يسبّح ممجدا ولادتك البريئة من الطلق والنفاس...» وهكذا محا الله آلام الولادة التي قضى بها على حواء[(٤)].

---

(١) انسطاسيوس السنائي، مين ٨٩ : ٢٩٥ و ٢٩٣، الدمشقي ٣ : ٢٨، اثناسيوس، في التجسد ٩ و ٢٠

(٢) الدمشقي، مين ٩٥ : ١٧٦ ومايندورف.

(٣) يوحنا ١٠ : ١٨

(٤) تكوين ٣ : ١٦

٣ ـ نبذة تاريخية

ونظراً الى ان الكرسي الانطاكي قاوم البدعة واصدر قراراً مجمعياً بادانتها اضيف هنا نبذة تاريخية. فقد ظهرت بدعة القائلين بعدم الفساد في مصر لدى اقباط فريق يوليانوس وصحبه. قاومها سويروس الانطاكي وفريقه منهم. فانقسم الاقباط الى حزبين. تسللت البدعة الى الامبراطور جستنيانوس عبر اتباع اوريجانس المندسين (اسقف يافا). اصدر امراً امبراطورياً بها[١]. قاومها بطريرك القسطنطينية فخلع. خلفه يوحنا الانطاكي (من قرية سرمين) دون ان يقبلها. لاقت مقاومة في فلسطين ومصر وفرنسا. ولكن انظار الدنيا اتجهت نحو بطريرك انطاكية انسطاسيوس الاول. دعا اساقفته الى مجمع ضم ١٥٣ اسقفا[٢]. ادانوها واعلنوا استعدادهم للتخلي عن كراسيهم ووجهوا رسالة الى الامبراطور برفضها مع مبرراتهم لذلك. وهيّأ انسطاسيوس خطاب الوداع. ولكن وفاة الامبراطور في العام نفسه ٥٦٥ طوت الامور. فجاء خليفته جوستينوس الثاني يلغي الامر[٣]. وهكذا فشل الامبراطور الكبير في فرض عقيدة منحرفة على الكنيسة. لقد قاسينا جدا من امزجة الاباطرة وتقلباتها منذ اولهم قسطنطين حتى النهاية. وبقيت الارثوذكسية صامدة. والفضل كل الفضل هنا لانسطاسيوس بطل الايمان حتاً.

(١) فليش ومارتن يرى امر فقط.

(٢) بحسب تقدير شتاين و ١٥٠ بحسب تقدير ديشين و ١٩٥ بحسب تقدير فليش ومارتن نقلا عن يوحنا الافسسي (في مخائيل السرياني). وايا كان الرقم فانه يوضح قوة الكرسي الانطاكي في العام ٥٦٥. ولم يكن جميع الاساقفة حاضرين. ومع هذا فعدد الاساقفة كبير.

(٣) Ernest Stein, Histoire du Bas-Empire, t. ii, p. 233-235, 681,n.1 et 687-689, Paris, 1949; Fliche et Martin, Hist. de l'Eglise, t. IV, p 480-1, Paris, 1948; Louis Duchesne, l'Eglise au VI siècle, p 270-3, Paris, 1925

وفي كل من هذه المراجع الثلاث سيل من المراجع.

الفصل العاشر

في اسبوع الجلجلة[1]

قال غريغوريوس اللاهوتي :

«كنا محتاجين الى اله متجسد ممات لكي نعود الى الحياة» (العظة ٤٥ : ٢٨ في مين ٣٦ : ٦٦١)

في هذه الايام الكلية الجلال والوقار، شهوة اشتهيت ان اقضي معك، يا

(١) الفداء على الصليب وفي القبر والقيامة سيكون يوما موضوع كتاب على حدة. فاللاهوتيون المعاصرون لم يشبعوه درسا. ترامبيلس اليوناني نقل عن مارتنسن البروتستانتي نظريات انسلموس الغربي. ميرالوت بورودين لفتت الانتباه الى العظة ٤٥ من غريغوريوس اللاهوتي دون اهمال سواه وبخاصة الدمشقي (التأله، ص ٥٥ — ٦٦ و ٢١١ — ٢١٦). فلاديمير لوسكي طرق الموضوع في «اللاهوت الصوفي (١٩٤٤) وفي مقال ظهر في مجلة سوبورنوست الانكليزية (١٩٤٩) وظهر فرنسيا في «على الصورة والمثال» (٩٥ — ١٠٩) يرد فيه ضمنا على تحليلات ريفيير الكاثوليكي وينحاز بقوة الى عظة غريغوريوس اللاهوتي رقم ٤٥ دون تبيان السبب. ولكنه احسّ مثل بورودين ان غريغوريوس هو استاذنا ايضا في عقيدة الفداء : «... لزمنا ان يتجسد الله ويموت لكي نستطيع ان نحيا... لا شيء منها يستطيع ان يعادل معجزة خلاصي : بضعة قطرات من الدم تعيد تأليف الكون برمته (٤٥ : ٢٨ و ٢٩). انه سر المحبة المغموسة في الدم.

←

يسوع ، الاسبوع الاخير بل الاسابيع الاخيرة. رافقتك والجموع محيطة بك الى قبر لعازر صديقك فاقمته في اليوم الرابع ، فهلل لك الشعب ونقم المجمع اليهودي الاكبر (السنهدريم) حسدا وخوفا على سلطته الواهية من زحفك المظفر. وهللت لك مع الجموع الخارجة لاستقبالك في احد الشعانين وان كان تذمر تلاميذك وعلى الاخص يهوذا الخائن من دفق مريم اخت لعازر الطيب عليك عشية السبت قد آلمني. هؤلاء الشهود العيان لشخصك الاعظم وآياتك الباهرة استكثروا عليك قارورة طيب. لقد تعلموا منك اهمية الاحسان فاذا بهم يبخلون عليك باسم الاحسان ، فاذا بهم يقترون عليك باسم الخير يا ينبوع كل احسان وخير وصلاح.

وكان دخولك اورشليم سببا لزلزلة نفسية اصابت السكان. وهاج الصدوقيون والفريسيون والسنهدريم اليهودي يطلبون القضاء عليك ، فوجدوا في يهوذا خازن جماعتك الضالة المنشودة لبيعك بثلاثين من الفضة يا خالق الذهب والفضة وكل الكون. وشئت ، طاعة للآب السماوي ، ان تساق كمجرم ، فخرجت الى بستان الزيتون في الجسماني تدخل في مرحلة توجع مفجع حتى تصبب العرق منك قطرات دم. والقى الشرط والخدم الايادي عليك كمجرم خطير ، ففر تلاميذك الذين كانوا يتبارون قبل سويعات قليلة في الاعلان عن وفائهم حتى الموت. وساقك المهاجمون بدلالة قبلة يهوذا الخائن الى سيد المكر والنفاق في اورشليم حنان رئيس الكهنة السابق ، فسخر منك واحالك الى صهره رئيس الكهنة الحالي قيافا تلميذه البار في النفاق. وخالف القوانين ودعا ليلا الى مجمع يحاكمك محاكمة مختزلة ومزورة للقضاء عليك باسرع وقت ممكن كما يفعل اي رجل دولة معدوم الضمير والاخلاق للخلاص من اي خصم ولو كان خلاصة الشرف. وتعرضت للاحتقار والصفع. وفشل في استحضار شهود يشهدون عليك بمنكر ما. فاحتال عليك لانتزاع اقرار منك يحكم عليك بموجبه. فسألك عما اذا كنت المسيح ابن الله. لم تخف بل علمتنا

← الا ان لوسكي عاد في دروسه «العقائدية الارثوذكسية الى نظرة شاملة تضم جميع عناصر الموضوع دون ان يدخل في التفاصيل (العدد ٥٠. ص ٩٤ — ٩٩). لوسكي لاهوتي محترف مشغوف بالله.

ان تعترف بالحقيقة ببطولة نادرة. وبدلا من ان تخامره الوساوس امام هذا الاقرار كما خامرت للحظات بيلاطس، انتزع من المجمع قراراً بالقضاء عليك بتهمة التجديف التي تستوجب الموت. وغطى محاكماته الليلية الباطلة بمحاكمة نهارية صوريّة في الصباح الباكر. وساقك محفوفاً بجماعته الى الوالي بيلاطس البنطي[1] صاحب الحق الوحيد في تسليمك الى الصلب. واندس رؤساء الكهنة والكهنة والفريسيون في صفوف الشعب يوغرون عليك الصدور لارغام بيلاطس على اصدار الحكم عليك بالصلب. ونسي الشعب قيامة لعازر وما لا يحصى من عجائبك. واعترف بيلاطس بانه لا يجد فيك سببا ليقضي عليك. واحالك الى هيرودوس رئيس ربع الجليل لانك جليلي فسخر منك. وتصالح مع بيلاطس على حسابك واعادك اليه لتخضع لمحاكمة اعتباطية تجري فصولها بين ترددات بيلاطس ووساوسه التي املتها براءتك وصورتك الطاهرة وكلماتك المدهشة وانذار زوجته من جهة، وبين ضغط الجمهور الهائج الصاخب بدسائس رؤساء الكهنة وحلفائهم الاشرار. كان بيلاطس يعلم انهم اسلموك حسدا. غسل يديه المملوءتين من الرشى والظلم امام الشعب تبرؤا من دمك ليعود بعد هنيهات الى اصدار الحكم عليك بالصلب تجنبا للنقمة الشعبية القابلة للانقلاب الى بلبلة واسعة. وخضعت في اثناء ذلك الى الوان من اللطم واللكم والجلد والهزء والبصاق واكليل الشوك وكل ما هو معروف من ضراوات كان يرتكبها العسكر الروماني ضد الثائرين على السلطة الرومانية. وساقوك الى الصلب مدمى قد خارت قواك من شدة ما قاسيت من آلام. فسخروا سمعان القيرواني ليحمل صليبك. آه! تعبت، اصابك الارهاق تحت وقر الصليب الذي حملك اياه بنو آدم. واتيت الجلجلة فبسطوك على الصليب يا باسط الكون. وثقبوا يديك ورجليك بالمسامير لتثبيتك على الصليب يا من اقمت الكون ثابتا بلا عمد ولا مسامير على قواعد فيزيائية هي معجزة من معجزاتك في كل الحقول. وابيت ان تناول اي شراب يخفف من وطأة آلامك وذلك لكي تشرب الكأس التي سقاك اياها بنو آدم مترعة. وتعرضت مجددا للهزء وجدف عليك اللصان المصلوبان الا ان احدهما تأثر بك فعاد

---

[1] في العربية اسمه غلط. في اليونانية اسمه يونتيوس بيلاتوس.

عن ضلاله ليدخل الفردوس في اليوم نفسه. وكنت منهوكا مع انك تقبلت كل شيء طوعا وببطولة. فلم يطل بك الامر فاسلمت روحك بين يدي ابيك السماوي. ومع هذا لم تنس والدتك الناظرة اليك فالقيت اليها بنظرة واودعتها لدى التلميذ الحبيب الوفي يوحنا الذي انفرد ونساء تبعنك من الجليل — من دون تلاميذك جميعا — بالجرأة على مشاهدة آلامك ودفنك. وغالى الجند فما رضي احدهم بموتك فاقدم على التمثيل بك. والتمثيل امر مستفظع. فتناول حربة ونحر بها جنبك الطاهر فجرى منه مسيل دم وماء، لتكون ذبيحة عهد جديد بالدم الطاهر دم ابن الله الذي نسخ الى الابد دماء ثيران وكباش العهد القديم. هذه الحربة هي السكين التي تم بها نحرك يا ابن الله وحمله الرافع خطايا العالم، لا كما ينحر اليهود الخراف بقطع الرأس بل بفتح الجنب اشعارا لنا بان ذبيحتنا الفصحية هي ميلاد جديد لنا. الم تخلق حواء من جنب آدم في يوم الجمعة؟ الم تخلق الانسان من ماء وتراب جبلتهما ومن نفخة من روحك في انفه؟ واليوم تخلقنا بصورة ارفع جدا في فردوس جديد المع من الفردوس الارضي السابق. خلقتنا بدءاً بامر منك ونفخة. اليوم تخلقنا وانت شهيد مدمى بالجراح حبا بنا. تجبلنا بدمك يا ازكى الشهداء وامامهم! تجبلنا بماء جسمك. حواء الجديدة اي الكنيسة خرجت اليوم من جنبك قائمة على المعمودية والقربان المقدس والروح القدس. الروح القدس اتى الينا اقنوميا لنكون اقانيم كنيستك الواحدة في فردوس جديد اعظم من الفردوس القديم. شجرة الحياة في هذا رمز لصليبك شجرة الحياة الحقة التي نأكل منها فلا نموت مثل آدم.

الكنيسة عروسك ولحم من لحمك وعظم من عظامك. هل تذكرت امك العذراء ما قلته لها في عرس قانا الجليل: «ساعتي لم تأت بعد»؟ هل ادركت ان هذه هي ساعتك المرسومة في مقاصد الله الازلية لخلاص البشر؟ هل ادركت ان عرس قانا الجليل رمز ورسم لهذا العرس الالهي الذي يجري على خشبة الصليب بينك وبين الكنيسة حواء الجديدة ممهوراً بالخمر الجديدة (اي دمك الطاهر) مهراقة مدرارة للسرور والغبطة الابديين؟

فطوبى ليوحنا حبيبك، طوبى للنساء حاملات الطيب، شهود هذا العرس

الالهي ! طوبى ليوسف ونيقوديموس حاملي جسدك الالهي الى وليمة الخلاص في القبر من حيث اشرق شمس البر بهيا زاهيا وعاقدا معنا فصحا ابديا وعرساً خالدا في الاغتباط والتحلي بالتأله الكثير الانوار السماوية.

انت قلت ان موتك معمودية (لوقا ١٢ : ٥٠). لقد شهدت شهادة حسنة واعترفت الاعتراف الحسن امام مجمع اليهود وبيلاطس وقضيت نحبك شهيداً مؤسسا معمودية الشهادة ليكون كل المعتمدين باسمك معترفين وشهداء يسخرون من الموت والصعوبات ليرضوك وحدك.

نحن اليوم فيك اقانيم مخلوقون، آلهة مخلوقون، قد خلقنا الروح القدس. لم نعد بعد نفخة منك. نحن مجبولون بروحك القدوس لنكون «لحما من لحمك وعظماً من عظامك». واذ نحن موجودون فيك، قائمون فيك، نغتذي بجسدك ودمك ونترعرع في روحك القدوس بنمو في رضوانك والنسك والاعمال الصالحة حتى نبلغ ملء قامتك حيث تكون انت الكل في الكل. فاي نعيم في الدنيا او اي فردوس مفقود يعادل قطرة واحدة من هذا الفردوس الجديد؟ فيا له من سر محبة لا يوصف: الله مذبوح على الصليب، المدفون في قبر في بستان هو مائدة فصحنا الابدي اللذيذة وفردوسنا المشتهى وقيامتنا من موت الخطيئة والفساد.

ولم تردع الظلمة المنتشرة على الارض ولا الزلزلة ولا تمزق حجاب الهيكل اصحاب الرقاب الصلبة والقلوب الحجرية. يوسف ونيقوديموس — كممثلين للبقية التي تنبأ عنها اشعياء النبي، البقية التي ستخلص من آل اسرائيل بعد هلاك الباقين الى يوم القيامة — من اعضاء المجمع تلميذاك السريان خرجا من السر الى العلن وقدما يشتركان في مراسم دفنك. ودفنوك سريعا لاقتراب يوم السبت الذي كان الفصح في تلك السنة واقعا فيه. وتواقح رؤساء اليهود فطلبوا الى بيلاطس حماية القبر ففوض الامر اليهم مقدما بعض الجند. فاقاموا حراسا على القبر وختموه. وتوهمت النساء انك بحاجة الى طيوب تقي جسدك الطاهر من سرعة البلى، وهن لا يدرين انك لن تبقى في القبر. وقمت ساحقا الموت والجحيم وكل قوات العدو، فسعى الحراس الى الرؤساء يخبرونهم بالحدث الجلل، فامعن هؤلاء في الضلال ورشوا الحراس ليقولوا

ان التلاميذ اتوا ليلا وسرقوك بينما كانوا نياما. ووعدوهم بتغطية هذه الكذبة لدى الوالي بيلاطس المعروف تاريخيا بالتلوث بالرشى ولكن كيف علموا بالسرقة وهم نيام؟ لقد اتفق الفرقاء الثلاثة على الباطل ومقاومة الحق حتى النهاية فكانوا مجدفين كبارا على الروح القدس الذي هو روح الحق.

ولكن في هذه السياحة الطويلة معك كنت اتجول في ثنايا نفسي لاجد فيها يهوذا وحنان وقيافا والكهنة والفريسيين ووجهاء الشعب وبيلاطس والعسكر والشعب المتقلب وبطرس وباقي التلاميذ وكل الجبناء والضعفاء والمتقلبين والحساد والسفاحين والخونة وسائر الوان المجرمين مع فارق كبير. الفارق الكبير هو ان هؤلاء جميعا كانوا يجهلون هويتك الحقيقية، فصليت انت من اجلهم لكي يغفر لهم الاب السماوي، لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون. الم يقل بولس رسولك العظيم انهم لو علموا لما صلبوا رب المجد؟ اما انا فاعلم انك رب المجد الاله من الاله. ومع هذا خطئت دوما وأخطأ اليك عن علم بكل ما خطئوا به اليك عن جهل مرة واحدة وتذكرت ما جاء في الرسالة الى العبرانيين عن الوجود في صلب ابراهيم، فقلت اني موجود في صلب آدم فلا غرابة ان تختفي في طيات نفسي كل امكانات الاجرام التي ارتكبها نسل آدم منذ عدوانه على وصية الله حتى يوم القيامة، وان الشيء من معدنه لا يستكثر. فانا سليل آدم، اذا: مجرم خطير.

وقلت لنفسي، هذا الذي ذاقه يسوع البار من عذاب اليم هو ما تستحقينه انت ايتها النفس المحشوة بالآثام حشوا منقطع النظير. وتضايقت في داخلي. كيف اقدم بنو آدم على ايذاء يسوع ابن الله ايذاء تستحقه اعمالهم الرديئة لا براءته وطهره. كيف عاملته انا تكراراً بمثل هذه المعاملة التي انا وحدي استحقها؟ وهبطت بي نفسي الى قعر جحيم الغمّ لأرى يد خفية تنتشلني من وهدة اليأس. فاذا بها يد يسوع، ليسمعني من فمه العذب: هكذا شاء الآب السماوي ان يسحقني بالآلام لأكون مسحوقا طيبا يشفي آلامك. هكذا شاء ان اقرب نفسي بروح الهي محرقة، لم تشوَ بالنار بل بالعذاب والروح، لاكون بالروح القدس محرقة حية قائمة من بين الاموات لا محرقة تفنى بالنار او في الجوف، لاكون طعاما حيا لا ميتا، تتناوله في القربان

لتحيا الى الابد ، لتتحول جذريا من ذاتك الملوثة اليَّ اردت بمحرقتي تحويلك. ونظرت انا الى اثار المسامير والحربة في جسدك الناهض من القبر مستفسرا عن سبب وجودها بعد قيامتك في جسدك السماوي النوراني لاسمع من عذوبتك ان حبك للبشر قوي الى حد احتفظت معه بها في جسدك النوراني ، لان هذه هي مرضاة الاب السماوي ان تكون سمات المحبة المتألمة اقوى من الموت.

ايها الاب السماوي ، لديك ابواب لا تعد ولا تحصى لاعادتنا الى الفردوس. ابنك يسوع اقام الموتى وصنع العجائب التي لا تحصى حتى ان هدب ثوبه صنع معجزة. لماذا لم ينقذنا بغير هذه الطريقة؟ ولماذا لم تختر له طريقا آخر؟ ودوى في اذني قول يسوع: «ليس لاحد حب اعظم من هذا ان يبذل نفسه عن احبائه» (يو ١٥ : ١٣) ، «هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية» (يو ٣ : ١٦) ،

فادركت للحال ان هذا هو سر محبة الله الاب لنا وان الحب بدون استشهاد هو كلام فارغ وادّعاء كاذب. فلا حبَّ الا في الدم المهراق.

الله الاب بذل ابنه. الابن الوحيد بذل ذاته محرقة على الصليب في الروح القدس. اله تألم من اجلي ، كأنه اخطر المجرمين. الصليب هو عنوان محبة الثالوث القدوس لنا. فيا ذهني كن مصلوبا مع المسيح ، يا عقلي كن مدفونا مع المسيح ، يا لساني اخرس ، يا قلبي مت ، يا نبضي قف ، بما انكم لا تطيقون احتمال هذا السر الرهيب. انتم مهددون بالفناء عند ملامسته ان لم تدرككم رحمة ذبيحة الصليب. آه! لقد اصبت من القلوب مقتلا ايها الثالوث القدوس. ان سهام حبك الغت كل السهام الاخرى يا يسوع. فاجرحنا بها اجرحنا ما شئت ، حتى تظهر فينا سماتك ، حتى يتم التصاقنا الكامل بتجسدك وآلامك ودفنك وقيامتك وصعودك الى السماء ، لنجلس عن يمين الآب حاملين في ذواتنا مجدك الموعود. اعتبرت الصليب مجدك. والقيامة هي مجدك ايضاً. فمجدك معك بهما غالبين فيك الخطيئة والموت والجحيم وكل قوات العدو[1]

الجمعة — فجر السبت العظيم ١٩٧٩

---

(١) هذا الفصل يذكر على نطاق واسع بالكتاب المقدس وآباء الكنيسة وآباء البرية . وعلى الاخص غريغوريوس ←

ولا شيء يعادل في الروعة اناشيد الارثوذكس في ايام الخميس والجمعة والسبت العظيمة والفصح المجيد. وقد انشأتها اقلام لاهوتيين مذهولين.

وفي السنكسارات وعبارات ختام الصلوات تعابير لاهوتية حية :

١ — سنكسار صلاة سحر الجمعة التي نقيمها عادة مساء الخميس :

«في يوم الجمعة العظيم المقدس نقيم تذكار آلام ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح المقدسة الخلاصية الرهيبة ، اعني : البصاق واللطمات والضربات والشتائم والضحك ولباس البرفير والقصبة والاسفنجة والخل والمسامير والحربة وعلى الاخص الصليب والموت والآلام التي احتملها **طوعا** لاجلنا. ونقيم ايضا تذكار الاعتراف الالهي الخلاصي الذي ابداه اللص الشكور على الصليب.

ايها الميت العريان ، كلمة الله الحي الذي من الآب قد ولد

انت هو اله حي ولئن كنت رفعت على عود وامِتَّ».

عبارة الختام : «يا من احتمل البصاق والسياط والتقريعات والموت لاجل خلاص العالم ايها المسيح الهنا ...»

٢ — البيت والسنكسار المقولان في الجناز :

«ان الضابط الكل قد رُفع على الصليب ، والخليقة باسرها انتحبت لما رأته معلقا على الخشبة عاريا ، والشمس اخفت اشعتها ، والكواكب لم تعط ضوءها والارض مادت مضطربة ، والبحر توارى ، والصخور تفطرت ، والقبور تفتحت ، واجساد رجال قديسين نهضت ، والجحيم تنهدت اسفل ، واليهود تفكروا في اختراع اكاذيب لاخفاء قيامة المسيح ، والنسوة صرخن هاتفات : هذا هو السبت المبارك الذي فيه رقد المسيح وسيقوم في اليوم الثالث».

← اللاهوتي وكيرللس واندراوس الدمشقي اسقف كريت ومكسيموس المعترف والدمشقي وكتبة الترانيم الارثوذكسية وسمعان اللاهوتي الحديث. وفي الاسلوب كنت قلبيا مع الاول والثالث والاخير.

السنكسار : «في يوم السبت العظيم المقدس نعيد لدفن الجسم الالهي وانحدار ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الى الجحيم ، الذي به اعاد جنسنا من الفساد ونقله الى حياة ابديّة. فبتنازلك الذي لا يوصف ايها المسيح الهنا ارحمنا امين !.»

وحدث عن روعة قصائد الجناز ولا حرج. فليراجعها القارىء الكريم. عبارة الختام : «يا من لاجلنا نحن البشر ولاجل خلاصنا اقتبلت بالجسد الآلام الرهيبة والصليب المحيي والدفن الاختياري ايها المسيح الهنا ...».

٣ــ ما ترانيم الفصح المعروفة باسم قانون الفصح الذي نظمه اللاهوتي الملهم يوحنا الدمشقي فهي اعجوبة الترنيم. تتكرر فيه كثيراً ترنيمة :

«المسيح قام من بين الاموات ووطىء الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور».

ومن اجملها هذه الترنيمة المستوحاة من خطبة غريغوريوس اللاهوتي (٤٥ : نهاية ٢٨) : «ايها المسيح المخلص ، اننا امس قد دفنا معك ، فنقوم اليوم معك بقيامتك ، امس قد صلبنا معك ، فانت مجدنا معك في ملكوتك». ففيها عمق لاهوتي كبير طرقه بولس الرسول وجعل منه غريغوريوس مادة دسمة جدا في خطبه للتعبير الرائع عن اشتراكنا في كل احداث حياة يسوع. فيجعلها احداث حياتنا الخاصة : ولدنا معه ، .. دخلنا اورشليم معه يوم الشعانين ، تألمنا معه ، صلبنا معه ، دفنا معه ، صعدنا معه الى السماء ، جلسنا معه عن يمين الاب.

وايضا : «ان المسيح الذي هو اكليل السنة المبارك «منّا ، قد ذبح عن الكل باختياره كحمل حولي ، فصحاً مطهرا ، ثم اشرق لنا شمس البر ، من القبر بهيا زاهيا».

وايضا : «يا مخلصي ، يا من هو القربان الحي غير الذبيح ، بما انك اله ، لقد قربت ذاتك للآب باختيارك ، ولما قمت من القبر اقمت معك آدم بذريته كلها».

البيت : «... جسما حاملاً الحياة ودفيناً ، جسدا مقيما لآدم الساقط الطريح في الضريح ...» وفيه مقارنة طيوب النساء بهدايا المجوس.

السنكسار : «في احد الفصح العظيم المقدس نعيد لقيامة ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح المحيية. ان المسيح وحده انحدر لمحاربة الجحيم متنازلا ، فصعد اذ اخذ غنائم الظفر الجزيلة سالبا ، فله المجد والعزة الى ابد الدهور آمين!»

وهذه القطعة الرائعة : «اذ قد رأينا قيامة المسيح فلنسجد للرب القدوس يسوع... لصليبك ايها المسيح الهنا نسجد ولقيامتك المقدسة نسبح ونمجد ، لانه هو ذا بالصليب قد اتى الفرح لكل العالم... لانه اذ احتمل الصلب من اجلنا حطم الموت بالموت».

وايضا : «ان الذي انقذ الفتية من الاتون لما صار انسانا ، تألم بما انه مائت ، وبآلامه سربل المائت جمال عدم الفساد ، اعني به اله آبائنا تبارك وتمجد وحده».

وايضا : «المسيح فصح جديد وذبيحة حية ، حمل الله الرافع خطايا العالم».

وايضا : «لما رقدت اقمت المائتين منذ الدهر ، وايقظتهم زائرا ملوكيا مثل اسد من يهوذا».

وايضا : «يا من اشرف ، يا ما احب ، يا ما الذ نغمتك ايها المسيح...»

وايضا : «ايها المسيح الفصح الاجل الامثل ،... انعم علينا بان نساهم فيك باوفر حقيقية ، في نهار ملكك الذي لا يغرب ابداً».[1]

ويزيد في روعة هذه الترانيم مبنى ومعنى ، توقيعها الموسيقى البيزنطي المدهش. فالموسيقى البيزنطية قمة الموسيقى الشرقية وامها. وقد قارن الموسيقار الكبير زكريا احمد بها الموسيقى الغربية ، فقال ان هذه تشبه السمن الصناعي بالنسبة للشرقية التي تشبه السمن البلدي.

وفي ختام هذا الاستعراض يحلو لي ان ابدي الملاحظات التالية :

---

(١) في انشيد عيد الصعود دفعة اخرى رائعة عن جبوبن طبيعتنا عن يمين الآب وتألهها.

١ ـــ ان المؤلفين المعاصرين يهملون الاستشهاد باناشيد الكنيسة مع انها مرجع لاهوتي كبير. وهي تسد الثغرات حين فقدان النص في كتابات الآباء الاخرى. اشار لوسكي اليها عرضا مع انها تحوي خلاصة فكر الآباء في سر الفداء.

٢ـــ اناشيد الكنيسة الارثوذكسية تكريس رسمي يومي في الصلوات لتحديدات المجامع المسكونية حول شخص يسوع الواحد الذي ننسب اليه صفات اللاهوت والناسوت. واذا علمنا ان اناشيد الدمشقي مستوحاة الى حد بعيد من غريغوريوس اللاهوتي ادركنا رسوخ كنيستنا في التمسك بنسبة الآلام والصلب الى اقنوم يسوع. وهذا ليس نجاحا منفردا للاهوت كيرللس في المجمع الخامس المسكوني بل نجاحاً للاهوت الكنيسة المستمر منذ الرسل حتى اليوم.

٣ـــ تعارض لاهوتنا بقوة مع النسطوريه.

الفصل الحادي عشر

القيامة (١)

١ — الرسالة الفصحية

غب المصافحة الاخوية بالفادي يسوع والتحيات الزكية وافتقاد الخاطر الكريم نبدي :

نشكر الله تعالى على نعمه الغزيرة التي يغدقها علينا ومحبته المتجلية بافتقادنا.

فبقلب مفعم بالسرور نبادلكم القبلة الفصحية عربون امتزاجنا بدم المسيح وقيامته ، وتحولنا في نشوة الارتياح امام الجلجلة والقبر الى محفل روحي تجمعه المحبة مرنماً بخشوع لمن لطف بنا فصار لنا فصحاً أبدياً نتناوله بالشكر ساجدين. جعله الله لكم عيد سرور ابدي.

ان هذه الايام الخلاصية التي نتذكر فيها آلام الرب ودفنه وقيامته ما كانت الا لتدمجنا فى حياة المسيح الرب فنعيش معه لحظة بعد لحظة الصليب المجيد الذي تنكبه منذ تنازل لخلاصنا ، فهو خروفنا المذبوح قبل الدهور. اخلى نفسه ووضعها محتملاً

---

(١) راجع اناشيد القيامة في الصفحات السابقة حيث اوردناها بعد اناشيد الآلام لتكون جميعا الى جانب بعضها بعضاً.

كل شيء لاجل خلاصنا حتى الموت على الصليب وقد دعانا الى حمل صليبنا كل يوم واقتفاء آثاره.

فلتكن ذكرى الصلب لنا ارساخاً لاقدامنا في حمل الصليب على مناكبنا والوقوف معه على الجلجلة مصلوبين للعالم مصلوباً لنا حتى نبلغ به انتفاضة قيامة مجد ابدي، ماحقين قوى الشر والجحيم جميعاً.

يا لهَا من حقائق تنقل الانسان من عالم المادة والفساد، الى عالم الفضيلة في رفعة الروح وبهاء التحلي بالنعمة الالهية المخلصة. فالقلم، كل قلم، عاجز عن وصف امجاد العيد، واللسان، كل لسان، عاجز عن منحه حقه من الثناء والمديح.

والآن ليس لنا سوى ان نسجد خاشعين مهللين مذهولين لمن فتح لنا ابواب الفردوس ونقلنا من ارض عبودية الخطيئة الى حرية ابناء النور والحق. فلنبارك ولنمجد من هو علة هذه الخيرات أي اله آبائنا تبارك وتمجد وحده.

لقد اشترانا بدمه المسفوك عنا فتحولنا بدمه من مائتين فاسدين الى خالدين في نور الروح القدس. فهل تكون لنا كأس الخلاص غرقاً في لجة دم المحبة المضحاة لنبذل نحن ايضاً انفسنا عن الرعية كما بذل هو نفسه عن الجميع.

ان البشرية تنسى دوماً ان يسوع ذاته هو هو الطريق، فيه نحيا ونتحرك ونوجد هو مركز ثقلنا الاوحد المتحكم في حركاتنا وسكناتنا. يقوم في وسط كل منا حياة جديدة مندفعة الى العلاء، متشوقة الى الاصل، الآب السماوي.

نسأل يسوع الناهض من القبر في اليوم الثالث ان تتحقق قيامته المجيدة فينا وان يديم نعمته الالهية معنا وفيما بيننا، آمين.

٢ — المسيح قام... حقاً قام

في صبيحة يوم الفصح، يتبارى المسيحيون في الهتاف بعضهم لبعض: «المسيح قام» ليسمعوا رداً اقوى «حقاً قام».

الهاتف الاول مبشر مؤمن بالقيامة، مغتبط بالغلبة فرح بالنصر، ممتلىء بالرجاء، مذهول بملاشاة الموت وبزوغ الحياة الجديدة. وهتاف الثاني الجوابي تعبير اقوى عن ايمان حي اوعب النفس بشعور واقعية القيامة. القيامة بالنسبة اليه حقيقة راهنة لا تقبل الجدل ولا يقف في وجهها اعتراض: «حقاً قام». ليس بعد هذا التأكيد مجال للشك ولا باب لجعل القضية من باب الامل او الرجاء. «حقاً قام» اي ان القيامة وقعت فعلاً، وفيها نعيش مذهولين من شدة فرح غمر القلوب، ونقل النفوس من حال اليأس والبؤس الى حال التلألؤ بغبطة ليست من هذا العالم.

فلا غرابة ان يكون عيد القيامة عيد الاعياد وموسم المواسم وان تكون قيامة المسيح الموضوع الاول في بشارة الرسل: «ان كان المسيح لم يقم فكرازتنا اذاً باطلة وايمانكم ايضاً باطل» (كو اولى١٥ : ١٤). فلو لم يقم المسيح لما كانت الديانة المسيحية. ولكنه قام وهو باكورة الراقدين.

في آدم مات الجميع، بآدم انتقل الموت الى الجميع، اما في المسيح فقد قام الجميع، بالمسيح انتقل الجميع من الموت الى الحياة (١ كو ١٥ : ٢٠ — ٢١ ورومية ٥ : ١٠ — ٢١). فالمسيح فصحنا الابدي اجازنا من ارض عبودية الخطيئة والشيطان والموت الى حياة الطهارة والمجد والنصر والخلود. ولم نجُزْ بواسطتة كأنه شيءٌ خارج عنا انما جزنا فيه لانه هو حيِّزنا الطبيعي. فيسوع الأله المتجسد اتى الى الارض ليتخذنا مسكناً له «فيه نحيا ونتحرك ونوجد» (اعمال ١٧ : ٢٨).

واذا ما سمعنا يوم الفصح تلاوة من الفصل الاول من انجيل يوحنا فلنفهم ان عمق اسرار الله تجلى لنا في يوم القيامة، يوم ملكوت الله على الارض في مجد عظيم. «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس... والكلمة صار جسداً وسكن فينا وقد ابصرنا مجده... ومن امتلائه نحن كلنا اخذنا نعمة فوق نعمة». وفي هذا الفصل نفسه يبشرنا يوحنا الانجيلي بان يسوع أوْلى المؤمنين ان يكونوا ابناء الله. نعم، ان الله صار انساناً لكي يصير الانسان الها. في التجسد الالهي ارتدى يسوع جسد تواضعنا فعاش الفقر الروحي ووضع نفسه واطاع الآب حتى الموت على الصليب. فحمل هكذا الصليب منذ تجسده حتى دفنه. اما في القيامة فقد بزغ من القبر قيامة وحياة

جديدة لتابعيه. على الصليب وفي القبر بادت شوكة الخطيئة وسلطة الموت وجبروت الشيطان وقوة الجحيم. وتلاشى الفساد والبلى، وانبعثنا لحياة جديدة خالدة في مجد الهي بهي. وما لي اقول انبعثنا؟ انما انبعث المسيح فينا. فما جرى للمسيح منذ تنازله العظيم للتوشح بجسدنا، حتى صعوده المجيد الى السماء، يجري لكل واحد منا في المسيح وبالمسيح ومع المسيح. ولنسمع بامعان وروية ما صدح به غريغوريوس اللاهوتي من بعد الرسول بولس: «بالامس كنت مصلوبا مع المسيح، واليوم انا ممجد معه. بالامس كنت اموت مع المسيح، واليوم احيا معه من جديد. بالامس كنت مدفوناً مع المسيح، واليوم اخرج معه من القبر. فلنحمل اذاً بواكيرنا الى من تألم وقام من اجلنا... لنقرب اذاً اشخاصنا بالذات: هذه هي الهدية الأنفس في عيني الله والاقرب اليه. لنجعل بحسب صورته ما يشبهه بالاكثر... لنكن كالمسيح بما ان المسيح صار مثلنا، لنصر آلهة من اجله بما انه صار انساناً من اجلنا» (مين ٣٦: ٣٩٧).

وكان الثاولوغس مغرماً بتعمق سر اتحادنا بجميع دقائق حياة المسيح، فتحدث عن الموضوع بشغف واختطاف مراراً: «كن مصلوباً مع المسيح، كن مماتاً معه، كن مدفوناً معه، لكي تقوم معه، وتمجّد معه، وتملك معه» (مين ٣٦: ٣٣٢—٣٣٣).

اما الرسول فسبق وقال: «دفنا معه في الموت حتى اننا كما اقيم المسيح من بين الاموات بمجد الآب كذلك نسلك نحن ايضاً في جدة الحياة. لانا اذا كنا قد غرسنا معه على شبه موته، فنكون على شبه قيامته ايضاً... فان كنا قد متنا مع المسيح، نؤمن انا سنحيا ايضاً معه» (رومية ٦: ٤ و ٥ و ٦)، «حين كنا امواتاً بالزلات احيانا (الله) مع المسيح. فانكم بالنعمة مخلّصون. واقامنا معه واجلسنا معه في السماوات في المسيح يسوع» (افسس ٢: ٥— ٦). «اذاً ان كنتم مع المسيح فابتغوا ما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله» (كولوسي ٣: ١).

فهذا الارتباط الكياني بين مصيرنا ومصير المسيح يجعل قيامته منطلقاً لنا نحو حياة جديدة على رجاء القيامة العامة. ونحن الذين رسخنا معه في تجسده وصلبه ودفنه

وقيامته وصعوده وجلوسه عن يمين الاب ، سنكون راسخين فيه يوم مجيئه الثاني المجيد. فلا نتمتع بوجود خاص منفصل عن المسيح ، انما نملك تمام كياننا في المسيح حيث نحن خليقة جديدة مجبولة بدم المسيح المسفوك على الصليب هذا الدم عقد الله به مع كل منا عهداً جديداً ابدياً وفصحاً خلاصياً. فجميعنا نشترك في خروف الفصح الجديد ، فنأكل منه نائلين الصفح عن خطايانا وممتلكين في ذواتنا يسوع المصلوب الناهض من القبر وقوة للخلاص والفوز بالنعيم الابدي. جميعنا نشترك ، جميعنا نقتحم قدس اقداس الله ، بلا تفريق ولا تمييز لان المسيح جاء ليخلص الانسان ، كل انسان ، وكل الانسان. فالعيد للجميع والفرح للجميع والظفر للجميع . وفرحنا روحيٌّ في المسيح الواحد الذي جمعنا في ذاته لرجاء واحد. فلا صغير ولا كبير ، لا غني ولا فقير ، لا ملك ولا عبد ، لا سيد ولا مسود. الجميع اخوة متساوون امام يسوع واقربهم اليه هو اكثرهم تواضعاً وانسحاقاً امامه ، هو اعمقهم محبة للاخوة واسخاهم بذلاً للذات في خدمة الآخرين. واقدر الناس على التمتع بالمواهب الروحية انما هم الذين ينهمكون اقل من غيرهم في مشاغل الحياة ، هم الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة ، لان المواهب الروحية توزع بحسب عواطف القلب ، كما قال الذهبي الفم ، لا بحسب مناصب الناس . وقد طرق موضوع المساواة بين الناس ببراعة ووضوح رائع . قال : «النعمة السماوية لا تعرف التمييز بين الاشخاص»[1] . فاذ نجتمع في يوم الفصح — والزمان كله بعد قيامة المسيح قيامة وفصح[2] — امام مائدة خلاصية واحدة ، لنتناول المسيح الواحد الذي يضمنا اليه صانعاً منا نحن الكثيرين واحداً في جسده الواحد ، فلنرفع الايادي شاكرين ومسبحين للذي نصرنا في ذاته على اعداء الجنس البشري جميعاً ، ولنتذكر على الدوام ان من بذل ذاته من اجلنا انما بذلها لكي يقدسنا لذاته شعباً جديداً يعبد الله بخلوص النية وصفاء القلب. فلنطهر ذواتنا اذن من الخطايا جميعاً ولنكرس نفوسنا لله الذي صرع الموت من اجلنا لكي لا نبقى تحت عبودية الخوف من الموت. واذ

(١) من عظة رائعة له في مجموعة مين ٥٠ : ٤١٧ — ٤٣٢.

(٢) الذهبي يقول مثل هذا ايضا في العنصرة فالسنة كلها عيد متواصل للمسيحيين... لان الروح القدس ينزل كل يوم على الذين يحبون الله ويحفظون وصاياه.

نتبادل الهتاف والتحيات «المسيح قام... حقاً قام»، **فلنجعل قيامة المسيح صبغتنا** وعلامتنا الفارقة، والا فلا عيد لنا. العيد روحي فلنبتهج به في الروح لا في مسرات الجسد وموائد الطعام والشراب. بهذه المشاعر الفصحية، وبهذا الفرح الروحي المتفجر عن هذا العيد المبارك نبارككم جميعاً ونعايدكم بهذه الذكرى المجيدة سائلين الله الناهض من القبر في اليوم الثالث ان يرمقكم بعين عنايته ويرافقكم في جميع مراحل حياتكم فيجعل ذكرى قيامته حية في قلوبكم ويشملكم دائماً بنعمته الالهية. آمين.

٣ــ المنشور الفصحي

«**المسيح قام**». بكل ما تحمله هذه العبارة من معنىً لصميم الوجود، نتوجه بها اليوم مبشرين ومؤمنين بقيامة المسيح. فافرحوا اذاً ثم نقول ايضاً افرحوا. فقيامة المسيح بسلطانه الذاتي معجزة المعجزات لجميع الذين استولى عليهم الخوف من الموت. وكلنا مائتون نعيش منتظرين ساعة الموت الرهيبة. ولكن قيامة المسيح قد برهنت مرة واحدة ولمدى الدهور أن هناك من جعل القبر مصدر قيامة وحياة جديدة. لقد داس الموت واعطانا أن ندوسه، فهل من نصر اعظم من ذلك؟ كل انتصار من أي لون كان يذوي أمام هذا الانتصار العظيم. لم يعد الموت غولاً، لم يعد الموت انحلالاً تنتهي معه الحياة في لحد واتنان، لم يعد الموت دورا نهائياً من أدوار وجودنا نختفي معه الى الابد بدون أثر. قام المسيح، فالخلود اذاً حقيقة. قام المسيح، فالروح اذاً خالدة لا تموت. قام المسيح، وسنقوم نحن معه. كان الموت يتحدى كل الناس فيصرعهم. أما الآن فاننا نتحدى الموت غير عابئين بشيء لاننا نؤمن أن الموت هو انتقالنا من عالم الفساد الى عالم البقاء. فلنسبح المسيح الى الابد في عيد الاعياد وموسم المواسم منشدين له اناشيد النصر والظفر.

وفي غمرة الانشاد والتسبيح، لا تنسوا أن قيامة المسيح حادثة حقيقية في حياة كل مؤمن منكم. فالمسيح أتى الارض من اجلكم، وتألم ومات ودفن وقام من

اجلكم. لم يكن هو محتاجاً الى هذا التنازل العظيم ولكنه قام به من اجلنا. نزل إلينا لكي يرفعنا نحن الساقطين الى نور مجده. تألم من أجلنا لكي يمحو خطايانا التي باعدت بينه وبيننا. دفن من أجلنا لكي يبيد الموت بموته. قام من أجلنا لكي يقيمنا ويجلسنا معه في السماء. كل ما صنعه ربنا يسوع منذ تجسده في الناصرة حتى ارساله الروح القدس يوم العنصرة، انما فعله من أجلنا تحدوه محبة لنا يعجز عن تصورها الملائكة أنفسهم.

فأمام هذه المحبة التي تسمو على كل وصف وتقدير، نقف خطأة غير مستحقين، لا حول لنا سوى الانسحاق الخاشع والتلعثم ببعض كلمات الشكر. لا نستطيع وفاء ما علينا من ديون الشكر لان الله غمر جنسنا البشري بلطف أعيا ألسنتنا وبهر عقولنا حتى صرنا بحاجة الى نعمته الالهية لكي نستطيع أن نتحمل بريق لطفه وإحساناته.

فبماذا نكافىء الرب عن كل ما اعطانا؟ ليس الله بحاجة الى مكافآتنا ولكنه متشوق الى اهتدائنا اليه. وليس الاهتداء نظرة خاطفة اليه بل تمخضاً زلزالياً بنعمته فتنهار بروج الخطيئة فينا وتنبعث في احشائنا حياة جديدة في المسيح. هذا الاهتداء يجري وسط عاصفة توبة تزلزل كياننا. فالصليب أثبت أن خطايانا فادحة جداً حتى أن التطهر منها تطلب موت المسيح. ولكن الصليب هو ايضاً عامل انقلاب حياتنا في توبة صادقة تسكب فينا آلام المسيح فتجعل آلامه آلامنا ودفنه دفننا. وكما أن الصليب والدفن كانا مقدمتي القيامة، فكذلك يكون اشتراكنا في صلب المسيح ودفنه عبر توبة عاصفة مبعث القيامة. فمنذ الآن نحن مصلوبون ومائتون وقائمون مع المسيح وجالسون معه في السماء بصورة خفية اليوم ولكنها ستظهر علانية يوم مجيئه المجيد. المسيح أقرب إلينا من قرب رأسنا الى جسمنا. المسيح فينا أكثر مما قلبنا في جسمنا. وما لنا من الحياة الحقة انما هو فيه. وذهولنا عن هذه الحقائق لا يبدل شيئاً من طبيعة القضية. ولكن الواجب والاخلاص لذواتنا يتطلبان أن ندير عقولنا وافكارنا دوماً نحو يسوع لكي نراه فينا. فلنطهر ذواتنا ليكون مشعشعاً دائماً في ألبابنا.

٤ ـــ العظة المنسوبة الى يوحنا فم الذهب.

ختم لوسكي كتابه في «اللاهوت الصوفي» بالعظة المنسوبة الى الذهبي الفم التي نتلوها في قداس عيد الفصح المجيد. واوردها انا هنا لانها تتمة طبيعية لهذا الفصل. فالفصح في رأي غريغوريوس اللاهوتي هو عيد الاعياد وموسم المواسم الذي هو اسطع لمعانا من جميع اعيادنا بما فيه الاعياد السيدة الاخرى بمقدار ما الشمس اسطع من النجوم[1].

وقد اقتصرت على تنقيح الترجمة المتداولة لئلا ابتعد كثيراً عما الفه المؤمنون، وتممت ما فيها من نقص.

العظة

«من كان حسن العبادة، ومحبا لله، فليتمتع بهذا الموسم البهيج والمضيء.

من كان عبداً حصيفا فليدخل فرح ربه مسرورا.

من تجشم مشقة الصوم فلينل الان ديناره

من عمل من الساعة الاولى فليتقاضَ اليوم دينه العادل؛ من قدم في الساعة الثالثة فليعيّد شاكراً؛ من قدم في الساعة السادسة فلا يشكَّ، فانه لا يخسر شيئاً؛ من تأخر الى الساعة التاسعة فليتقدم غير مرتاب؛ من لم يأتِ الا في الساعة الحادية عشرة، فلا يخف الابطاء، فان السيد جواد؛ يقبل الاخير مثل الاول؛ ويريح العامل من الساعة الحادية عشرة مثل العامل من الساعة الاولى؛ يرحم الاخير ويهتم بالاول؛ يعطي ذاك ويهب هذا؛ يقبل الاعمال ويرحّب بالنية؛ يكرم العمل ويمدح القصد الحسن.

---

(١) العظة ٤٢ : ٢

فادخلوا، اذاً، جميعكم الى فرح ربكم. ايها الاولون والاخيرون خذوا اجرتكم، ايها الاغنياء والفقراء اطربوا معاً؛ ايها المتعنفون والمتوانون اكرموا هذا النهار؛ ايها الصائمون وغير الصائمين، تنعّموا اليوم.

المائدة مترعة فتمتعوا كلكم. العجل سمين فلا يخرجنَّ احد جائعاً، تمتعوا كلكم بوليمة الايمان، تمتعوا كلكم بغني الصلاح

لا يرثينَّ احد فقره، فان الملكوت المشترك قد ظهر.

لا ينوحن احد على زلاته، فان الصفح قد بزغ من القبر.

لا يخف احد الموت، فان موت المخلص قد حرَّرنا.

لقد اطفأه ذاك الذي قبض عليه (الموت).

لقد سبي الجحيم ذاك الذي نزل الى الجحيم.

لقد مرمرها لما ذاقت جسده.

فاذ سبق اشعياء فعلم ذلك، صاح:

« تمرمرت الجحيم لما التقتك اسفل؛ تمرمرت لانها أبيدت؛ تمرمرت لانها صارت هزءا، تمرمرت لانها صُرعت؛ تمرمرت لانها قيِّدت

تناولت جسماً فصادفت الهاً، تناولت ارضا، فالفت سماءً؛ تناولت ما نظرت، فسقطت من حيث لم تنظر.

اين شوكتك يا موت؟ اين غلبتك يا جحيم؟

قام المسيح فصرعتِ انتِ.

قام المسيح فسقط الشياطين.

قام المسيح فيجذل الملائكة.

قام المسيح فتتقلد الحياة الحكم[1].

قام المسيح فما من ميت في القبر. لأن المسيح القائم من بين الاموات صار باكورة الراقدين ، له المجد والقدرة الى دهر الداهرين آمين!

(٢) اللفظة اليونانية من القاموس الحقوقي وتعني «حكم» ، «أدار ادارة». ترجمها المرحوم مسرة «تستقر» ، وسواه «انبثت» والبنديكستاري «استسارت» ولوسكي «تنتصر». ومعني «الحكم» متناسق مع النص لان حكم الحياة الغى حكم الموت بقيامة يسوع.


Ὁ
Ν


Ὁ
Ὤ
Ν
IC
XC

القسم الثالث

الفصل الاول

استعمال كيرللس الاسكندري للالفاظ اللاهوتية

كل علم بحاجة الى مصطلحات ينحتها له اربابه شيئاً فشيئاً. للعهد القديم مصطلحاته الدينية في العبريّة والآرامية. اما العهد الجديد فقد كتبه شرقيون لغتهم الآرامية او اليونانية التوراتية. كتبوه باللغة اليونانية. ومنذ فتوحات الاسكندر الكبير غزت اللغة اليونانية شيئا فشيئا العالم القديم حتى اضحت لغة المثقفين جميعاً[1]. آباء الكنيسة الغربية كتبوا باليونانية حتى اواسط القرن الثالث ومن تلاهم في القرن الرابع تتلمذ على الآباء الناطقين باليونانية (اليونانية هنا لغة لا عرق. فنهم السوري والمصري والكبادوكي والروماني و...).

ففيها تجلّى تقليد الكنيسة اللاهوتي. وعنها نُقِلَ. افرام السوري اسّس معهداً لترجمة الكتب اليونانية الى السريانية فكان ابا نهضتها الادبية والثقافية والعلمية. واستفاد العرب والفرس من هذا التراث، فكانت السريانية لغة تدريس العلوم في نيسابور وجنديسابور. ولذا لا نستغرب تأثر النحو العربي بالمنطق الارسطوي اليوناني لان واضعيه من الفرس نالوا ثقافة متأثرة باليونانية.

في هذا المحيط الثقافي اليوناني الواسع كان لا بد من ان يجري مضمون الوحي المسيحي في لغة يونانية سليمة لينحت له المفسِّرون فيما بعد مصطلحات تقرّبه من الاذهان والافهام.

(١) وفي سوريا الطبيعية صارت لغة اي انسان ذي قسط من الثقافة في المنطقة الواقعة غربي الفرات كما مر معنا في القسم التاريخي.

الديانة المسيحية هي ديانة المصلوب. وهي قولاً وفعلا، صليب عام في جميع الحقول. كانت اليهودية نضالاً طويل النفس ضد الشرك اي تعدد الآلهة، فانتهت الى توحيد شديد صلب.

فقالت بإلهٍ احد منزه تنزيها مطلقا عن المادة. جاءت المسيحية تقول: ثالوث= اله واحد، او بالاحرى اله واحد في ثالوث، ٣=١ و ١=٣. هذا صليب للعقل. وقالت ان ابن الله تجسد وصار انسانا وصلب، فصلبت العقل اليهودي الرافض لمثل هذا الاعتقاد.

وجاءت بمفاهيم روحيّة واخلاقية تقتلع الانسان من الارض ليعيش في السماء، أو ليعيش في عالم موبوء بالاهواء والمطامع والشهوات والاغراض والخبائث والاحقاد، كما يعيش الملائكة في السماء.

وهذا صليب اخلاقي كبير وقع تحته الجميع. لان الامتلاء من الله وحده قادر على رفعنا الى هذه السوية العالية.

هل من المعقول ان اطير الى العلاء وانا من الزحّافات لا من الطيور؟ ومع هذا ينحني للصليب مئات الملايين من البشر اليوم المقيمين في بلاد العلم لا في بلاد التخلّف والجهل كمجاهل افريقيا.

كان على الادباء المسيحيين ان يوضحوا لنا مسألة: «اله واحد في ثلاثة اقانيم موجودين حقيقة في الواقع لا في الرؤية النظرية الصرفة». فالثالوث القدوس هو الله. وعندما نذكر الله نعني «الاب والابن والروح القدس» كما قال الآباء القديسون. (غريغوريوس اللاهوتي، الخطبة ٤٥ : ٤ وسواه).

اللغة اليونانية لغة عقل وتجريدات عقلية. الفلسفة اليونانية فلسفة «ماهيات، و«مقولات». لم يكن فيها مكان لمضمون الوحي المسيحي. ولا يمكن ادخاله في «مقولات» ارسطو.

ولذا قال نيقولا بردياييف الفيلسوف الارثوذكسي الوجودي — الشخصاني بحق: «لم يستطع الوحي المسيحي ابداً ان يعبّر عن نفسه فيما يخص الشخص، في

مقولات catégories الفلسفة اليونانية»[1]. من هنا كانت فوضى الفاظ غرباً وشرقاً، وكانت المشاحنات العديدة.

لا يحتمل القارىء العربي منذ أوّل محاولة، ترجمة الشواهد اللغوية اليونانية من فلسفية وآبائية[2]، ومقابلاتها اللاتينية. ومع هذا استطاع آباء الكنيسة ان يشقوا طريقهم المحفوف بالاخطار، فانحصر الخلاف في عدد من الالفاظ هي: جوهر، ماهية ousia؛ اقنوم (hypostasis)؛ طبيعة physis شخص prosopon والمشكلة الكبرى هي ان الالفاظ الثلاثة الاولى ذات معانٍ متعددة وبينها احياناً ترادف[3] وقد يختلف استعمال اللفظة الواحدة بين المذاهب الفلسفية نفسها كـ ousia مثلا.

ولكن الاشتقاق اللغوي يسمح بتطوير كل منها على حدة ousia تشتق من فعل «كان» physis من فعل «ولد»، «نما». (hypostatis) مؤلفة من لفظتين: hypo «تحت» و stasis وَضْعٌ، موقف، حالة... من معانيها «الوضع تحت، تسبيد، ما يوضع تحت، ما هو في العمق، اساس، قاعدة، ثقل، راسب جمعها رواسب، ...» ووردت لدى ارسطو بمعني دعامة (اي ركن، سناد، تكأة)[4].

1- Nicolas Berdiaeff, Cinq Méditations sur l'Existence, p 180-181; Aubier, Paris; 1936 et Emmanuel Mounier, Le Personnalisme, p. 10 et 13; P.U.F., Paris; 1949.

(٢) في المعاجم اليونانية الكبرى وكتاب Prestige الذي ذكرناه آنفاً (ترجمته الفرنسية سقيه. الافضل هو اللجوء الى الاصل الانكليزي) و Lampe, Patristic Greeh Lexikon ودوائر المعارف اللاهوتية الكبرى يعثر عاشق الله على ضالته من هذه الابحاث بقدر لا بأس به. وبين المعاجم الكبرى المعجم اليوناني — الانكليزي... Lidell and... واسع جدا و Bailly الكبير (الفرنسي) جيد (طبعة ١٩٦٣ المنقحة).

(٣) ديديموس الاعمى (مين اليوناني ٣٩: ٣٤٨؛ الدمشقي. مين ٩٥: ٥٨٩ و ٩٦: ١٠٩٧ و ٣٤٨ وشواهم.

(٤) ليديل، وبايي.

Catholicisme, t.l, 1150, Lidell; Bailly

ووردت لدى ارسطو المنحول وسواه. بمعنى جوهر، ماهية، ذات الشيء (اي حقيقته لا خياله). ووردت في هذا المعنى الاخير في الترجمة السبعينية (المزمور ٣٨ : ٦ يوناني ٣٩ : ٥ في الترجمات) وفي الرسالة الى العبرانيين (١ : ٣)

ووردت لدى الاقدمين، وفي راعوث ١ : ١٢ وحزقيال ١٩ : ٥ والمزمور ٣٨ : ٨ (يوناني = ٣٩ : ٧ ترجمات) وكورنثوس الثانية ٩ : ٤ و ١١ : ١٧ وعبرانيين ٣ : ١٤ و ١١ : ١ بمعنى «الضمانة، الكفالة...»

وهي تشتق من الفعل hyphistimi الذي يحوي المعاني الواردة في الفقرة الاولى وسواها. ومن معانيه الموسعة «وجد، كان، قام قواماً.[1] ويرد فلسفيا في عبارة «يعادل الله في الكرامة»، فيكون معناه «يعادل» [2]

فلفظة «اقنوم» تقبل اذا التطوير نحو معان لاهوتية ننحتها لها كمعنى الوجود الشخصي الحقيقي. فيكون «الاقنوم» هو الموجود في الحقيقة والواقع الذي يملك الجوهر او الطبيعة كقضية له، يملكه كسيّد غير منازع، كسيد مستقل.

هو الموجود existant. والجوهر الحقيقي موجود فيه. ولا وجود للجوهر خارجاً عنه.

الاقنوم كل غير قابل للتجزئة او الانتقال او الاستحالة.

ولكن ليس الاقنوم فرداً. مفهوم الفرد مرتبط بالانفراد. افراد الجنس البشري متعددون. وكل منهم منفرد عن الآخر. كل منهم كائن.

في الثالوث القدوس الجوهر واحد. والكائن واحد. مفهوم الشخص يقبل ان يكون الله كائنا واحدا. مفهوم الفرد لا يقبل هذا الجوهر الالهي هو الوجود الكلي الكمال للثالوث القدوس في وحدته.

في الوقت نفسه الاقانيم الثلاثة وجوهرهم الواحد هم كائن الهي واحد.

---

(١) Baur, A Greek-English Lexikon of the N.T. et Cath. loc. citée.

(٢) ليديل وبابي

الاقنوم هو فقط المالك للوجود ومبدأه وغايته. المحتوى الحقيقي لوجوده هو الجوهر الحي. فلا يمكننا ان نتكلم عن شخص ان لم يكن يملك محتوى.

وكل من الاقانيم يملك تمام الجوهر الالهي. فلا يتجزَّأ الجوهر بينهم. وبفضل وحدة الجوهر كل اقنوم يسكن في الاقنومين الآخرين بدون امتزاج او ذوبان[1].

لفظة طبيعة physis . اشتقاقها اللغوي يسمح بتطويرها نحو الدلالة على معانٍ تشير الى الخصائص والافعال. ولذا ربط ارسطو الفعل بالطبيعة فجعل الطبيعة مبدأ الفعل. (الفيزياء ٢ : ٩ و ١٠).

واستنتج آباء الكنيسة من وحدة الفعل الوهة الابن والروح القدس ووحدة جوهر الثالوث.

قالوا ان الابن والروح القدس يفعلان كل ما يفعله الآب، وانهما يملكان جوهره لان وحدة الفعل تعني وحدة الجوهر.

وكان الآباء الكبادوكيون من اساطين هذا التفسير فبالغوا في استعمال لفظة «طبيعة» physis بدلا من لفظة «جوهر» للثالوث القدوس فركزوا بذلك على ان وحدة الطبيعة بين الاب من جهة والابن والروح القدس من جهة ثانية دليل على التساوي في الالوهة.

وفي لغة ارسطو نفسها، **الفعل الواحد** دليل على الطبيعة الواحدة[2].

---

(١) سيرج فيرخوفسكوي عقد الفصل ٦ من كتابه «الله والانسان» حول «الجوهر». وفي صفحاته الاولى تحليل بارع للفظتي «كائن» و «فرد» والفرق بينهما وبين الاقنوم والجوهر. وهو آبائي كزميله مايندورف في التركيز على الاقنوم كمالك للجوهر على ما يمر معنا. والنبرة الشخصانية — الوجودية واضحة تماماً.

(٢) اثناسيوس الكبير، مين ٢٦ : ٥٨٥ — ٥٨٨ ؛ باسيليوس، مين ٢٩ : ٦١٧ ونص ممتاز في الرسالة ١٨٩ : ٦ ؛ النيصصي ٤٤ : ١١٦٠ و ٤٥ : ١٢٥ ؛ كيرللس الاسكندري ٧٥ : ١٣٧ ؛ مكسيموس المعترف في نقاشه مع بيروس ضرب فوراً على هذا الوتر. هو وصفرونيوس ويوحنا الدمشقيان ذهبا في هذا الباب الى نهاية الشوط. انظر ايلاريون بواتييه، في الثالوث ٩ : ٤٧ — ٤٨ فانه من رأي الآباء. الدمشقي، دياليكتكا ٤٠.

ولذلك في لاهوتنا الخلقيدوني الآبائي لا نستطيع ان نتصور وجود طبيعة بدون فعل. وهكذا يستحيل علينا ان نقول بفعل واحد في المسيح. فلاهوتنا القائل بالطبيعة مضطر للقول بالفعلين والاّ خرج على آباء الكنيسة الذين استشهدت بهم في الحاشية السابقة.

علاوة على الحلول الواردة اعلاه للالفاظ اللاهوتية، تولّى الكبادوكيون الثلاثة شرح عقيدة الثالوث القدوس. ففي فوضى الالفاظ كان لا بد من نحت المعاني الجديدة. في شجرة فوفيريوس Porphyrios وشرحها لتلميذه امونيوس ذكر لمفهوم ال «فرد».

الا انهما يبقيان في النهاية في عالم المجرد والسطحيات دون التوصل الى المفهوم الشخصاني المسيحي ابداً. استعمل باسيليوس الكبير عبارات تحاكي عباراتهما من بعض النواحي. الا ان الفرق كبير جداً.

باسيليوس فرّق بين «جوهر» و «اقنوم». اعطى الانسان كمثل: المشترك بين افراد البشر هو الطبيعة البشرية. الخاص هو الاشخاص. المشترك هو «جوهر». الخاص هو «اقنوم». بطرس وبولس وسلوانس هم اشخاص. وطالب باسيليوس بنقل هذا التفريق الى الثالوث القدوس.

الالوهة جوهرهم. هي ousia. الاقانيم هم الآب والابن والروح القدس.

خاصة الآب الاقنومية هي الأبوّة..

خاصة الابن هي البنوة.

خاصة الروح القدس هي الانبثاق.

هذه هي الخاصات الاقنومية وليس من شيء آخر سواها يميز الاقانيم.

الباقي كله مشترك. كل ما هو للاب هو للابن ما عدا ابوة الآب وبثّه الروح القدس.

كل ما هو للروح القدس هو للاب ما عدا انبثاقه من الآب[1].

اكرر: كل شيء مشترك ما عدا الابوّة والولادة والانبثاق[2].

طبعا لم يقفوا عند هذا الحد (اي الكبادوكيون). فلهم في الاقانيم ابحاث اطول من هذه، حدّدوا بموجبها لنا ما يمتاز به الاقنوم من عقل وعفوية واستقلال وحريّة.

ساروا بالتاريخ نحو مفهوم شخصي لله فدحرجوا افلاطون وارسطو وكل الفلسفة اليونانية الى ان نبشهم الغرب فعاد الى فلاسفة الوثنية. ولم يستفق الا متأخراً، ولكن نصف استفاقة.

غزا تفسير باسيليوس وصحبه العالم المسيحي، فصارت لفظة «اقنوم» تعني القوام الشخصي لكل من اشخاص الثالوث الذي يحوي الجوهر.

الجوهر قائم في الاقانيم. ولا وجود له خارجهم

الاقنوم هو الموجود في الحقيقة والواقع. الجوهر هو **الكائن être**

الاقنوم يحوي الجوهر. هو الحاوي والجوهر هو المحتوى. الجوهر موجود في الاقنوم. الالوهة موجودة في الاقنوم.

فكرة الاقتناء هذه فكرة مركزيّة في فكر الاباء. يركزون بقوة على الاقنوم كمقتنٍ وعلى الجوهر كمقتنى.

الاقنوم لا يتجزأ ولا يقبل التأليف مع اقنوم آخر. ولا ينتقل الى الغير، اذ انه هو الحاوي الجوهر كليا، الذي يوحد كل ما هو فيه. وهو مستقل تمام الاستقلال عن كل اقنوم آخر. وهو تمسك تحت سلطانه كل ما هو فيه.

قلنا الاقنوم يقتني. هو يسود. اما الطبيعة فتفعل.

---

(١) باسيليوس الرسائل ٣٨؛ ٢١٤: ٤؛ ٢٣٦: ٦ وخطب غريغوريوس ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ وو... لوسكي لا يذكر فورفيريوس بل يكتفي بارسطو (٤٩ — ٥١).

(٢) نقتضب كثيراً. راجع لوسكي ٤٣ — ٦٤ لنظرة اجمالية.

الاقنوم هو كل حقيقي concret يحوي جميع ما فيه[١].

آباء الكنيسة الكاتبين باللغة اليونانية ركزوا على مفهوم الاقتناء كما ذكرنا. ويرى de Régnon انهم استعملوا لغة حقوقية. فهم باغلبهم حقوقيون كبار.

ومن جهة اخرى فلاهوتهم هنا يختلف عن اللاهوت الغربي كما لاحظ دي رينيون المذكور. هم يذهبون من الجوهر الى الاقنوم بينما لاهوتنا الشرقي يضع النبرة على الاقنوم الذي يقتني الجوهر[٢].

فلسفياً اللاهوت الارثوذكسي لاهوت وجودي شخصاني. بالنسبة الى الله (الموجود سرمديا) لا تطرح مسألة الوجود والماهية لانه الموجود سرمدا، الحاوي جوهره سرمدا.

---

(١) اكتفينا بهذا القدر والا طال بنا الشرح جدا.

آ — اثناسيوس. ضد الاريوسيين ٣ : ٣٥ و٣٦ في مين ٢٥ : ٤٠٠ ؛ الرسالة ٣ الى سيرابيون ٥ في مين ٢٦ : ٦٣٣

ب — كيرللس الاورشليمي ١٦ : ٢٤.

ج — باسيليوس. في الروح القدس ١٦ : ٣٨ و٧ : ٤١

د— غريغوريوس اللاهوتي. الخطبة ٣١ : ١٤ و١٥ و٣٤ : ٨ و٣٩ : ١١ والقصائد اللاهوتية ٢٠ : ٣ في مين ٣٧ : ٤١٤

هـ حوارات على الثالوث ١ : ٢ في مين ٢٨ : ١١٢٠ (من القرن الخامس).

و— الدمشقي. الايمان الارثوذكسي ١ : ٨ في مين ٨٠٨ و٨٢١ و٨٤ و٨٢٥ و٨٢٨ و٨٢٩ و٨٤٩ والدياليكتيكا ٤٠ و٤٢.

ز— مايندورف ٨٨ (النص والحاشية ٦٩) ركز اكثر من لوسكي على فكرة غريغوريوس لجهة اقتناء الاقنوم للجوهر (لوسكي : اللاهوت الصوفي ٥٣). ولكن اثناسيوس ركز قبلا عليها في موضع البند آ اعلاه.

ح— لوسكي. اللاهوت الصوفي. ٤٣— ٦٤. عقد فصلا جيدا اجمالا.

(٢) دي رينيون ١ : ٤٣٣.

ولكن النبرة موضوعة بقوة على الاقنوم.

وغني عن البيان ان التفريق بين الاقانيم مستحيل الا في مجال الفكر الصرف. فالآباء قالوا ان الالوهة برمتها في كل من الاقانيم.

هذا المفهوم الشخصاني اعطى اللاهوت الارثوذكسي حيوية خاصة جدا واخرج علم اللاهوت من متاهات الفلسفة النظرية والمثالية الى الواقعية الشخصانية.

وهذا ما فات ديكارت وكل مفكري الغرب حتى ايامنا هذه. فلما بدأت ميرالوت بورودين ولوسكي ومن شاكلهما يصدرون في الغرب المقالات والكتب اصيب البحاثون الغربيون بصدمة اعادتهم الى الرشد وساقتهم الى الفهم الاصيل للاهوت الآبائي اليوناني.

كيرللس الاسكندري — كما اسلفنا — سار على خطى اثناسيوس والكبادوكيين في سر الثالوث القدوس. فهو من هذه الناحية تلميذهم الامين[1] حتى جاء مكسيموس المعترف مشغوفا بهم جميعا ومناديا بغريغوريوس اللاهوتي «المعلم».

الا ان كيرللس لم يفعل كما فعل غريغوريوس اللاهوتي. هذا — كما مر معنا — طبق طريقته في الكلام عن الثالوث على طريقته في الكلام عن التجسد.

كيرللس اصطدم بعبارة ابولينارية مدسوسة تحت ستار مؤلف منسوب الى اثناسيوس الكبير[2]. وهي:

«طبيعة واحدة متجسدة للاله الكلمة»

وقد وردت في اشكال اخرى كما سيجيء.

العبارة تقبل التفسير الخلقيدوني كما فعل كثيرون كالمجمع الخامس والامبراطور جوستنيانوس وسواهما. فلفظة «متجسدة» هنا هي في اللغة اليونانية مرتبطة بلفظة طبيعة واحدة لا بلفظة «كلمة» اي ان كلمة الله هو ذو طبيعة **متجسدة واحدة**. له

(٢) مين ٧٦: ٢٠٤ و١٢٧٢.

(٢) في مين ٢٨: ٢٥٦، ٣٠.

طبيعة واحدة متجسدة. فهناك الطبيعة وهناك التجسد. فما هو الواحد ما دمنا امام الوهة وجسد؟ الوحدة هي وحدة الشخص.

خصوم كيرللس اتهموه باستعمال عبارات ابوليناريه. في زمن المجمع الافسسي اي الثالث المسكوني (٤٣١) كان معروفاً ان اريوس وابوليناريوس استعملا عبارة: «طبيعة واحدة» ليسوع mia physis [1]. والنقاد جميعاً مجمعون على ان العبارة هي ولابوليناريوس. ومع ذلك فعبقرية كيرللس اللاهوتية وارثوذكسيته فهمت الموضوع فهماً ارثوذكسياً سليماً.

وله الفضل الاكبر في حماية اللاهوت الارثوذكسي مهما كان رأي النقاد في فرعونيته. فلولا الله وتعصبه (حتى درجة الذعر) لوحدة شخص يسوع، لما كانت خلقيدونية ولا المجمع الخامس، ولَطَغَت عقلانية بعض الأنطاكيين وسادت النسطورية. فلا غرابة ان تكون شخصيته قد سيطرت على القرنين الخامس والسادس.

هذا التشوش فصله المجمع الرابع المسكوني كما اسلفنا، مؤكدا بشدة على وحدة شخص يسوع.-

ما هي اهم الالتباسات في الفاظ كيرللس؟

اولا

انه يسمي جوهري المسيح «طبيعتين» مستعملا لفظة «طبيعة» في معنى «جوهر». فهو يقر اذاً بان في المسيح جوهرين:

ا — «ان (كلمة الله) موجود في الصورة morphè والطبيعة physis التي تخصنا، ويقود الى انظار الله الاب، طبيعة "physis" الانسان». [2] اللفظة

---

(١) راجع في مرجع ذكر آنفا

Richard, Léonce... et Léonce de J. p 79

(٢) مين اليوناني ٧٦: ١٤٠٠

الاولى «الصورة» وردت في فيلبي ۲ : ۲ — ۹ لطبيعتي الله والانسان. ما من شك هنا ان «طبيعة» تعني «جوهر». ونرى ان كيرللس سمّى ناسوت يسوع «طبيعة».

۲ — «انه ارتدى الطبيعة physis الخاضعة للموت»[1].

۳ — في النص التالي يسمي كلا من طبيعتي المسيح physis

«الابن الوحيد لله لم يقاسِ في طبيعته الخاصة كإله آلام الجسد، بل كابدها بطبيعته الارضية»[2] النص واضح: هناك طبيعة الهية وطبيعة ارضية.

٤ — «ان الطبيعتين اللتين اقتربتا لتؤلفا وحدة حقيقية هما في الحقيقة مختلفتان؛ ولكن ينتج منهما ابن ومسيح واحد، لا ان اختلاف الطبيعتين قد تلاشى بنتيجة الاتحاد» [3].

فما هو لاهوت كيرللس اذاً؟ كيرللس انسان ثارت ثائرته ضد النسطورية لا بسبب تمييز الطبيعتين في يسوع بعد اتحادهما في التجسد الالهي بل بسبب تفريقهما الى ذاتين. وانذاك يضعف الاتحاد ويتلاشى. الخلاف هو على **كيفية** الاتحاد[4]. كيرللس بعد غريغوريوس اللاهوتي والذهبي الفم بطل الدفاع عن وحدة ابن الله: ابن واحد، رب واحد، مسيح واحد، ...

الخلاصة: كيرللس اطلق على كلا طبيعتي يسوع لفظة physis بمعنى ousia

ثانياً

استعمل لفظتي طبيعة واقنوم كمترادفين. وفعل ذلك في معنى يتميز عن لفظة «شخص». وبهذا تدلان على الطبيعة الحقيقية كشيء مُوجود، كواقع بغض النظر عن كيفية القيام والوجود.

---

(۱) مين اليوناني ٧٦ : ١٣٧٦ وايضا ٧٧ : ٢٤٥ و٧٦ : ١٣٨٨ و١٢٠٠ و١١٤١ و٣٢٩ و٦٤ و٨٩.

(۲) مين ٧٧ : ٢٤٤.

(۳) مين ٧٧ : ٢٤٤.

(٤) مين ٧٥ : ١٣٨٥ و٧٦ : ٨٥ و٧٧ : ٤٥ و٢٥٥.

ويطلق هنا كيرللس لفظة «اقنوم على طبيعة المسيح البشرية.

وبذلك يؤكد ان الطبيعة البشرية التي اتخذها ابن الله هي طبيعة حقيقية physis هي واقع موجود فعلا، لا تجريد او مظاهر بدون قوام.

فاذاً، هو يستعمل لفظتي «اقنوم» و «طبيعة» بمعنى واحد ويطلقها على الطبيعة البشرية ايضاً. بعد خلقيدونية هذا مستحيل عندنا، والا سقطنا في النسطورية بل في اردأ منها.

١ — قال: ما ليس له اقنوم يعادل العدم وليس شيئاً على الاطلاق[1].

٢ — في دفاعه ضد ثيوذوريتوس اسقف قورش يطلق على الطبيعتين لفظتي «اقنومين» صراحة. وفسّر لفظة اقنوم بمرادفها «حقيقة». قال: «حقيقتان اي اقنومان»[2].

٣ — في رده على نسطوريوس استعمل عبارة «الاتحاد بحسب الاقنوم». هذه هي عبارة الارثوذكس اليوم. ولكن لدى كيرللس لا تعني ذلك. ففي رده على نسطوريوس تعني شيئاً آخر. الامر يحتاج الى بضع كلمات من الشرح الواضح.

كان نسطوريوس يقول ان في المسيح شخصين يرتبطان بروابط ادبية وجوار في شخص ثالث اسمه «شخص الاتحاد». فالوحدة اذاً سطحية بلا عمق. ونسطوريوس شوّه بذلك المعنى اللاهوتي الجديد للفظة «شخص» بعد اتفاق الشرق والغرب على ترادفها مع لفظة «اقنوم» في سر الثالوث.

بهذا يعود الى معناها اللغوي العتيق: «وجه، قناع، دور مسرحي ...» فاذاً: كيرللس اراد بالعبارة تركيزاً على اتحاد حقيقي واقعي متماسك ثابت كما شرحها هو نفسه:

---

(١) مين ٧٦: ١١٥٣.

(٢) مين ٧٦: ٣٩٦ و٤٠١.

«اتحاداً حقاً وواقعياً لاقنوم الكلمة مع البشرية، ولكن بدون اي تحوير او ذوبان»، دون ان تعني العبارة «مزجاً» Krasis [1].

واستعمل في المعنى ذاته عبارة «الاتحاد الطبيعي او بحسب الطبيعة [2]. فاذاً: بحسب الاقنوم= بحسب الطبيعة= الاتحاد الطبيعي. وهكذا تكون «طبيعة»= «اقنوم». انهما مترادفان.

ثالثاً

وهناك ترادف ثالث لدى كيرللس. فهو يستعمل الالفاظ اللاهوتية «طبيعة» و«اقنوم» و«شخص» كمترادفات.

والمعنى لديه هنا هو: الفرد المستقل القائم بذاته.

١ — قال: الذي هو متحد بآخر بحسب الكرامة — مع بقاء الطبيعتين او الاقنومين منفصلين — لا يعرف كيف يؤلف (مع الآخر) كائناً واحداً؛ هما اثنان حتماً». [3]

فاذاً — كما قلنا — همُّ كيرللس منحصر في «وحدة يسوع»، في اتحاد الطبيعتين فيه دون ان يكون هناك ربّان ومسيحان وابنان. استعمل طبيعة واقنوم كمترادفين. عاب على خصومه القول في الاتحاد انه يتم بحسب الكرامة اي سطحياً في النتيجة. وفيما يلي ادلة جديدة على صواب رأيه.

٢ — «فليقل لنا اولئك الذين يقسمون المسيح والابن الوحيد الى ابنين، ويعلنون ان الانسان التصق بالله بحسب مساواة الكرامة والسلطة فقط، مع بقاء الطبيعتين منفصلتين، (فليقل لنا اولئك) بموت من اعتمدوا؟» [4]

---

(١) مين ٧٦: ٤٠١ وايضا ٣٣٢. ذكرنا سابقا شيوعها ثم سقوطها من الاستعمال.

(٢) ٧٦: ١٢٠ و٣٣٢ و٤٠٠ — ٤٠١ و٤٠٤ و٤٠٥ و٧٧: ٤٥ و٤٨ و١١٧ والنيصصي ٤٥: ١٤٤٩.

(٣) مين ٧٦: ١٣٥٧.

(٤) مين ٧٦: ١٤٠٨ — ١٤٠٩.

٣ — «اذا كان احد يقسم العبارات المستعملة للمسيح في الاناجيل بين شخصين او اقنومين...» [١]

٤ — «طبيعة physis الكلمة او الاقنوم الذي هو الكلمة نفسه» [٢].

٥ — «لهذا نجد في الاناجيل كافةً عباراتٍ عن «شخص» واحد: اقنوم واحد متجسد للكلمة» [٣].

٦ — عبارة «اقنوم واحد متجسد للكلمة» [٤] هذه معادلة تماماً للعبارة التي يتمسك بها اليعاقبة «طبيعة واحدة متجسدة للاله الكلمة» [٥]. وهذا دليل قاطع على ان كيرللس ما كان يقيم في عقيدة التجسد (الخريستولوجيا) التفريق الذي اعتمده غريغوريوس اللاهوتي. فلفظتا «طبيعة» و «اقنوم» مترادفتان في اهم جملة تسلّح بها خصوم خلقيدونية.

ولذا رأى فيها الارثوذكس والكاثوليك دوماً بالاستناد الى كل تفكير كيرلس تعبيراً صحيحاً عن الايمان بوحدة يسوع وبأن كيرللس لم يكن يفرّق كل الاحيان بين لفظتي «طبيعة» و «اقنوم».

ولكن في صراعه مع الانطاكيين استعمل في النهاية تعبيرهم كما نرى في رسالة المصالحة، فسمّى اللاهوت والناسوت «طبيعتين» بمعنى سليم تماماً.

وبالمقابل كان خصومه مثله في الاستعمال. فكان ثيوذوريتوس يستعمل عبارة كيرللس: «طبيعتان اي اقنومان» [٦]

---

(١) مين ٧٦ : ٣٣٢ و٣٣٦ (انظر ايضا ٧٧ : ٢٤١ و٢٤٥). ان العبارة هنا واردة ايضا في الحرم الرابع (ص ٣٣٢) ويدافع عنها كيرللس في ص ٣٣٦.

(٢) مين ٧٦ : ٤٠١ وردت العبارة رداً على ثيوذوريتوس. في تبرير الحرم الثاني.

(٣) مين ٧٧ : ١١٦.

(٤) مين ٧٧ : ١١٦ و٣٤٠ و٧٧ : ١١٦.

(٥) مين ٧٦ : ٣٤٩ و٧٧ : ٢٤١ وهي مدسوسة على اثناسيوس (مين ٢٨ : ٢٥٦ ـ ٣٠). ومع هذا فسرها الارثوذكس تفسيرا ارثوذكسيا كما مر معنا.

(٦) مين ٧٦ : ٤٠٤.

بناء على كل هذا نتساءل لماذا كان كيرللس يُصاب بالذعر من عبارة خصومه « طبيعتان physis dio ؟

هو نفسه يميّز بين اللاهوت والناسوت ويؤمن بوجودهما تامين بعد الاتحاد في يسوع الواحد. الحل الوحيد هو ان كيرللس بحسّ ارثوذكسي سليم كان يشعر ان لاهوت خصومه بمجموعه هو لاهوت يثنّي شخص يسوع لا يعلن وحدته. فالعبرة في الكلام للمعنى لا للفظ. لاهوت خصومه ثنائي : اقنومان، طبيعتان، شخصان. والرابط بينهم شخص اتحاد واهٍ. لقد مسخوا مسخاً معنى لفظة « شخص » بعد ان دخلت الاستعمال السليم في سر الثالوث.

ومن جهة اخرى فان كيرللس كان حذراً في استعمال لفظة « **طبيعة** ». بلباقته كسلفه البعيد نسبيا اثناسيوس عرف كيف يفتح صدره لخصومه ويتعاطى معهم بفهم. فان فاوض خصومه استعمل لفظة "physis" للناسوت. ولكن ان استعمل لغته الخاصة اضاف الى لفظة physis ما يفسّرها. اي انه يطلقها على الناسوت ويضيف اليها الفاظاً خاصة توضح المعنى الذي رمى اليه[1].

الخلاصة

اصدر الامبراطور مرسوماً باتلاف كتب الابوليناريين فاخفوا كتبهم تحت اسماء اثناسيوس الكبير والبابوين يوليوس وفيلكس وغوريغوريوس العجائبي. يوحنا البيساني — في النصف الاول من القرن السادس — فضح الغشّ.

في مجمع ٥٣٢ بين الارثوذكس ومحاوريهم الذين سموا فيما بعد باليعاقبة طعن افرام الآمدي وسواه في ابولينارية بعض مصادر الفريق الآخر، مما يطول شرحه هنا.

ذكرنا في النص ان المراجع الارثوذكسية فسّرت عبارة كيرللس تفسيراً ارثوذكسياً (الامبراطور يوستنيانوس، المجمع الخامس المسكوني، كتاب « في البدع »، الدمشقي).

---

(١) مين ٧٧ : ٢٤١ و٨٥ و٧٦ : ٤٢٥ و٣٢٩. انظر Tixeront, Histoire des Dogmes, t. III p. 62 et 64-65.

كيرللس استعمل العبارات اللاهوتية الرئيسية كمترادفات.

في رسالة المصالحة مع الانطاكيين تفاهم الطرفان على القول بوجود طبيعتين في يسوع مع تشديد واسع على وحدة يسوع ونسبة الافعال اللاهوتية الى اللاهوت والناسوتية الى الناسوت، ولكن ابن الله واحد لا اثنان.

وبهذا ادرك كيرللس مرماه فانقذ وحدة الشخص في يسوع. ثم جاء المجمع الرابع فشدّد ٨ مرات على ان يسوع هو **نفسه** الاقنوم الواحد. وجعل لفظة «شخص» مرادفاً نهائياً للفظة اقنوم.

فالمعنى الجديد للفظة اقنوم لدى الارثوذكس صار مناقضاً مناقضة تامة لإستعماله احياناً لدى اليعاقبة. وكذلك استعمالهم للفظة «طبيعة» بالنسبة الينا. المضمون واحد الا انهم ما زالوا على تشوُّش الالفاظ القديم حتى جاءت التصريحات المعاصرة تزيل الالتباس. فنحت المعاني الجديدة ضرورة مطلقة. في العربية استعرنا لفظة اقنوم من السريانية. وترجم القدماء prosopon ترجمة حرفية ب «وجه». ونستعمل لها حديثاً «الشخص». حتى لفظة شخص لا تؤدي المعنى المقصود بحد ذاتها، فنشرحها بالمعنى الآبائي الذي ورد اعلاه.

الفصل الثاني

الالفاظ اللاهوتية في النسطورية

ان ديودورس اسقف ترسيس وثيودورس اسقف المصيصة ونسطوريوس يجعلون «طبيعة» Physis واقنوم hypostasis مترادفين ويعنيان «ماهية» ousia فعلية concrète [1]

ثيودورس هو الواضع الاول للنسطورية. قال: «ان كيفية الاتحاد بحسب المسرة Kat'eudoxian، اذ يحافظ على الطبيعتين بدون اختلاط وانقسام، تبين انه من الاثنتين، الشخص وحيد، وواحدة هي ايضا الارادة، وواحد هو الفعل، وواحدة بالتالي السلطة والسيادة»[2].

«حينما نميز الطبيعتين نقول ان طبيعة الاله الكلمة تامة وتام ايضا شخصه لانه لا يمكننا ان نقول ان اقنوما ما هو بلا شخص aprosopon. فطبيعة الانسان تامة وتام ايضا شخصها. ولكن حينما نلاحظ الاتحاد نقول بانه لا يوجد سوى شخص واحد»[3].

---

(١) نسطوريوس: كتاب هيراقليد ص ٤٢ و٤٣ و١٣٦ و١٣٧ و١٣٨ و١٤٥

(٢) مين ٦٦ : ١٠١٢

(٣) مين ٦٦ : ٩٨١ وايضا ٩٦٩ و٩٧٠ و٩٨٣ و٩٨٤.

«لا نعترف الا بابن واحد لان التمسك بتمييز الطبيعتين واجب بالضرورة، وكذلك المحافظة على اتحاد الشخص بلا مساس واجبة ايضا. ولا نقول ابنين او ربين لانه لا يوجد سوى الابن الواحد بالجوهر، الاله الكلمة»(٢).

وحينما يتكلم عن والدة الاله يقول: «ان (مريم هي) ام الانسان anthropotokos بطبيعة الواقع، وام الله theotocos بالصلة anaphora. ام الله لان الله كان في الانسان الذي ولدته، لا بصورة حد لطبيعته فيه بل بعلاقة ارادته(٢).

فهذا الاتحاد الذي يتم «بحسب المسرة» لا بحسب الاقنوم، في شخص اتحاد واحد بين طبيعتين= اقنومين= شخصين، وهذا التلاشي النسبي في امومة مريم للاله يفقد الاتحاد الاقنومي اعظم قوته. واذا كان ثيودورس يتكلم عن وحدة الارادة والفعل فليس في الصورة التي ذهب اليه في الجيل السابع اصحاب المشيئة الواحدة.

فهو يجعل الارادة عاملا رئيسياً في اتحاد الطبيعتين كما مر معنا. ويتراءى احيانا انه يجعل الرابطة الحقيقية التي توحد الطبيعتين بشخص واحد، في تناسق الارادتين (٣).

اما نسطوريوس فيردد صدى ذلك كله، ويقول: «ان تسميات: المسيح والابن والرب، قابلة لان تعني الطبيعتين، تارة هذه وتارة تلك وتارة الاثنتين»(٤). ولكنه يرفض ان ينسب ذلك الى الله او الكلمة Logos وان يقال ان الله ولد من امرأة ومات (٥). «يوجد تمييز بين اللاهوت والناسوت ولكن المسيح كمسيح

---

(٢) مين ٦٦: ٩٨٥ و١٠١٣ و١٠١٧.

(٢) مين ٦٦: ٩٩٢

(٣) مين ٦٦: ٩٩٢ وفي طبعة سويت Swete: ٣٠٨ و٣١١.

(٤) لوفس: نستوريانا. ص ٢٧٣ و٢٧٤ و٢٦٩.

(٥) لوفس: نسطوريانا. ص ١٧٧ و١٦٦ و١٧١ و٢١٧ و٢٥٢ و٢٥٩ و٢٦٦ و٢٦٩ وكتاب هيراقليد: ص ١٣١ — ١٣٣.

غير منقسم ؛ والابن كاين غير منقسم ؛ لانه ليس لدينا مسيحان ولا ابنان ؛ انه هو هو نفسه الذي اذ هو وحيد ، هو مضاعف، لا في الكرامة بل في الطبيعة»[1].

وحينما يتكلم عن الشخص وعلاقة الاقانيم يبدو التشوش. فهو يتحدث عن طبيعتين واقنومين وشخصين وشخص اتحاد ويجعل الوحدة قائمة في شخص الاتحاد. ويبدو الشخصان احيانا موجودين فعليا واحيانا كأنهما غير موجودين من فرط الحاحه على الوحدة.

قال : «ان الطبيعتين تقومان في شخصيهما وطبيعتيهما وفي شخص الوحدة... لا يوجد الاّ شخص واحد للطبيعتين. فشخص احدى الماهيتين يستعمل شخص الماهية الاخرى نفسه»[2]. فوحدة الشخص هنا هي التي تنتج استعمال كل شخص للآخر.

وتبعاً لهذا التفريق رفض تسمية العذراء «ام الله» بالمعنى الارثوذكسي وآثر تسميتها «ام المسيح». christotokos وتوهم ان مصدر اللفظة ابوليناري[3].

ان الخطأ الاكبر في نظرية نسطوريوس هو جعله شخص الاتحاد الواحد نتيجة اتحاد الطبيعتين في يسوع المسيح عاد ، عاد الى معنى لفظة «شخص» الحرفي ، وذهل عن المعنى الذي اخذته كمرادفة لاقنوم. الحّ كاسلافه على الكيان الفردي الذاتي للطبيعتين= الاقنومين وتمسك بالوحدة الموروثة في تقليد الكنيسة ، فاضاع الصواب.

تصور تركيباً يؤمّن وحدة فلم يصب الهدف. ان الابن الوحيد اتخذ طبيعة بشرية وضمها الى اقنومه الالهي. اقنوم الكلمة هو هو قبل التجسد وبعد التجسد. فلم يطرأ عليه تبديل وقد قنّم الناسوت فصار اقنوماً له. فاقنوم ابن الله نفسه هو اقنوم الاتحاد لا سواه. هذا ما لم يفقه نسطوريوس سره فقال :

---

(٢) لوفس : نستوريانا ، ص ٢٨١ — انظر ٢٧٣ و٢٧٥ و٢٩٩.

(٢) كتاب هيراقليد : ص ١٩٤. (٣) كتاب هيراقليد : ص ١٥٤.

«ان الشخص prosopon غير موجود في الماهية، ليس في ماهية الله الكلمة الذي ليس هو اقنوم اتحاد الطبيعتين اللتين اتحدتا، وذلك بصورة يوحّد فيها الماهيتين في شخص prosopon للاله الكلمة، لانه ليس الاثنتين جوهرياً»[١] وهذا يتناقض مع ما سبق فقال في الصفحتين ٧٦ و ٧٨ من المرجع نفسه عن اقتناء الكلمة Logos الانسانية في شخصه prosopon الخاص.

ان الاتحاد في النسطورية خارجي ادبي.

يبقى على استقلال الطبيعتين.

ويجعل الخلاص مفقوداً وتأليه الطبيعة البشرية معدوماً. فلا معنى للتجسد ان لم تكن ثمرته خلاصنا واتحادنا بالله بصورة نصير معها آلهة بفضل النعمة الالهية.

(١) كتاب هيراقليد: ص ١٤٦.

الفصل الثالث

الاقنوم

١ ــ لفظة شخص في العربية

لقد تعرضنا مراراً في هذا الكتاب لموضوع الاقنوم فقطعنا شوطا نحوَ ماسيأتي.

وقبل الدخول في صلب الموضوع، فلا ارى بأساً من ان اتكلم قليلاً عن المصطلحات العربية في هذا الباب.

الدكتور محمد عزيز حبابي طرق الموضوع في كتابيه «من الكائن الى الوجود»[1] و «الشخصانية الاسلامية»[2]. ونوه بالفوضى في المصطلحات. في اللغة العربية ٣ الفاظ: «الذات، الوجه، الشخص». الحبابي يرى ان «الذات» تنطبق على الشخص والشيء. يوسف خياط يذكر ان «الذات» تطلق على الله بدلا من «الشخص». في ترجمة كتاب غارديه شيء من ذلك. خياط في معجمه الكبير «لسان العرب المحيط» نقل معاني لفظة شخص في المعاجم القديمة. هي فوضى. الحبابي يقول: «شخص الشيء: برز وظهر؛ بدا (يقال للاشباح)، نظر بالحاح؛ تمثل، وضح، اوحى بفكرة عن...» (ص ١٤).

(١) من الكائن الى الوجود، ص ٨٣ ــ ١٠٧.

(٢) الشخصانية الاسلامية، ص ١٤ ــ ٢٣.

خياط قال : «الشخص الذات الواعيّة لكيانها (المستقلة في ارائها) الحرة في تصرفاتها ، واذا اطلق على الله قيل : الذات»(١) .

الكتبة المسيحيون العرب والكتب الطقسية استعملوا لفظتي «وجه» و «ذات».

لويس غارديه يقبل لفظة «شخص» كما قبلها الحبابي وسواه بالشروط التالية : «... فنصطلح هنا على تعريبها «بالشخص» ، بعد اسقاط ما تبدو عليه هذه اللفظة العربية من انحصار في المعنى الحسي والكمّي ، وتقيدٍ بأطر الزمان والمكان»(٢). واللفظة المعنية هي الاقنوم.

في النتيجة نرى لدى حبابي ، ان العربية كاللاتينية لم تكن تحوي المعاني الحديثة لمفهوم الشخص. ومر معنا ان اليونانية هي كذلك. فالعجز اللغوي قائم. بقي على اللاهوتيين ان يخترقوا جدار الصوت وينحتوا الالفاظ للمعاني الجديدة التي اتى بها الوحي المسيحي. فتجشّمت المشقة اجيال من آباء الكنيسة الناطقين باليونانية في شرقنا القديم. فتلقفها عنهم العالم المسيحي.

٢ــ الاقنوم في اللاهوت المسيحي

ان هذا الفصل هو اعسر فصول هذا الكتاب قاطبة. وتحتاج مطالعته الى حسن تدبر وصبر جميل بايمان حي. وهو لا يستوعب البحث بتمامه. فاجزاء منه انضوت تحت فصول اخرى بلغة اسلس من اسلوبي الحقوقي الشديد هنا العائد للعامين ١٩٦٥ و ١٩٦٦.

لذلك ارجو المطالع الكريم ان يستفيد من الفهرس التفصيلي ليجمع شتات الموضوع متى شاء ان يتمكن من الموضوع.

---

(١) معجم المصطلحات العلمية والفنية. ص ٣٤٩.

(٢) غارديه. فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية. الترجمة العربية. المجلد ٢ ص ٢٩٤.

ان كلمة اقنوم سريانية وترجمة لكلمة hypostasis اليونانيه المؤلفه من لفظتين hypo (تحت) و stasis (الوضع). فمعناها الحرفي هو الوضع تحت. وقد وردت لدى ارسطو ولكن لا بالمعنى الفلسفي[١] بل العامي. فاستعمل كلمة kath'hypostasin «بحسب الاقنوم» بمعنى «واقعيا، حقيقة»[٢]، وكلمة اقنوم بمعنى «ترثب ثقيل»[٣] فهي تعني في اللغة «القائم حقيقة»، «القوام».

واستعملها الرواقيون كمرادف ل «ماهية» ousia[٤].

واستعملها افلوطين بشأن ثالوثه: الواحد والعقل والنفس، ووردت لديه بمعنى «الشكل الخاص»[٥]. ولكن نظريات افلوطين بعيدة بعداً كبيرا عن المفاهيم المسيحية هنا.

ووردت في مواضع عديدة من الترجمة السبعينية اليونانية للعهد القديم وفي العهد الجديد. فوردت في الرسالة الثانية الى كورنثوس وفي العبرانيين بمعنى «جوهر او حقيقة»[٦] وبمعنى «ضمانة، كفالة»[٧].

وقد استعملها آباء الكنيسة قبل مجمع نيقية وبعده.

وهي ذات معانٍ عديدة. وترد كمرادف لكلمة «ماهية» ousia. الا ان فارقا اصليا يميزهما. فكلاهما يحددان وجوداً موضوعياً جوهريا، يحددان ما هو موجود، ما هو قائم.

(١) سقراط: التاريخ الكنسي. الكتاب ٣: ٧ مين ٦٧: ٣٩٥.

(٢) العالم ٤: ٢٥.

(٣) الفضاء: الكتاب ٢ فصل ٢: ١٤

(٤) تيكسيرون: المجلد ٢ ص ٣٦.

(٥) التاسوعية الخامسة. الكتاب الاول. الفصل ٧.

(٦) عبرانيين ١: ٣

(٧) ٢ كورنثوس ٩: ٤ و١١: ١٧ وعبرانيين ٣: ١٤ و١١: ١

ولكن «الماهية» **ousia** تميل بالاحرى الى ان تعني العلاقات والمميزات الداخلية او الواقع الميتافيزيكي، بينما يشير «الاقنوم» الى الطابع الواقعي الخارجي للجوهر.

وقد طرحت البدعة الاريوسية مشكلة الثالوث بصورة قاسية فكان على آباء الكنيسة ان يوضحوا العقيدة. واستعمل المجمع الاول المسكوني الكلمتين كمترادفين. وبقي استعمالها كمرادفين تقريباً والواحدة عوضا عن الاخرى حتى حوالي سنة ٣٦٢ — ٣٧٠. فحتى اثناسيوس الكبير يستعملها كمرادفين[١] ولعب تحديد معاني الالفاظ دوراً في المشادات. ففريق اعطى كلمة «اقنوم» معناها الحالي وفريق اعطاها معنى «الجوهر»، فتولى اثناسيوس الكبير عام ٣٦٢ تبديد الخلاف وتوضيح الاتفاق في صلب العقيدة: جوهر واحد للثالوث في ثلاثة اقانيم شخصية متساوية في الجوهر.

وكان الغرب يستعمل لفظة «شخص» **prosopon** للاقانيم فاشتبه الشرق في الامر لان مقابلها اليوناني يعني الوجه والقناع والدور في التمثيل المسرحي.

فاقر غوريغوريوس اللاهوتي الاتفاق في المفهوم لدى الشرق والغرب واستعمل كلمة شخص كمرادف لكلمة «اقنوم»[٢] وتوضح الامر نهائياً في عام ٣٨٢ في انطاكية[٣] ثم اقر المجمع الرابع المسكوني (عام ٤٥١) المرادفة بين اللفظتين[٤].

فقد كانت اللغة اليونانية والفلسفة اليونانية عاجزتين عن اداء المعاني التي اتى بها الوحي المسيحي في عقيدة التثليث. فارسطو استعمل كثيرا كلمة «ماهية» **ousia**. وفرّق في مقولاته بين «الماهيات الاولى» و«الماهيات الثانية». فالاولى

---

(١) مين ٢٥ : ٤٦٥ و٢٦ : ١٠٣٦.

(٢) الميمر ٣٩ : ١١ مين ٣٦ : ٣٤٥ — ٣٤٦ والميمر ٤٢ : ١٦ مين ٣٦ : ٤٧٦ — ٤٧٧ واستعملها ايضا غوريغوريوس النيسي، مين ٤٥ : ١٧٧، ١٨٠ والتعليم المسيحي : ٣٩.

(٣) ثيوريتوس، التاريخ الكنسي، الكتاب ٥ : ٩ مين ٨٢ : ١٢١٢ — ١٢١٧.

(٤) ان اوريجانوس هو اول من اطلق عبارة ٣ اقانيم على الثالوث (على يوحنا ٢ : ٦ مين ١٤ : ١٢٨ و٦ : ١٧

تعني القوامات الفردية، الافراد القائمون. والثانيات «الجواهر»، لا كفكرة مجردة بل كواقع جوهري موجود في الفرد. ومثل على الاولى: «هذا الرجل، هذا الحصان»، وعلى الثانية: «الانسان والحيوان».

ولكن هذا لا يوصلنا الى المفاهيم المسيحية ولا الى الايمان بالاقانيم كاشخاص. فمفهوم الشخص دخل الفكر عن طريق المسيحية بينما غلبت فلسفة «الماهيات» و«العموميات» في الفكر اليوناني. وان كان ارسطو قد ذكر الفرد الا ان ذلك يبقى بعيداً جداً عن: ١ — مفهوم الشخص و ٢ — عن مفهوم وحدة الجوهر في الاقانيم الثلاثة.

فمفهوم الفرد عنده قابل لان ينطبق على الانسان والحيوان والاشياء، فاين الشخص اذاً؟.

وبما ان الكائن الموجود واقعيا هو وحده موجود فمفهوم وحدة الجوهر بين الاقانيم دون انقسام الجوهر او تعدده غائب ايضا لدى ارسطو.

وهذا ما تولى الاباء الكبادوكيون (باسيليوس الكبير وغوريغوريوس اللاهوتي وغوريغوريوس النيصصي) سد فراغه. ثم زاد الامر وضوحا لاونديوس الاورشليمي في القرن السادس في باب التجسد.

كان على اباء الكنيسة ان يعبروا بصورة لا لبس فيها عن ايماننا:

اله واحد هو الاب والابن والروح القدس. ليس الثلاثة وجوها او اسماء للواحد. وليس الواحد وحدة عددية مجردة.

← مين ١٤: ٢٥٧ وعلى اشعياء ١: ٤ و ٤: ١). واستعمل كلمة «اقنوم» في مواضع اخرى عديدة. كما انه استعمل كلمة «شخص» (مين ١٤: ٣٦٩). واستعمل ايبوليتوس الروماني كلمة شخص prosopon للاب والابن (ضد نويتس: ٧ و ١٤ مين ١٠: ٨١٣، ٨٨٤). اما في اللاهوت اللاتيني فان ترتيليانوس هو الذي استعمل لفظة شخص persona للاقانيم (ضد براكسياس ١١ — ١٣، ١٥، ١٨، ٢١، ٢٤، ٢٧، ٣١. مين اللاتيني ٢: ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨ — ١٦٩، ١٧٣ — ١٧٥، ١٧٧ — ١٧٩، ١٧٩ — ١٨٨، ١٨٦ — ١٨٧، ١٩٠ — ١٩٢، ١٩٦.

الاب اله قائم بذاته والابن اله قائم بذاته والروح القدس اله قائم بذاته. ولكنهم ليسوا ٣ آلهة بل الهاً واحداً غير منقسم.

القول بعدم الوهية الابن والروح يزيل التثليث. والقول بان الثلاثة ٣ الهة منقسمين سقوط في الوثنية. فكيف يمكن اذاً التعبير عن الواحد في ثلاثة، عن ١ = ٣؟

ان المجمع المسكوني الاول استعمل للإبن كلمة «مساوٍ للاب في الجوهر» اي انه والاب من جوهر واحد homoousios . ولكنه ليس الاب بل له مميزاته الخاصة به.

وهنا برز دور الاباء الكبادوكيين في التفريق بين الجوهر الواحد المشترك بين الاب والابن والروح القدس وبين اشخاص الثالوث. فعلم الكبادوكيون ما نؤمن به حتى اليوم، وهو: ان الالوهية واحدة قائمة بتمامها في الاب والابن والروح القدس بدون ان تكون منقسمة بينهم او مركبة او متعددة. واطلقوا على الجوهر الواحد اسم ousia او physis «طبيعة»[1]، وعلى القوام الشخصي اسم اقنوم.

وفي هذا لا نقول الها اولا والها ثانيا والها ثالثاً. فدائماً في الثالوث، الواحد= ٣. وليس العدد كما في الحساب، فالله غير قابل للزيادة. «بل نعترف بفردية الاقانيم

(١) ان الكبادوكيين استعملوا ousia (باسيليوس، مين ٢٩ : ٥٢٠ و٥٢٩ و٥٤٠ و٥٥٢ و٥٦٨ و٥٨٠ و٥٨٨ و٥٨٩) وغوريغوريوس اللاهوتي، مين ٣٦ : ١٤٥، ١٦٤، ٤٧٧ — غوريغوريوس النيسي مين ٤٥ : ٦٠٤). ولكنهم يؤثرون عليها كلمة «طبيعة» physis . فكانوا يحاربون بدعة افنوميوس الذي زعم ان الله كلي البساطة وقابل بالتمام لان يكون معقولا ومدركا (باسيليوس الرسالة ٢٣٥ وسقراط، التاريخ الكنسي ٤ : ٧). فجعلوا ال ousia الكائن الصميمي لله، الغير المقترب منه وغير المدرك، والطبيعة physis الصفات. والاقنوم hypostasis لكيفيات الشخصية (باسيليوس، ضد افنوميوس ١ : ١٠، ١٣ - ١٤ مين ٢٩ : ٥٣٣، ٥٤١، ٥٤٤ — ٥٤٥ والرسالة ٣٨ : ٢ مين ٣٢ : ٣٢٥).

دون قسمة الطبيعة الى جمع » . فليس العدد ٣ ، كمية بل يعبر عن الترتيب الذي لا يوصف في الالوهة[١] .

فبحق قال غوريغوريوس اللاهوتي : « واحد هم الثلاثة بالألوهة والواحد هو ثلاثة بالشخصيات »[٢] ، ومكسيموس المعترف ان الله هو « بصورة متعادلة وحدة وثالوث »[٣] .

وتتميز الاقانيم : الاب بالابوة والابن بالبنوة والروح القدس بالانبثاق . وما سوى ذلك فكل شيء مشترك : كائنهم واحد ، جوهرهم واحد ، ربوبيتهم واحدة ، سلطتهم واحدة ، فعلهم واحد .

ولا وجود مجرد للالوهة انما هي قائمة فعلا في الاقانيم ولا وجود لها خارجاً عنهم . فان ذكرنا الله خطر لذهننا الثالوث ، وان ذكرنا الثالوث خطر لذهننا الله . قال غوريغوريوس اللاهوتي : « حينما اتكلم عن الله عليكم ان تشعروا انكم مغمورون بنور واحد و٣ انوار » (الميمر ٣٩ : ٢٢ مين ٣٦ : ٣٤٥) وقال ايضاً : « عندما اسمي الله اسمي الاب والابن والروح القدس » (الميمر ٣٩ : ٤ في مين ٣٦ : ٦٢٨) . فالاقانيم هي الحقيقة الواقعية للالوهة ، « متحدين في التميز ومتميزين في الوحدة »[٤] . فكل ما لأحدهما هو للاخرين ما عدا الابوة والبنوة والانبثاق فهذه غير مشتركة[٥] .

---

(١) باسيليوس ، في الروح القدس ٤٥ ، مين ٣٢ : ١٤٩ ولوسكي ص ٤٧ (اللاهوت الصوفي) .

(٢) غوريغوريوس ، الميمر ٣١ : ٩ مين ٣٦ : ١٤٤ .

(٣) مكسيموس ، مين ٩٠ : ١١٢٥ .

(٤) باسيليوس ، الرسالة ٣٨ : ٤ وغوريغوريوس اللاهوتي ، الميمر ٢٣ : ٨ .

(٥) غوريغوريوس اللاهوتي ، الميمر ٣١ : ٩ مين ٣٦ : ١٤٤ والدمشقي ١ : ٨ ، مين ٩٤ : ٨٢٨ .

والجوهر الواحد المشترك هو ركيزة الوحدانية الالهية وسكنى كل من الاقانيم في الآخر بدون اختلاط او انقسام، في محبة تفوق كل عقل ووصف. كل منهم حاضر للآخر [١].

وليست ولادة الابن وانبثاق الروح حادثاً عرضياً وقع في الزمن.

الولادة والانبثاق سرمديان اي ان الابن مثلا لم يلد من الآب منذ كذا سنوات وانما هو دائماً مولود وصادر منه ومتحد به كشعاع سرمدي صادر سرمداً من النور البهي. والاب منتشر ومتمدد في الروح والابن واليه معادهما [٢]. وهو منبع الوحدة والالوهية في الثالوث.

يمنح الابن والروح طبيعته التي تبقى واحدة وغير متجزئة وغير مقسومة ومعادلة لنفسها في الثلاثة.

هذا مع العلم ان كيفية ولادة الابن هي غير كيفية انبثاق الروح القدس وان كنا عاجزين عن فهم هذا السر العميق (اللاهوتي والذهبي و...)

٣ — ما هو الاقنوم

سبق ان قلنا ان كلمة اقنوم مرادفة في الاصل لكلمة «جوهر». ولكن اباء الكنيسة طوّروا معنى كلمة «اقنوم». قال ثيوذوريتوس اسقف قورش: «في الفلسفة الدنيوية لا يوجد اي فرق بين ال ousia والاقنوم. لان ال ousia تعني ما هو والاقنوم يعني ما هو قائم. ولكن بحسب رأي الاباء، يوجد بين ال ousia والاقنوم الفرق نفسه الموجود بين العام والخاص» [٣]

وقد عرف الدمشقي «الجوهر» ousia بما يلي: «ان الجوهر هو الشيء الموجود بذاته وغير المحتاج الى شيء اخر لأجل تخثره. أو ايضا الجوهر هو كل ما هو قائم بذاته ولا يحوي كائنه في آخر. فهو اذا ما ليس لاخر، ما ليس له الوجود في اخر، ما لا حاجة له الى اخر من اجل تخثّره ولكن ما هو بذاته وفيه يحوي العرض، الوجود» [٤]

(١) الدمشقي، الايمان ١ : ٨، مين ٩٤ : ٨٢٨ — ٨٢٩

(٢) غوريغوريوس، الميمر ٤٢، مين ٣٦ : ٤٧٦

(٣) الحوار ١ في مين ٨٣ : ٣٣.

(٤) الدياليكتيا ٣٩ مين ٩٤ : ٦٠٥

وعرف الاقنوم : «ان لكلمة اقنوم معنيين. فتارة تعني الوجود فقط ، وبحسب هذا المعنى الجوهر ousia والاقنوم مترادفان. ولهذا قال بعض الاباء : الجواهر او الاقانيم. وتارة يعني ما هو موجود بذاته وفي تخثره الذاتي. وبحسب هذا المعنى ، يعني الفرد المختلف عدديا عن كل آخر كبطرس وبولس وهذا الحصان مثلاً» [1]، «الاقنوم هو الخاص القائم بحسب ذاته : انه جوهر مع اعراضه يتمتع بوجود مستقل ذاتي ومنفصل عن الاقانيم الاخرى بالقوة وفعليا» [2].

وعرف الشخص : «الشخص هو الذات التي تظهر نفسها بافعالها وخواصها كمتميزة عن الكائنين الاخرين الذين لهم نفس الطبيعة» [3].

فالدمشقي يؤكد اذاً على الوجود الذاتي والمنفصل [4] والمستقل للاقنوم.

فالجوهر واحد في الاقانيم.

ولكن لكل اقنوم وجود ذاتي مستقل خاص به يميزه عن الآخرين. له فرديته واستقلاله ووحدته.

هو يحوي الجوهر والخواص الاقنومية او الشخصية.

فالجوهر هو العام والاقنوم هو الخاص. وليس خاصا بمعنى انه يملك قسما من الجوهر وليس له الباقي. انما هو خاص بمعنى عددي ، بما انه فردي.

فالفرق بين الاقانيم يكمن في العدد لا في الجوهر. «فيستحيل تأليف مركب مع اقانيم كاملة. فالجنس لا يتألف من اقانيم بل هو موجود في الاقانيم».

فليس للجوهر وجود مستقل بينما للاقنوم بظهره في كل من الاقانيم.

---

(١) الدياليكتيكا : ٤٢ مين ٩٤ : ٦١٢.

(٢) مين ٩٥ : ١٣٢ — ١٣٣ — وايضا ٩٤ : ١٤٣٩.

(٣) دياليكتيكا : ٥٢ مين ٩٤ : ٦١٢.

(٤) دياليكتيكا : ٦٦ مين ٩٤ : ٦٦٨ — ٦٦٩

وتتميز الاقانيم بعدم الانتقال. فالطبيعة مشتركة بين افراد الجنس ولو نظريا. اما الاقنوم فخاص بصاحبه لا ينتقل الى الغير ولا يشترك معه الغير في خواصه الاقنومية المميزة[1].

وقد شرح باسيليوس العلاقة والفرق بين الاقنوم والجوهر[2]. فاعطى مثلا الانسان[3] وافراد الناس كبطرس وبولس وسلوانس. «فالانسان» عام قابل ان ينطبق على عدد لا يحصي من افراد البشر. اما بطرس او بولس او سلوانس فخاص. فلا بد من «علامة تمييز نستطيع بواسطتها ان نفهم لا الانسان بصورة عامة بل بطرس او يوحنا بصورة خاصة». فبطرس ويوحنا خاص فلا امتداد اذاً الى ما هو عام في الطبيعة.

فاذا ارذنا تحقيقاً عن جوهر البشرية فلا نعطي في امر بطرس تعريفا للجوهر وتعريفا اخر في امر بولس وتعريفا ثالثا في امر سلوانس. فالكلمات نفسها تستعمل في الحالات الثلاث لان لهم جوهراً واحداً.

ولكن بعد ان يعرف المحقق «ما هو مشترك ويلتفت الى الخواص الفارقة التي بواسطتها يميّز الواحد من الاخر، فلا يتقابل تعريف كل منهما مع تعريف الاخر في جميع المميزات وان وجد اتفاق في بعض النقاط».

فما يقال «بصورة خاصة وذاتية يشار اليه باسم اقنوم. افترض اننا نقول «رجل». فالطبيعة معينة ولكن من يقوم موجوداً ومن هو معين بصورة خاصة وذاتية

---

(1) الدمشقي، الايمان ١ : ٨ و٣ : ٦.

(2) الرسالة ٣٨ : ٢ — ٥ (مرسلة الى اخيه غوريغوريوس النيسي) — وايضا ضد افنوميوس ١ : ١٠ و٢ : ٢٨ و٤ : ١ وما يليه مين ٢٩ : ٥٣٣، ٦٣٦٠ — ٦٣٧، ٦٨٩ وما يليها.

(3) ان اخاه غوريغوريوس يستنبط صفات الاقنوم ذهابا من الانسان ايضا. ولا غرابة فهو صورة الله وهو وحده شخص في الكون لا فرد فقط (التعليم المسيحي : ١ — ٢).

ليس واضحا. وافترض اننا نقول «بولس». اننا نعلن بذلك الطبيعة القائمة الموجودة التي يشير اليها الاسم».

وتابع قائلا: «ليس الاقنوم المفهوم غير المحدد للجوهر الذي لا يجد اي مقر ثابت بسبب عمومية الشيء المعني، ولكن هو ما يقيد ويحصر المشترك وغير المحدد، في كائن ما، وذلك بخاصيات ظاهرة».

ويتابع باسيليوس في الرسالة نفسها استنباط المميزات والخواص الذاتية والصفات والظروف التي تحدد الطابع الفردي للانسان وتفصله عن الفكرة العامة والمشتركة ولا تدخل في تحديد الطبيعة. ثم يقول: «انقل الى العقائد الالهية نمط التفريق نفسه الذي تقره في حالة الجوهر والاقنوم في المسائل البشرية، فلا تنحو نحوا ضالاً».

فهناك ما هو مشترك في الثالوث وما هو مميز. «فالمشترك يعود للجوهر؛ والاقنوم هو العلامة الفارقة المميزة».

وقال في الرسالة ٢٣٦:.

«ان التمييز بين الجوهر ousia والاقنوم هو عين ما بين العام والخاص؛ كما هو مثلا بين الحيوان والانسان الخاص... فان لم يكن لنا ادراك متميز للخواص الفارقة اي الابوة والبنوة والتقديس ولكن ألّفنا مفهومنا عن الله من فكرة الوجود العامة، فلا نستطيع ان نعطي تقريراً سليما عن ايماننا، فعلينا اذاً ان نعترف بالايمان باضافة الخاص الى المشترك. فالالوهة مشتركة؛ الابوة خاصة. فعلينا اذا ان نمزج الاثنين ونقول: «اومن بالاله الاب، ... اومن بالاله الابن، ...» وهكذا نجد حماية مرضية للوحدة باعترافنا بالوهة واحدة بينما في تمييز الخواص الفردية الملاحظة في كل واحد (من الاقانيم) يوجد الاعتراف بالخواص الخاصة للاقانيم» (١)

ويظهر اخوه غوريغوريوس النيصصي استقلال الاقنوم وعفويته وقيامه بذاته

(١) الرسالة ٢٣٦ : ٦ مين ٣٢ : ٨٨٤.

وتحركه من ذاته وتمتعه بالعقل والارادة والفعل الدائم والقدرة الكلية وتميز كل اقنوم عن الآخر.

ويقول عن الإبن كلمة الله ان له «حياة مستقلة وليس اشتراكاً بسيطاً في الحياة»[٢].

ويؤكد ان الجوهر الالهي لا ينقسم ولا يتوزع بين الاقانيم بصورة يكون فيها ٣ جواهر كما هناك ٣ اشخاص[٣].

اما غوريغوريوس اللاهوتي فقال: «يعبدون الاب والابن والروح القدس الالوهة الواحدة؛ الله الاب والله الابن والله الروح القدس طبيعة physis واحدة في ثلاث خاصيات عاقلة، تامة، قائمة بنفسها kath'eautas، متميزة بالعدد ولكن غير متميزة بالالوهة»[٣].

وحينما علق على قول الرب لموسى: «انا هو الكائن»[٤]، قال: «ان (الله) يجمع ويحوي في ذاته كل الكائن اذ ليس له ابتداء في الماضي او نهاية في المستقبل... متعاليا عن كل مفهوم زمن وطبيعة»[٥].

وردد ديونيسيوس المنحول هذا قائلاً: «حينما كان الله يناجي موسى لم يقل: انا الماهية بل: «انا الكائن». هو العلة الجوهرية لكل وجود وصانع الكائن والقوام والماهية والجوهر»[٦].

فالاباء الكبادوكيون الحُّوا على الوجود الشخصي للاقانيم الذين هم الحقائق الواقعية للالوهة. هم حاملو الالوهة.

---

(١) التعليم المسيحي. فصل ١ — ٢ — وايضا مين ٤٥ : ١٨٤

(٢) مين ٤٥ : ١٧٧ و١٨٠.

(٣) الميمر ٣٣ : ١٦ مين ٣٦ : ٢٣٦.

(٤) خروج ٣ : ١٤.

(٥) الميمر ٤٥ : ٣ في مين ٣٦ : ٦٢٥

(٦) الاسماء الالهية ٥ : ٤ في مين ٣ : ٨١٧.

فلا وجود للالوهة خارج الاقانيم ، بل هي موجودة فيهم . للشخص الالهي وجود مستقل ، هو مصدر للطبيعة لا منتوجها ولا اشراقها او اشعاعها الداخلي . انه شخص **الاله الحي** الذي يمتلك كيفية وجود وحيدة . فظهر الله لموسى «ككائن» موجود شخصي لا كماهية . وعبر عن ذلك باكثر جلاء غوريغوريوس بالاماس قائلاً : «حينما كان الله يناجي موسى لم يقل : انا الماهية بل انا «الكائن» .

فليس اذاً «الكائن» هو الذي يصدر من الماهية بل الماهية هي التي تصدر من «الكائن» ، لان «الكائن» يشمل في ذاته الكائن الموجود برمته» ، «ان الكنه l'entité يسبق لا الماهية فقط بل جميع الكائنات لأنه الوجود الاول» «فالماهية هي بالضرورة كائن ولكن الكائن ليس بالضرورة ماهية»[(١)]

وهكذا لم يقر بالاماس معادلة كل الكائن مع الماهية . لذا يمكن لله ان يظهر في كينونته نفسها مع بقائه غير قابل لان يساهم في جوهره . فالله غير مقترب منه جوهريا ولكنه حاضر وجوديا بقدرته الكلية في الكون المخلوق[(٢)] .

المجمع المسكوني السادس وما تلاه حتى بالاماس ، قررا وجود فعل وقوى لله كشرط اساسي لوجود الماهية . فتبقى كل ماهية تجريداً ان لم تعتلن واقعياً ووجوديا في الفعل . الله يظهر لانه يفعل[(٣)] .

في هذا كله يبرز الحاح الارثوذكسية على الناحية الشخصية في الله . وسبق ان ذكرنا ان الاب يختص بالابوة والابن بالبنوة والروح بالانبثاق وان كلا منهم يقيم في الآخر وحاضر للاخر . كل منهم شفّاف للآخر ولا احد منهم يحجب الاخر بل يسكن فيه ويحبه حبا يفوق كل حد ووصف .

---

(١) عن مايندورف : ص ٢٩٢ .

(٢) مايندورف : ص ٢٩٣ . ان مايندورف يبرز في الصفحات ٢٨٩ — ٣١٠ الموقف الشخصاني والوجودي للاهوت الارثوذكسي بخلاف ميتافيزيكا الماهيات اليونانية . ويقول في الصفحة ٣١٠ : «الميتافيزيكا الشخصانية والوجودية personnaliste et existentielle التي ورثها بالاماس من الكتاب المقدس والآباء» .

(٣) باسيليوس الكبير ، الرسالة ١٨٩ : ٧٦ — مكسيموس المعترف ، مين ٩١ : ٩٦ و ٢٠٠ و ٢٠٥ و ٣٤٠ وبالاماس عن مايندورف : ص ٢٩١ .

ولكن ما هي العلاقة بين الاقانيم؟ نقول ان الابن مولود من الاب هذا يعين «كيفية قيام»[١] اقنوم الابن ، ولكن لا يستنفد حقيقة شخصه. فالشخص غير قابل لان يتموضع inobjectivable ، ولان يستنفد ، ولان يتبدل بابسط منه.

لذا فالحقيقة الشخصية تتجاوز الامر الانتولوجي (علم الكائن) ، وتضحي ما وراء الانتولوجي méta-ontologique . فمفهوما «الطبيعة» و«الكائن» لا يحدّانها ولا يحيطان بها لانها ابعد من هذا كله وتعني فرادة originalité مطلقة وفارقاً صرفاً.

فالشخص هو «من» لا «ما» ، ليس بشيء او موضوع. ليس موضوعا لنعرفه ونحدده. لذلك يشار اليه اشارة ولا يعرف ويحدد حتى انه ليس موضوع معرفة.

فالزمان الشخصي ، حيث كل انتولوجيا محتواة ومحددة ، يؤلف «ما وراء انتولوجيا». فسر الشخص خارج افق الانتولوجيا.

ويرى اللاهوتي الارثوذكسي المعاصر فلاديمير لوسكي وبردياييف الفيلسوف الروسي ان «صورة الله هي الانسان كشخص»[٢].

فهذا الافق الجديد في اللاهوت والانثروبولوجيا (علم الانسان) كسر طوق الفلسفة اليونانية القديمة التي ركزت على الماهية والعقل والفرد والمنطق والشيء العام[٣]. لذلك فالمسيحية هي بحق ، مؤسسة الفلسفة الشخصانية بالمعنى الحديث للموضوع[٤].

---

(١) الدمشقي ١ : ٨ مين ٩٤ : ٨٢٨ و٨٣٧.

(٢) لوسكي : ص ٥٢ و١١٤ — ١٢٣ واوليفيه كليمان : ص ١٥٢ — ١٧٤. بردياييف : ٥ تاملات في الوجود : ص ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٨٠.

(٣) بردياييف : ص ١٨١ ومونييه . الشخصانية : ص ١٠ — ١٦.

(٤) لوسكي : ص ٥٢. اي مثقف اطلع على الشخصانيين المعاصرين يستطيع بعد مطالعة هذا الكتاب ان يدرك مدى تخلفهم عن آباء الكنيسة الملهمين الملع مفكري تاريخ العالم ومنيري ظلامه الحالي.

قال اوليفيه كليمان : «لا يمكن اطلاقا ان يتحدد الشخص البشري ، كما تفعل السكولاستيك الغربية ، بالوظيفتين العليين لطبيعته ، العقل والارادة : انه يتعالى transcende عن الروح والنفس والجسد معا . فلا يوجد اذاً كما يخلص لوسكي الى القول اي «تساوٍ في الطبيعة» connaturalité بين الالهي والعقلي ، بين الجوهر الالهي والارواح والملائكة والبشرية ، ولكن معرفة الله هي لقاء من شخص الى شخص حيث «يعرف الله نفسه للانسان برمته بدون التمكن من التكلم عن رؤية هي حسية بالمعنى الحقيقي او عقلية بالمعنى الحقيقي»[1] ... لا تحويل الحسي الى العقلي ولا تصيير الروحي ماديا بل اتحاد communion الانسان التام مع غير المخلوق ، اتحاد يفترض اتحاد الشخص البشري مع الله «فوق كل معرفة» ، «فوق العقل» noûs (باليونانية) ، بتجاوز كل محدودية لطبيعة مخلوقة»[2] . ويقول كليمان صراحة : «ان الوحي الثالوثي يقيم على سر mystère الشخص كل الانثروبولوجيا (علم الانسان) المسيحية لان الانسان هو «على صورة الله»[3] . ويعنون الفصل كله : «سر الشخص "Le mystère de la Personne"»[4] . والتكلم عن الشخص كسرّ يرفع البحث الى مستوى اعلى من اي تحليل عقلي او نفسي . فهذه الوجودية الشخصانية الارثوذكسية الآبائية تسمو بدرجات فوق درجات على ما قاله الوجوديون والشخصانيون المعاصرون .

وان كان هذا البحث لا يتسع لمقابلة الفلسفة الشخصانية المعاصرة[5] مع ما سبق ، الا ان بعض الاقتباسات لا تؤذي الموضوع وخاصة اذا كانت من بردياييف الاستاذ سابقا في معهد اللاهوت الارثوذكسي بباريس وان كان يتكلم كفيلسوف مسيحي لا كلاهوتي .

---

(١) لوسكي : رؤية الله ، فصل ٩ ص ١٤ .

(٢) لوسكي : رؤية الله ، فصل ٩ ص ١٥ ومقال كليمان ص ١٦٦ — ١٦٧ .

(٣) ص ١٥٩ . (٤) ص ١٥٢ .

(٥) لمؤسسها عمانوئيل مونييه Mounier . فوجهها غير لاهوتي . ولكنها فكر مسيحي متأثر بآباء الكنيسة اليونان وثائر على السكولاستيك الغربية . ولكن تأثره بالاب تيلاردي شاردان يجعل بعض عباراته عن الشخص والطبيعة دون فخامة تعبير الاباء .

انه يؤكد بقوة على ان الشخص ليس جزءاً من كل بل هو كل un tout (١) ، ويؤكد ايضا على اصليته وامتيازه(٢) ويرفض معادلة الفرد بالشخص (٣) ومعادلة الشخص بالطبيعة والجوهر(٤) ويزيد قائلاً : «ان الشخص يتميز عن كل نوع من الخاص والجزئي وذلك بفعل كونه قابلا لان يتضمن محتوى جامعاً un continu universel » (٥) وايضاً : «ان الشخص كائن على حدة ، ذو فرادة original ولا يشبه أياً آخر» (٦).

٤ — اقنوم يسوع كلمة الله المتجسد

لما اشتدت وطأة الخلافات بعد مجمع نيقية ، كان من حظ ابولليناريوس اسقف لاذقية سوريا ان حرف الانظار الى الحديث عن اتحاد الطبيعتين في يسوع المسيح ، فشحذ اللاهوتيون قرائحهم . فقد تنبه ابوليناريوس الى ان وجود انسان تام بدون شخص او اقنوم مستحيل فبتر الطبيعة البشرية في يسوع وقال انها بلا روح ، رداً على مدرسة انطاكية . فاكدت بشدة على استقلال الطبيعتين وتماميتها. فاغرق ثيودورس اسقف المصيصة ونسطوريوس في ذلك حتى صار الاتحاد سطحياً اذ يستحيل الالتصاق التام بين قنومين.فتوهمت النسطورية «شخص اتحاد» يحقق نوعاً من الإلفة . وشعر الارثوذكس بشيء مماثل ولكن الخلاص لا يتم الا في وحدة الابن يسوع فالحّوا على الوحدة وثنائية الطبيعتين. واكد المجمع الخلقيدوني وجود اقنوم او شخص واحد في يسوع ونوه بوجود طبيعتين فيه ولكنه حدد شكل الاتحاد بعبارات

---

(١) خمس تأملات : ١٦٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ولوسكي : ٢٤١

(٢) خمس تاملات : ١٧٥ .

(٣) خمس تأملات : ١٦٥

(٤) خمس تأملات : ١٦٦ و١٦٨

(٥) خمس تأملات : ١٧٩

(٦) خمس تأملات : ١٧٥

سلبية لا ايجابية. قال انهما متحدتان بلا اختلاط وبلا... ولكن ما هو هذا الاتحاد وكيف تم وو...؟ اسئلة بلا جواب.

اغلق الأمر على كثيرين من الارثوذكس فوقفوا كما وقف النساطرة والمجمع الخلقيدوني امام مشكلتي وجود طبيعة بلا اقنوم شخصي واتحاد الطبيعتين، فجزموا بوحدة الاقنوم والطبيعة مع التأكيد على تمامية اللاهوت والناسوت في الاقنوم الواحد، فظنوا انهم حلوا المعضلة بذلك وأبقوا على متانة اتحاد الطبيعتين في يسوع. ونشب الخلاف الى يومنا هذا دون مبرر صحيح. فالخلاف لفظي لا اساسي.

المشكلة هي اننا امام اله وانسان متحدين بدون اختلاط. فكيف يمكن انقاذ الوحدة مع التمييز كما مرّ معنا ذلك في سرّ التثليث حيث كنا امام واحد=ثلاثة، دون زوال الوحدة او الثالوثية؟

فقد اتى التفسير الواضح من لاونديوس الاورشليمي في الجيل السادس للميلاد. فاستند الى الآباء الكبادوكيين للتأكيد على استقلال الاقنوم وفرديته وقيامه بذاته الا انه أوضح خاصيّة اخرى له الا وهي عدم انتقاله. فالانسان مركّب من نفس وجسد والنفس كاملة كنفس والجسد كامل كجسد ولكل منهما جوهره المتميز عن الآخر، ولكنهما يؤلفان الطبيعة البشرية التي نشاهدها في افراد الجنس البشري والتي انتقلت الى الافراد بالتناسل. فالطبيعة البشرية موجودة في كل فرد ولكل فرد شخص خاص به يميزه عن سائر الاشخاص، لا يشاركه فيه احد وهو مميزه الصحيح ولا ينتقل منه الى احد.

وفي الرب يسوع اتحد الاله والانسان بصورة خاصة تفوق الافهام فلم يؤلفا طبيعة واحدة خاصة يمكن تناقلها. لسنا أمام «لاهوت—ناسوت» هو قابل للانتقال كما هو الحال مع الطبيعة البشرية حيث «جسد—روح» الفا طبيعة بشرية يتناقلها الناس. وهكذا نكون امام خاصية جديدة للاقنوم ألا وهي عدم التناقل والانتقال. فاتحاد اللاهوت بالناسوت امر فوق الافهام، نسجد له بخشوع وايمان، تم في اقنوم إبن الله. فقد اتخذ طبيعة بشرية لا اقنوم لها والا اضحت شخصاً بشرياً يستحيل هدم شخصيته الا بهدم كيانه الذاتي. والاتحاد بين شخصين اتحاد خارجي غير عميق

فلا يتم الخلاص به ولا يكون يسوع المسيح قد فتح باب الاتحاد بالله الا للشخص الذي اتخذه. اما اذا قلنا انه اتخذ طبيعة بشرية فان الاتحاد ينفتح امام افراد الجنس البشري جميعاً.

ولكنه لم يبقِ الطبيعة البشرية دون اقنوم اذ صار اقنومه الالهي اقنوماً لها أي انّه قنّمَها فهي مقنّمة به. فهناك حل وسط بين الكينونة بلا اقنوم anhypostatos وبين الكينونة اقنوماً، ألا وهو الكينونة مقنَّما enhypostatos. وهذا ما تم للطبيعة البشرية في يسوع. فهذا الحلّ الموفّق يقرّ بوجود طبيعتين كاملتين في يسوع وبوحدة الاقنوم وباتحاد الطبيعتين اتحاداً وثيقاً عميقاً جداً لا وهن فيه ابداً. فأقنوم ابن الله هو اقنوم للطبيعتين بدون ان يتجزأ أو يطرأ عليه تغيير. الطبيعتان موجودتان في الاقنوم الواحد. يسوع واحد، رب واحد، ابن واحد، كلمة الهي واحد متأنس. لذا فالجسد هو جسد ابن الله. فسبحان الذي لبّس طبيعتنا ليسربلنا مجد لاهوته ويختصنا لنفسه نسلاً مقدّساً في الروح القدس والحمد لله الاب الذي رحمنا بابنه يسوع المسيح.

الخاتمة

يا ابن الله

يا ابن الله الآب وكلمته وحكمته الازلي القائم في حضنة سرمدياً ، المولود منه سرمدياً ، بدون ان يكون هناك زمان لولادتك ، لأنك أنت المولود على الدوام. أنت بالأمسِ مولود وغداً والى أبد الآبدين. فأنت فوق الزمان والمكان.

يا ابن الله المولود دوماً بدون جري[1] ودون ان يعتري الآب نقص أو تبديل[2]. انك تلد من الاب ولكنك لا تنفصل منه بل تبقى في حضنه ، إذ أنت

(٢) اثناسيوس ، مين ٢٥ : ٢٠٤ و٤٤١ و٢٩ : ٧٢— ٧٣ وسواها ، باسيليوس ، ضد افنوميوس ٢ : ٤ — ٦ و٢٣ ؛ غوريغوريوس اللاهوتي الخطبة ٢٨ : ٢٢— الآباء نزهوا الالوهة وولادة الابن عن الامور التي تحدث في الطبيعة. واستعملوا لفظة «عدم الجري» (تترجمها كتبنا الطقسية «عدم سيلان») للدلالة كما قال اثناسيوس في الموضع الاول هنا على ولادة الابن بدون انفصال لا كما يخرج الجدول جاريا الى خارج الينبوع. فيسوع باقٍ في الينبوع خلافاً للجدول.

(٢) اللفظة اليونانية pathos تحتمل عدة معانٍ منها «ألم» ، «هوى» ، «تبدل». يبقى على القارىء او المترجم ان يفهم المعنى المقصود منها او من مشتقاتها. الخطأ الشائع هو ترجمتها غالباً ترجمة حرفية بلفظة «الم» او «وجع». استدراكها «صروف» احياناً في ترجمته الجديدة لكتاب المعزي ، فترجمها احيانا بلفظة «هوى» حيث المعنى كذلك.

الترجمة البروتستانية ترجمت pathos في كولوسي ٣ : ٥ ب «ألم» حرفيا بدلا من «هوى». والمعنى في نصّي هو معنى لاهوتي — فلسفي للفظة. الامر واضح جدا لدى غوريغوريوس اللاهوتي (الخطبة ٢٩ : ٤ و٦) وحتى لدى باسيليوس (في البدء كان الكلمة ، ص ١٥ و١٦ ومن الترجمة العربية) وكذلك لدى اثناسيوس (مين ٢٥ : ٤٤١)

والآب واحد لا تتميزان إلا بالولادة والابوّة، كما ان الروح القدس يتميّز بالانبثاق. وما عدا ذلك فجوهركم واحد وفعلكم واحد وكل شيء مشترك بينكم.

فأنتَ، يا ابن الله، يا صاحب هذا المجد الذي لا يوصف، اتيت بمسرة الآب الأزلي وفعل الروح القدس الى الارض لتلبس انساننا الذي هوى الى الجحيم لكي ترفعنا الى مقامك الشريف. لقد صرت انساناً غير عادي. ولكن كيف؟ لا بالاستعلاء بل بالارتفاع على الصليب بين اللصوص بعد ان آثر الناس عليك قاطع الطرق برباس. فعلتَ كل هذا لكي ترفعني من المزبلة، لكي تخرجني من جحيم الخطايا الى مشاهدة نور طلعتك البهية. ولكني فشلت في الخروج لأني ما زلت غارقاً في لجج هذا العمر الفاسد. فلا تعاملني اذاً كما أنا بل عاملني كما هيَ رحمة ذبيحة الصليب. بها رُشَّ ضميري بدمِ الطهارة لكي استقبلك في قلبي زائراً أبديّاً.

ولا تنسَ ابداً شعبك الذي هو كنيستك المقدّسة. فافتقده كل حين بالقداسة والارشاد وحسن العناية والرعاية حتى يمتلىء من حضرتك. آمين!

ايّها الروح القدس

ايها الروح القدس المنبثق من الآب ، الساكن في الآب والابن الساكنين فيك بلا امتزاج ولا انفصال ،

أيّها الموجود مع الآب والابن في كل مكان مالئاً الكل من حضرتك ، ايها الواحد الأحَد مع الآب والابن ، الهاً احداً في ثلاثة اقانيم تامة ،

ايّها الآتي الينا من لدن الآب بواسطة الابن الوحيد لتكون معنا كما كان يسوع مع تلاميذه بالأحرى لتكون فينا ، لتكون ملئنا ، تملأ عقولنا رشداً ، وقلبَنا طهارة ، وحياتَنا قداسة ، وسلوكَنا برّاً ، ومناهجَنا استقامة ، وعواطفَنا ايماناً ومحبّة ولطفاً وحناناً ، وثنايانا رجاءً حاراً بالجلوس عن ميامن الابن الوحيد في يوم مجيئه المجيد مع الملائكة القديسين ،

يا من بالمعموديّة[1] زرعْتَ يسوع فينا وجعلتنا اعضاء جسده ومنحتنا نعمة الصيرورة ابناء الله — لا بالطبيعة كما هو يسوع بل بالنعمة — وألّهتنا فصيّرتنا آلهة بالنعمة ، بما أنك إله قادر على كل شيء ،

يا من بِلاهوتك أشركتنا في الألوهة وجعلتنا شركاء الطبيعة الالهية ،

---

(١) ٢ بط ١ : ٤ ، اثناسيوس مين ٢٦ : ٥٨٥ — ٥٨٨ وغوريغوريوس اللاهوتي (الخطبة ٢٩ : ٢٨).

تنفصلْ عنّا بسبب خطايانا بل اشفع فينا على الدوام لدى الآب القدوس لكي يفيض علينا غنى مراحمه لنعبده ، لا باللسان الغاش والمظاهر الكاذبة ، بل في هيكلِنا القدوسِ الحقِّ يسوع ، ناطقين بما توحيه الينا من صلوات بارة ، لتكون عابدين حقيقيين للآب في الروح والحق ، فيك أيّها الروح وفي يسوع الذي هو الحقّ . فدرّبْنا وأرشدنا وقُدْنا في مناهج الخلاص بجودتك وصلاحك الى أقصى النهاية . آمين ! ثم آمين ثم آمين الى يوم ظهور الرب ، آمين !

السماء والأرض تزولان
ولكن كلامي لا يزول

كلمة المسيح حسب البشير مرقس
الاصحاح ١٣ : ٣١

ملحق عن الاجتماعات
بين الأرثوذكس واليعاقبة

١ ـــ تعليقات على الأبحاث

نوّهنا بالاجتماعات التي عقدها الارثوذكس الخلقيدونيون والارثوذكس غير الخلقيدونيين (اليعاقبة). وفي الاعلان الذي يسرد بعد قليل تنويه بتاريخ حلقات الاجتماعات.

ولكن أهمّ هذه الحلقات الندوات المعقودة في الاعوام ١٩٦٤ و١٩٦٧ و ١٩٧٠ و١٩٧١ و١٩٧٢ إذ انعقدت فيها أبحاث لاهوتيّة هامة وصدرت عنها اعلانات لاهوتيّة ايجابيّة.

لا أستطيع ان أعطي صورة كاملة عن المفاوضات لأنّي لم أعثر الآن إلّا على نصوص ١٩٦٤ و١٩٦٧ في «المجلّة اللاهوتيّة الأرثوذكسيّة اليونانيّة (المجلّد ١٠ العدد ٢ لعام ١٩٦٤ ـــ ٦٥ والمجلّد ١٣ العدد ٢ لعام ١٩٦٨ ـــ انكليزية) وترجمة اعلان ١٩٧٠ الفرنسية (في مجلة الشرق الأدنى المسيحي، المجلّد ٢١ العدد ١ لعام ١٩٧١) وإعلان ١٩٧٢ العربي والانكليزي الصادر عن الاجتماع المنعقد في دير سيدة البلمند (الكورة، لبنان الشمالي) من ١ الى ٥ آذار (مارس) ١٩٧٢. تأليف الكتاب كان مرهقاً بسبب الكتب. فلم يكن لديّ سوى خلاصات أنشأتها عن بعض الكتب الهامة التي لا أملكها. ومصنفاتي ومكتبتي موزعة بين عدة أمكنة خلافاً لما كان عليه الأمر في اللاذقية من تنضيد وترتيب واجتماع في كتلة واحدة تسهل النبش والمراجعة.

لا شك ان هذه اللقاءات كانت مفيدة جداً وساعدت على التعارف وتبادل الآراء وتقريب وجهات النظر والوصول الى اعلانات تضع الفريقين على طريق الوحدة المرتقبة.

لا أودّ اعطاء ملخّص كامل عن الابحاث. فهي تدور حول نقاط طرقتها في متن الكتاب بصورة أطول إجمالاً. وإنما لي بعض الملاحظات الضرورية.

١ ـ الأستاذ جورج فلوروفسكي ذهب الى ان ابوليناريوس كان ذا نظرة متشائمة عن الكائن البشري تقول بأن الروح nous رديء الى حد انه لا يستطيع ان يكون انسانياً. هذا يخالف ما قلته عن ابوليناريوس مستنداً الى معاصره العظيم غريغوريوس اللاهوتي الذي كان مكسيموس المعترف يطلق عليه لقب «المعلم». غريغوريوس اعتبر الأمر ضلالاً فلسفياً استند الى ارسطو.

ولكن مايندورف أنصفه فاعتبره اول من استعمل لفظة «اقنوم» في الخريستولوجيا. وقد اعتمد على مقال ريشار الذي ذكرناه في القسم الأول.

٢ ـ الأستاذ يوحنا كرميريس اعتبر اللغات الشرقية عثرة اذ لم تستطعْ ترجمة الألفاظ اليونانية اللاهوتية. فردّ عليه رئيس الأساقفة تيران فتراجع (المجلة اللاهوتية، المجلّد، العدد ٢، ص ٦١ و٧٦). ومع هذا أعاد الكرّة تقريباً في مقال (مجلة الشرق الأدنى المسيحي، المجلّد ١٥ العدد ٢ ـ ٣ لعام ١٩٦٥ ص ٢٢٩). وقال مثل ذلك دمسكينوس (المجلة اللاهوتية، المجلّد ١٣ ص ١٩٥).

٣ ـ أمّا الأستاذ يوحنا مايندورف فقد قال ـ كما ذكرنا في المتن ـ ان المتخاصمين كانوا يتصارعون في اللغة اليونانية. وفي لقاء ١٩٦٤ أجاد إذ نوّه بأنّ روما هي التي صمدت بعد خلقيدونيا في الخلقيدونية. وأنه في الشرق صمد النحاة البيزنطيون أهمهم هو يوحنا النحوي الكيليكي السوري. ولكن ذلك يحتاج الى تصحيح. لقد أهمل هكذا دور الرهبان البيسانيين (من جليل فلسطين) كما أهمل أفرام الآمدي الذي استنجد بالبابا اغابيتوس، فحركه، فكان البابا رجل خلقيدونيا الجديد بدلاً من سلفه لاون[1]. وأهمل الشعب الصامد في خلقيدونيته. ارنست

1-, Sellers, The Council of Chalcedon, p. 305-312...
الا ان هذا المؤلف لا يفرق بين لاونديوس البيزنطي ولاونديوس الاورشليمي. الاخير ويوحنا البيساني من كبار الذين انتصر لاهوتهم في المجمع الخامس. وفي كتاب Chalkedon البحث مطروق مطولا.

شتاين — الذي في هذا استندت إليه في المتن دون سواه — بدا لي أكثر من الجميع تجاوزا للتقيد بحرفية اقوال المؤرخين. فذهب الى ان بلادنا بقيت معقلاً للخلقيدونيّة. وكنت في المتن قد رددت أيضاً على رأي مماثل آخر لمايندورف نفسه. ومع تأييدي له في امتداح خلقيدونيّة روما فلا أويّد ما جاء في اللقاء نفسه لدى رومانيدس من محاولة انقاص اهمية البابا لاون في خلقيدونيا. فالمقارنة فيها بينه وبين كيرلس ما كانت للاخضاع بل لاعلان وحدة الايمان بينهما. ولما برز البابا المذكور اغابيتوس الى الساحة دخل المعمعة كرجل التمسك بخلقيدونيا وطومس. لاون (أي كتابه الى فلافيانوس القسطنطيني). وجاء تدخل البابا اغابيتوس في ظروف القرن السادس الاشدّ دقّةً وخطراً.

٤ — وفي الصفحتين ١٨ — ١٩ يبدو ان مايندورف استند الى كتاب جوزيف لوبون في المونوفيزيتيّة السويرية (١٩٠٩). فهذا المؤلف الأخير نفسه عدل افكاره في كتاب Chalkedon في الأول ذهب الى ان سويروس اخذ لفظة «جوهر» بمعنى أرسطوي مجرّد. الا انه في الثاني ذهب الى انه تأثّر بباسيليوس وذهب الى النهاية في التحاليل. وقال ان باسيليوس تأثر بالافلاطونية الجديدة ذات الواقعية الدقيقة. واستعمل سويروس لفظة genos «عرق، جنس، نوع» كمرادف لجوهر ousia (المجلّد ١ : ص ٤٥٨ وحاشية ١٩ وص ٤٥٩ — ٤٦٠). ولدى الجماعة في الخريستولوجيا تترادف الألفاظ «اقنوم»، «طبيعة»، «شخص» وتعني الواقع الملموس، الفردي، الموجود على حدة وبوجوده الخاص (ص ٤٦٠ و٤٦١ والمونوفيزية السويرية ٢٤٢ — ٢٧٤).

وقد استعمل الجماعة ليسوع الألفاظ القائلة انه مساوٍ للآب في اللاهوت ولنا في الناسوت. فهذا لم يكن مرفوضاً ابداً لديهم (المجلّد ١ : ٤٣٣ — ٤٤٠).

وهناك تفاصيل اخرى في الصفحات ٤٥٥ — ٤٥٧.

وقد ذكرت في المتن الصعوبة التي كان يشكو منها سويروس. كان يطالب مخلصاً

بأن نعلن بأننا لا نفصل بين اللاهوت والناسوت وان خلقيدونية ما أرادت التميز الواقعي (المجلّد ١ : ٥٨٠ الحاشية ٦ وفي اليوناني ٨٦ : ١٨٤١)[1].

٥ — أما رومانيديس فقد ارتكب شططاً كبيراً في حديثه. فانه أقدم على توجيه الاتهام الى ثيوذوريتوس القورشي على نطاق واسع بأنه كان نسطورياً مبطناً (المجلة اللاهوتية المجلّد ١٠ العدد ٢ ص ٨٢—١٠٢). وعاد الى الساحة في نقاش حديث الاستاذ الياس تسنيفسكي في العام ١٩٦٧ (المجلة نفسها، المجلّد ١٣ العدد ٢ ص ١٨٠—١٨١). ويخالف عامة المؤلفين الذين يرون في ثيوذوريتوس منشىء رسالة المصالحة المعقودة في العام ٤٣٣ مع كيرللس الاسكندري. ويعطي أهميّة أكبر ليوحنا اسقف انطاكية متهماً خليفته دومنوس بأنه كان أكثر تأثراً بثيوذوريتوس.

ان رسائل ثيوذوريتوس ونشاطه التعليمي الكبير وبلوغ مؤلفاته العدد ٣٥ (على ما قال هو نفسه) لا تفسح مجالاً لاتهام انسان مثله لا يسكت ابداً عن هرطقة. وقد اعتبر عدم سكوته دليلاً على صراحة موقفه (الرسالة ١٤٦ في طبعة الـSources Ch. ص ١٧٧ انظر أيضاً الرسائل ١٦ و٨٣ و١١٣).

وثيوذوريتوس هو اللاهوتي الفحل في شرقنا الذي وقف وراء يوحنا الانطاكي وخليفته دومنوس. وهو الذي واجه كيرللس ندا للند يتقارعان حتى التقيا في صلح وتفاهم وتبادل رسائل ومؤلفات (الرسالة ٨٣ الى ديوسقوروس[2]): مجمع أفسس لعام ٤٤٩ برئاسة ديوسقوروس الاسكندري برّأ ساحة اوطيخا ودان فلافيانوس القسطنطينية وثيوذوريتوس وافسافيوس اسقف دوريليوم (بطل اثارة الحرب ضد نسطوريوس) وأسقط في الختام دومنوس انطاكية. وصعد وكيل

(١) جيل اللاهوتيين كان رجال فكر لاهوتي متمسكين بحرفية اقوال كيرللس. ولكنهم اوضحوا اكثر منه نظريته في اختصاص اللاهوت لنفسه بالناسوت الذي ضمه اليه. (المونوفيزيتية السويرية، ص ٤١١ — ٤١٢). وقد شهد لهم لوبون بحسن النية في الصفحة ٥٨٠ المذكورة في المتن وفي الصفحتين ٥٠٦ و٥٢٣ من هذا ذاكراً بالاسم تيموثاوس الهر وفيلوكسينوس وسويروس. وهذا ما لم يذكره مايندورف او سواه من طرفنا.

(٢) دلل مرسيل ريشار في مقال على هذه الصداقة.
'Théodoret, Jean d'Antioche et...; MSR3, 1946 p 154.

ديوسقوروس ، أناتوليوس على عرش اسقفية القسطنطينية. فلم يبق في الشرق فحل صامد لا تزعزعه الرياح سوى ثيوذوريتوس. ولم يسلم لاون روما نفسه من الطعن.

٦ـــ أما لجهة انشاء رسالة المصالحة فان ثيوذوريتوس ذكر صراحةً في رسالته الى دومنوس انطاكية انه هو الذي انشأها (الرسالة ١١٢ المجلّد ٣ ص ٥١ من طبعة Sources Ch.). وهكذا يسقط زعم رومانيدس المستند الى مقارنة احدى رسائل ثيوذوريتوس مع رسالة المصالحة ليدلل انه لم يورد نصّها برمته فاستنتج انه لا يؤمن بها.

٧ـــ ويذهب رومانيدس أيضاً الى ان ثيوذوريتوس لم يكن يؤمن بأنّ «المسيح» هو ابن الله بل شخص اتحاد، كالنسطوريين. وهذا مرفوض ١٠٠ ٪. فالرسالة ١٤٧ (في الطبعة الفرنسية المذكورة) بحث لاهوتي رائع لاثبات ان المسيح هو ابن الله. وهو على هذا في الرسائل ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ١٠٤ وهو يرفض رفضاً قاطعاً تقسيم شخص يسوع الى ابنين. فهو يؤمن بقوة بوحدة يسوع هنا وفي الرسائل ١١٣ ، ١٤٤ (١٤٥) و١٤٥ (١٤٦) وو...

والرسالة ٦٠ تهنئة لديوسقوروس. والرسالة ٨٣ تنبيه له لكي لا يدير سمعه للوشاة، وعرض صادق لايمانه بوحدة يسوع وطبيعتيه وأمومة العذراء لله.

٨ـــ وهو يؤمن بشخص واحد هو شخص الابن الوحيد الذي ارتدى طبيعتنا الخاصة (الرسالة ١٤٦ ، المجلّد ٣ ص ١٩٩) ويرفض وجود شخصين (الرسالة ١٠٤ ص ٢٧).

ولكن ما هو الوضع الحقيقي لثيوذوريتوس؟

أـــ ان صراعه مع كيرللس ساعد الطرفين على تعميق تفكيرهما اللاهوتي. فكانا واضعي حجر الزاوية للسير اللاهوتي نحو خلقيدونيا.

بـــ رسائله تدل على وجود صراع داخلي في الكرسي الانطاكي. وقد ذكرنا انه صراع مزمن منذ آلاف السنين حتى اليوم.

ج — تدل أيضاً على ان نفراً من الناس برعوا في فنّ الوشايات قد تعاطوا التحريض والدسّ والافتراء عليه لدى ديوسقوروس وفي العاصمة القسطنطينية. وفي احدى الرسائل يتحدّث عن قوم من المداهنين المتملقين الذين تلونوا مثل ابي براقش وانقلبوا عليه (الرسائل ٦٠ و٨٣ و٨٤ و٨٥ و٨٦ و٨٨ الى ٩٥ و١٤٦ وسواها...).

وفي الرسالة ١١٣ يذكر ان اثنين من مُعتنقي الابوليناريّة دسّوا وافتروا عليه لدى ديوسقوروس فصدّقهم هذا وحرمه (ص ٦٣).

٩ — وأما لجهة الموقف في خلقيدونيا تجاه ثيوذوريتوس فان وضعه وهيباس الرها كان يحتاج الى معالجة خاصة. فبعد ان منعه الامبراطور من المجيء الى افسس في العام ٤٤٩ وصدرَ الحكم عليه اشتكى الى لاون روما وطلب منه الرأي (الرسالة ١١٣). فخلعه احتاج الى الغاء. وهذا ما ذهل عنه رومانيديس فاعتبر الشكوك حائمة حوله في خلقيدونيا. في المتن عالجت امر التحزب السوري الذي اخَّر تحريمه لنسطوريوس.

١٠ — وذكر رومانيدس أيضاً ان العبارة «في طبيعتين» وردت من الغرب. وفي المتن ذكرنا انها وردت مراراً لدى غريغوريوس اللاهوتي.

١١ — ولا أقصد ابداً الانقاص من قدر رومانيديس. فهو لاهوتي ضليع. وفي لقاءات ١٩٦٤ و١٩٦٧ دلّل على فهم وطرح مسألتيْ الروحانية والتألُّه كبندين رئيسين في الخريستولوجيا. إلا أن حماسه الديني يتجاوز الحد، فيرتكب الغلو ويفتش عن كبش محرقة هو تارة اوغسطين وتارة اخرى ثيوذوريتوس وو...

١٢ — وكملاحظة اخيرة ذهب الى ان سويروس الانطاكي هو اول من قال بان التفريق بين الطبيعتين بعد الاتحاد مستحيل الا في الفكر والنظر العقلي. فردّ عليه الدكتور خيلّا بأن تيموثاوس الهر وبطرس الايبيري وغيرهما قالوا بذلك. فاعلن رومانيدس سروره بذلك وزاد انه لم يعثر في محاضر مجمع ٤٤٩ على ما يشير الى ان ديوسقوروس كان يستطيع ان يقبل بذلك (ص ٨٣ و١٠٥ و١٠٦ من المجلة

اللاهوتية ، المجلّد ١٠ ، العدد ٢) . وفي المتن اثبتنا ان وجهة النظر هذه كانت مقبولة ايام كيرللس لدى مناظريه ايضاً .

١٣ — ولكي تكتمل الصورة اود ان أذكر ان المطران جورج خضر قد حضر اجتماع جنيف في صيف ١٩٧٠ . ولكن ليس لديّ العدد الذي ضمّ الابحاث . وانما لدي مقاله الصادر في العام ١٩٧١ في مطبوعة عنوانها « مسكونيات » بالفرنسية مسحوبة على الحرير . طرق الموضوع في الصفحة ٩ . بدلاً من المجمع الرابع يذكر ان المجمع الثالث هو الذي دان عقيدة الطبيعة الواحدة . ويشير ان التقارب نشأ في القرن الماضي . ولكن له تاريخ طويل كما جاء في المتن . الدمشقي ادرك بعمق ان رفضهم خلقيدونية هو العقبة الكبرى بينما ايمانهم صحيح (الهرطقات ٨٣ في مين ٩٤ : ٧٤١) . ويذكر جورج ان لاهوتييهم ما زالوا يرفضون الحديث عن مشيئتين . ولكن سيأتي بعد قليل ان اعلان ١٩٧٠ اتى على ذكر ذلك بنص واضح قاطع . وقد تفهموا رأينا في « الطبيعة » . ونوّه ايضاً بان نصوصهم الليتورجية تتكلم عن « الطبيعة » بالمعنى الوارد في خلقيدونية تماماً . وقد رأينا أعلاه ان مفهومهم عن « الطبيعة » و« الاقنوم » و« الشخص » يختلف عن مفهومنا . وعالجنا الامر مطوّلاً في المتن[1] . لقد نحتنا في خلقيدونيا معنىً جديداً للطبيعة الغى اللبس والابهام .

٢ — اعلان ١٩٧٢

أ — ملاحظات عامة

١٤ — اعلان ١٩٧٢ لا يؤلف ذروة الاعلانات . اجودها هو نص ١٩٧٠ الذي طرق علاوة على نص ١٩٧٢ : اولاً — مسألة الاتحاد الاقنومي في اقنوم الكلمة

(١) في مقالات ١٩٦٥ ناقشت بعض الاراء السريانية والقبطية . ابقيت في المتن عليها . ولكني في العام ١٩٧٩ لم اتعرض للذين كتبوا في شرقنا مقالات أو كراسات تتصل بمواضيع هذا الكتاب . وانما تعرضت هنا للمطران جورج لانه حضر لقاء ١٩٧٠ . فلو تعرضت لها لجرحت كبرياء البعض .

الالهي الوحيد (الاقنوم هو الوحيد). ثانياً — مسألة اختلاف المصطلحات في هذه النقطة. وقد عالجناها في المتن وفي حاشيتنا اعلاه على ملاحظاتنا على مايندورف. نحن نستعمل لفظة تقنيم. كيرللس استعمل لفظة تعني ان اللاهوت اختص لنفسه بالناسوت idiopoièsis باليونانية وappropriation بالفرنسية والانكليزية (راجع المتن والمونوفيزيتية السويرية ص ٤١١ — ٤١٢). وقد نوّهنا بذلك. ثالثاً — مسألة المشيئة والفعل البشريين. فقد اعترف البند ٣ من التصريح بهما وباتحادهما مع مثيليهما الالهيين بدون تضادّ بين الفئتين اتحاداً لا يشوبه انقسام او امتزاج. وذكر البند ما جاء لدي في المتن لجهة كون الفاعل والمريد هو الاقنوم الوحيد للكلمة المتجسّد. فهذا هو تعليمنا الآبائي على ما ذكرت في المتن (ص ٣٨ و ٣٩ الشرق الادنى المسيحي، المجلّد ٢١ العدد ١ لعام ١٩٧١).

١٥ — لن انشر هنا كل المطبوعة الصادرة عن لقاء البلمند، ولا كل الاعلان. ما يهمني بالدرجة الأولى هو المسائل اللاهوتية. لذلك سأكتفي هنا من البيان بالقسم الخاص «بالوحدة الشرقية» دون سواه. وقد اكتفيت بالنص العربي دون مقابلته مع النص الانكليزي لأن النص العربي رسمي. وقد استبدلت فيه لفظة «مثلّث» (اله واحد مثلث الأقانيم) بلفظة «ثالوثي» الادق لغوياً ولاهوتياً. فهو ثالوث لا مثلث. من ثلّثه وهو باري الجميع؟

وكملاحظة أخيرة ألفتُ الأنظار الى مقارنة هذا الملحق بما قلته في المقدمة عن اجتماع فيينا بين الكاثوليك واليعاقبة[1].

(١) راجع ٣٠ مراجع.

ب ـ بيان لقاء ١٩٧٢ في البلمند

بيان الى رؤساء الكنائس الارثوذكسية

الوحدة الشرقيّة

لقد اجتمعنا ، نحن الموقعين على هذه الوثيقة ، ممثلين رسميين موفدين من قبل بطريركيتنا ورياستنا الدينية للتعبير عن رغبة كنائسنا ، اكليروسا وشعباً ، في تحقيق الوحدة المسيحية المسكونية التي ظللنا نصلي من أجلها طويلاً ، منذ حدث الانشقاق بيننا ، ونتمم بذلك رغبة رب الكنيسة في ان يكون المؤمنون به رعية واحدة وان تكون وحدتهم كاملة على شبه وحدة الثالوث القدوس : « ليكون الجميع واحداً ... ليعلم العالم انك ارسلتني » .

اننا نشكر الله على ان الكنائس الشرقية التي ظلّت منقسمة الى عائلتين متباعدتين طوال خمسة عشر قرناً ، قد سارت مؤخراً اشواطاً بعيدة في سبيل التقارب وأضحت تتلمّس سبل وحدتها الفعلية لمواجهة العصر وتحدياته ولتحقيق رسالتها الابدية في خلاص النفوس . إن رؤساء كنائسنا يشعرون ان لهم دوراً خاصاً في هذا السعي العام نحو الوحدة فالخلاف الذي ادّى الى الانشقاق قد بدأ في بلادنا وفي كنائسنا بالذات ، وان هذا الانشقاق ما زال جرحاً اليماً يدمي جسد كنائسنا وواقعاً يتحسّسه أبناؤنا اذ يتعايشون في بلاد واحدة يفصل بينهم جدار روحي يشوّه وجه الرسالة التي يحملونها في الشرق الأوسط والعالم العربي .

لقد انطلقنا في أبحاثنا من الدراسات والجهود السالفة لإبراز الوحدة الشرقية وإزالة وصمة الانقسام ، ومنها اللقاءات التي تمت حتى الآن في السنوات القليلة الأخيرة ، في ألرهوس عام ١٩٦٤ ، وبرستول عام ١٩٦٧ ، وجنيف عام ١٩٧٠

وأديس أبابا عام ١٩٧١ ، ومنها تصريحات البطريركية المسكونية في حزيران (يونيو) عام ١٩٦٥ ، وقرارات مؤتمر الكنائس الارثوذكسية في شامبزي في حزيران (يونية) عام ١٩٦٨ وأديس ابابا في آب (اغسطس) عام ١٩٧١ —ومنها قرارات رؤساء الكنائس الارثوذكسية الشرقية في اديس ابابا في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٦٥ ، ووثيقة قداسة البطريرك مار اغناطيوس يعقوب الثالث المنشورة في مجلة النور عام ١٩٥٧ . هذه كلها وسواها ساهمت في نضوج الوعي بأهمية الوحدة بين عائلتي الكنائس الشرقية التي يجمع بينها تراث عميق ضخم من حقائق الايمان الارثوذكسي . واننا لمؤمنون أن الروح القدس هو الذي يدفع قلوب المسيحيين جميعاً الى طلب الوحدة ويرشد الى تحقيقها .

والآن ، ونحن ننظر الى واقع الكنيسة في حاضرها ، ونتطلّع الى مسؤولياتنا إزاء ايماننا وإزاء الاجيال التالية ، بنظرة مستقبلية ، نريد ان نبني على أساس الجهود السابقة ، ونؤكدها ونتابعها ، خصوصاً وان اجتماعنا هذا يمثل خطوة جديدة في مضمار الاتحاد ، ذلك اننا هنا نتحرك بايمان منا جميعاً ، وبتكليف رسمي من بطريركيتنا ورئاستنا الدينية التي باتت اليوم أكثر من اي وقت مضى ، تدفع تيار الوحدة بجهد دؤوب ، وايمان جار فعال نحو اليوم العظيم الذي تعود فيه العائلتان الى وحدتهما السابقة على صعيد عالمي .

لقد تأكّد لنا ، بعد التدقيق في العوامل التي باعدت بيننا ، ان العوامل غير اللاهوتية ومنها التاريخيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والسياسيّة قد فعلت فعلها الى جانب العوامل اللاهوتيّة واللفظيّة إلا أنّه بعد خمسة عشر قرناً من القطيعة من ناحية ، وبعد الحوار والدرس والتقارب من ناحية اخرى ، وبعد ان زالت عوامل متعددة غير لاهوتية للتفرقة ، نجد انفسنا اليوم في موقف جديد ، وفهم جديد ، ونفوس اكثر صفاء ، واقوى رغبة في تحطيم كل حاجز في سبيل الوحدة المسيحية بحيث صار في امكاننا مراجعة المسائل العقائدية التي فصلت بيننا ، بروح المحبة والسلام .

وبعد البحث والتداول ، اتفقنا كممثلين رسميين عن كنائسنا ، على ان وجهات النظر التي أبداها اللاهوتيون المجتمعون في أآرهوس وبرستول وجنيف وأديس أبابا

هي أمينة الامانة لايمان كنائسنا. لذلك يسرنا اننا نتبنى النتائج التي توصّل إليها اللاهوتيون من ان للكنائس التقليدية الخلقيدونية وغير الخلقيدونية ايماناً واحداً بالرب يسوع.

نحن جميعاً نردّد قانون ايمان واحد، مقرين ومعترفين بإله واحد ثالوثي الاقانيم، ونحن جميعاً نؤمن بلاهوت الابن الوحيد. الاقنوم الثاني من الثالوث القدوس، كلمة الله وبهائه ورسم جوهره، الذي تجسّد من أجلنا متخذاً لنفسه جسداً حقيقياً ذا نفس ناطقة عاقلة، وصار مشاركاً ايانا انسانيتنا في كل شيء ما عدا الخطيئة. ونحن جميعاً نؤمن بأن ربنا والهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح هو إله تام من حيث لاهوته وهو انسان تام من حيث ناسوته، وان فيه اتّحد اللاهوت بالناسوت اتحاداً حقيقياً كاملاً بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا تحول ولا انفصال ولا انقسام، وانه وهو الاله الازلي الابدي غير المنظور قد صار منظوراً في الجسد، اخذا صورة عبد، فهو كامل في لاهوته وكامل ايضاً في ناسوته. وفي شخصه المبارك اجتمعت كل خصائص اللاهوت وكل خصائص الناسوت معاً، باتحاد لا يعبر عنه، اتحاد بغير افتراق.

ونحن جميعاً نؤمن بأن الروح القدس ينبثق من الآب وانه ينقل إلينا النعم الالهية والمواهب الربانية من خلال اسرار الكنيسة وهي: المعمودية، والميرون، والافخارستيا، والتوبة، ومسحة المرضى، والزيجة والكهنوت.

ونحن جميعاً نطوّب العذراء أمّ النور مريم ونؤمن ببتوليتها الدائمة، وباستحقاقها لقب والدة الاله، وبشفاعتها وكرامتها التي تعلو بها على مراتب الملائكة كلّها.

ونحن جميعاً لنا فهم واحد للكنيسة وأسرارها ونظامها الرسولي ووحدتها ودور مجامعها، بل ولنا روحانيتنا المعبر عنها في مفهوم واحد للطقوس (الذبيحة والقداس الالهي)، التي هي جوهر عبادتنا الجماعية وسرّ شركتنا مع المسيح ومع الكنيسة، وفي مفهوم واحد لاصوامنا واعيادنا وصلواتنا لإكرام الايقونات، واحترام ذخائر القديسين، والاستشفاع بالملائكة والقديسين الاحياء منهم والراقدين.

هؤلاء يؤلفون سحابة من الشهود في الكنيسة ، وهم ونحن ننتظر ، في رجاء ، مجيء الرب واستعلان مجده ليدين الاحياء والموتى

اننا تحقّقنا ان هذا كله يجمعنا وانه يشكل اساساً متيناً لاعلان الوحدة الايمانية بيننا . لذلك نرفع بياننا هذا الى الرئاسات الروحية التي أوفدتنا الى هذا الاجتماع ونضعه بين ايدي اللجان الرسمية ذات الاختصاص المنبثقة عن كنائسنا ، ويقيننا ان ما ينقصنا الآن هو اتفاق هذه اللجان على صيغة رسمية تعبر عن ايماناً الخريستولوجي المشترك ، فيلي ذلك اعلان الوحدة الايمانية والعقائدية بنطق رسمي صريح من الكنائس واعادة الشركة في سرّ المائدة الربّانيّة الواحدة وسائر الأسرار المقدّسة ، لان اعلان الايمان الواحد يتبعه اعلان شعب المسيح الواحد المشترك في اسرار خلاصية واحدة . وفي شركة هذه الاسرار وبالمحبة المحيِّية النابعة من جنب السيد ، وبقوة الروح القدس الخلّاقة ، وبممارسة الشهادة الواحدة والخدمة الواحدة والحياة المشتركة تحل كل القضايا التي قد تبقى معلقة .

وبموجب الاعلان الرسمي الصريح ، يصير اهمال جميع المعطلات واسقاط كل اسباب الفرقة والتباعد ، واستبعاد كل عبارة مسيئة وكل لعن ، وكل شائبة تكدر عمل الوحدة الحقيقية ، ويصير التعاون الفعال في كافة المجالات والنشاطات الروحية والرعوية ، ويتمّ تطبيقياً وعملياً قول مار بولس الرسول « فأنواع مواهب موجودة ، ولكن الروح واحد . وأنواع خدم موجودة ، ولكن الرب واحد وأنواع اعمال موجودة ، ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل » وقوله « لأنه كما في الجسد هو واحد ، وله أعضاء كثيرة ، وكل اعضاء الجسد الواحد اذا كانت كثيرة هي جسد واحد ، كذلك المسيح أيضاً لأننا جميعنا بروح واحد ايضاً اعتمدنا الى جسد واحد ... وجميعنا سقينا روحاً واحداً . فان الجسد ايضاً ليس عضواً واحداً بل اعضاء كثيرة ... وأمّا أنتم فجسد المسيح واعضاؤه افراداً (كورنثوس الأولى ١٢ : ٤ — ٢٧) .

إننا إذ نتمّم عملنا ، نشعر بفرح ورعدة اننا في بداية فجر جديد في تاريخ الكنيسة واننا اذ نشكر الله على افتقاده شعبه ، نتعاهد على متابعة الجهد المشترك بلا كلل حتى ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح المنير .

اقتراحات للتوعية في الكنائس الشرقية :

١) نشر نتائج وبيانات الاجتماعات السابقة بين لاهوتيي كنائسنا **اعني أرهوس وبرستول وجنيف واديس ابابا ، وكذلك الوثائق والرسائل والبيانات المشتركة التي صدرت في مناسبات تبادل الزيارات بين رؤساء هذه الكنائس.**

٢) اصدار نشرة اخبارية Newsletter لتبادل اخبار الكنائس ونشاطاتها ولهذا الغرض يمكن الإستفادة من خدمة نشرة المنتدى باصدار ملحق خاص بها باللغة العربية ، او اصدار أعداد خاصة منها عن الكنائس الشرقية الارثوذكسية.

٣) توصية الى المجلات الكنسية الارثوذكسية لاصدار عدد خاص عن الوحدة في الكنائس الشرقية الارثوذكسية وذلك خلال سنة ١٩٧٢.

٤) العمل على التعاون والتقارب بين حركات الشبيبة الارثوذكسية في مختلف كنائسنا (الاستفادة مثلاً من امكانات الرابطة العالمية لحركات الشبيبة الارثوذكسية Syndesmos)

٥) تنمية التعاون في اعداد مناهج التربية المسيحية (التي شرع بها منذ سنة ١٩٦٥) وكذلك الدراسة التي تعد حالياً عن التربية الارثوذكسية والتي يقوم بها الدكتور موريس اسعد في مجلس الكنائس العالمي.

٦) **تشجيع :**

أ– تبادل الزيارات بين الكهنة في بيوتهم.

ب– تبادل الاختبارات ونتائج الندوات والدراسات التي تقيمها مجموعات الكهنة في كل كنيسة بواسطة الزيارات او النشرات.

٧) التوصية بأن يصدر عن كل كنيسة رسالة الى الشعب عن الوحدة الشرقية الارثوذكسية ، مباركاً حركة التقارب هذه آملاً سرعة انجاز الخطوات للوحدة بنعمة الله ، داعياً الشعب لاستمرار الصلاة من اجل هذا الهدف.

٨) توصية بان يخصص مجمع كل كنيسة عند انعقاده وقتاً لدراسة موضوع وحدة الكنائس الارثوذكسية الشرقية ويحسن ان يدعى بعض اعضاء المجامع المقدّسة الاخرى لحضور هذا اليوم للاشتراك في هذه الدراسة.

٩) التوصية بان يعلن في كل من كنائسنا عن تخصيص يوم احد في السنة للوحدة الارثوذكسية ، تدور العظات فيه عن الوحدة الارثوذكسية الشرقية (ويقترح ان يكون الاحد الأول من الصوم الكبير باعتباره احد الارثوذكسية في كنيسة الروم الارثوذكس).

١٠) إقامة اجتماعات شعبية يدعى اليها متكلمون من لاهوتي الكنائس الارثوذكسية الاخرى للتحدث الى الشعب زيادة في التوعية.

١١) على صعيد المعاهد اللاهوتيّة التوصية بالتعاون مع رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط في المجالات التالية:

أ ـ تبادل اساتذة معاهد اللاهوت التابعة لكنائسنا لإلقاء محاضرات تتعلق ببرنامج هذه المعاهد.

ب ـ تنسيق المناهج والبرامج بين المعاهد اللاهوتية في إطار تقوية الروابط بينها تمهيداً لتحقيق الوحدة.

ج ـ العمل على استكمال المراجع عن الكنائس الشرقية الارثوذكسية في مكتبات معاهدنا اللاهوتية.

د ـ تبادل الطلبة اللاهوتيين بين هذه المعاهد على أوسع نطاق.

١٢) نوصي بتأليف لجنة تنفيذية مقرّها مكتب الرابطة العالمية لحركات الشبيبة الارثوذكسية (سندسموس) قوامها عضو من كل كنيسة مشتركة.

دعاء أخير

أيّها الثالوث القدوس خالق النور المنظور، أنت النور الحقيقي غير منظور الذي ينير الملائكة والبشر بنور البهجة والغبطة مانحاً إياهم ان يصبحوا بنورك أنواراً بهيّة مساهمين في نورك.

أسالك، بعد ان لطفت بي وامددتني بنورك في هذا العمل المضني، ان ترسل اشعة نورك الى عقول مطالعي هذا الكتاب وقلوبهم كلما طالعوا فيه حرفاً، لكي يفهموه فهماً عميقاً، ويتعلموا ان يتأملوا جودك ولطفك وحنانك وصلاحك، مشغوفين بمحبتك، ومخطوفين بعشقك، مسحورين بجمالك، مخلوبين لبا بطعم نعمتك الفائق الحلاوة والوصف. بهذا يتحقّق حلمي الأكبر: أن يعرف الناس أنّك الإله الحقيقي الذي احتضن الانسان الساقط فرفعه الى السماء، ويعبدوك لا بالشفاه فقط بل بكل الكيان حتى لا يبقى في أحد منهم شيئاً لذاته بل يصبح برمته لك.

أليست هذه مسرّتك أيّها الآب السماوي حين أرسلت إلينا إبنك الوحيد فافتقدتنا به وضممتنا إليك بواسطته اذ ارسلت الروح القدس إلينا ليجعل كلّاً منّا بيتاً مقدّساً لك؟

فاجعل اذاً هذا الكتاب اداة لتعريفهم بسرِّ تدبيرك العظيم، ليلتهبوا ايماناً حاراً بك يدفعهم الى البطولة النادرة في طاعة ارادتك الالهية، وتكريس نفوسهم وأجسادهم لك، حافظين بكل طاقاتهم وصاياك الانجيلية، وسالكين بتقوى في احكامك الالهية، لتمجيد اسمك العظيم.

اكشف لهم ما يحتملونه من أنوارك فتزيدهم ارتفاعاً اليك حتى تنقلنا جميعاً الى جوارك. فأنت وحدك غاية المُنى. أنت الحق وما سواك الظل او الباطل. فنجّنا اللهمَّ منهما واحفظنا في الحق لنعرفك أنت الإله الحقّ. آمين!

١ ـ أضف الى السطر ١٣ ص٦٦ : و٢٥٦ ومكاريوس المنحول السوري الفراتي ، ص ١١٠ من العدد ٢٧٥ من مجموعة الينابيع المسيحية S.C.

٢ ـ تصحيح للصفحة ٤٣ وسواها : صدر هذا الكتاب في ١٩٨٠ . وفي ١٩٨٤ اصدر دير التجلي الارثوذكسي الاميركي ترجمة لنسكيات اسحق السرياني النينوي مع ملحق رائع مشبع بالمصادر الفرنسية والانكليزية الحديثة جداً عن براءة مسيحيي فارس القديمة من النسطورية . ودفع الارشمندريت الاشوري في بيروت هذه التهمة بقوة وقال ان الكنيسة تتهمهم شرقا وغرباً منذ القرن الخامس بذلك وهم براءٌ من النسطورية (المنارة ، العددان ١و٢ للعام ١٩٨٦ ؛ ص ١٦٧) .

وعلى هذا العلاّمة الاب جان Fiey ذاكراً ان شيئوذورس المصيّصة (مرجعهم الكبير) اعترف بصيغة المصالحة ، الواردة في ص ١٠٦ ـ ١٠٧ من هذا الكتاب (P.O.C.I-II;1997)، كانت الكنيسة السريانية تتهمهم وتتهمنا بالنسطورية . وهاهو التاريخ وهذا الكتاب يثبتان براءة الطرفين . ومن المؤسف ان تكون الكنيسة الارثوذكسية قد صدَّقت التهمة ، فاهملت المسيحية الفارسية مع ان جوستنيانوس وهيراقليوس فتحا الحوار معها .

٣ ـ ص١٣٢ : المرحوم الاب جان مايندورف كتب الي شاكراً ومؤكداً اهمية مفهوم «التقنيم» . فهو لب تحديدات مجمعه خلقيدونية والحل الامثل ضد النسطورية والابولينارية : يسوع اقنوم واحد في طبيعتين متحدثين بلا انفصال الى الابد . الطبيعة البشرية ذات نفس عاقلة . ليس لها اقنوم بشري بل الاقنوم الالهي صار اقنومها . وهي بلا ميل الى الخطيئة ولاجنس ولا تناسل (ص ١٥١ ـ ١٥٣ من هذا الكتاب . بالرسالة الى العبرانية (٧ : ٢٦) في الاصل اليوناني والترجمات واضحة : «بلا دنس» . بالفرنسية impeccable .

وولدت العذراء يسوع وهي بتول بدون مخاضٍ ولانفاس ولا طلق كما في تعليم الارثوذكس وروما . وانجيل لوقا صريح : العذراء لفتّه بالاقمطة واضجعته في المذود بدون وساطة قابلة قانونية كما في سخافات اناجيل الابوكريفا (لوقا ٢ : ٧)

٤ ـ اضف على حاشية الصفحة ١٥٢ : يو ٨ : ٤٦ و رومية ٨ : ٣ و٢ كور ٥ : ٢١ وفيلي ٢ : ٧ وعب ٢ : ١٤ و١٧ و٤ : ١٥ و٧ : ٢٦ وابط ٢ : ٢٢ وايو ٣ : ٣ ـ ٥ والذهبي الفم على انجيل يوحنا ، الموعظة ٢٧ : ٢ و٥٤ : ٣ وعلى رومية ، الموعظة ١٣ : ٥ وعلى كورنثوس الثانية ١١ : ٣ وعلى العبرانيين ١٣ : ٣ . ايضاً الدمشقي ٤ : ٢٢ و٣ : ٣ ولوسكي ١٣٨ وبولفاكوف (الكلمة المتجسد ، ص ١٠٧) ومايندورف في المدخل الى دراسة بالآماس ، ص١٨٥ (فرنسي) . راجع مذكرة اصدرناها عن الموضوع .

٥ ـ سقط من الصفحة ٢٠٧ ، (السطر الاخير) فقرة : فليس للجوهر وجود مستقل بينما للاقنوم

دير الحرف ١٤/٢/١٩٩٣ : عيد القديس مار مارون

فهرس الكتاب

القسم الثاني

القسم الثالث